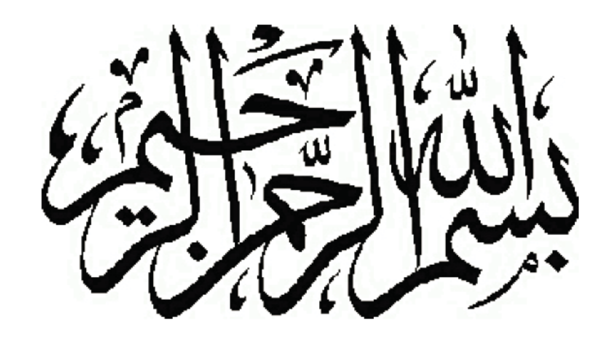
مجالات
الخدمات الإعلامية



الدكتور
محمود عبد السلام علي





مجالات الخدمات الإعلامية

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2017/2/960)

302.2
علي،محمود عبد السلام

مجالات الخدمات الإعلامية /محمود عبد السلام علي

عمان: دار المعتز
ر.أ: (2017/2/960)

الواصفات:/الإعلام //الأتصال الجماهيري /

يتحمل المؤلف كامل المسؤلية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية.

الطبعة الأولى
٢٠١٧م -١٤٣٨هـ

دار المعتز للنشر والتوزيع
الأردن- عمان- شارع الملكة رانيا العبدالله- الجامعة الأردنية
عمارة رقم ٢٣٣ مقابل كلية الزراعة الطابق الأرضي
تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٥٣٧٣٠٣٥ ص.ب: ١٨٤٠٣٤ عمان: ١١١١٨ الأردن

مجالات الخدمات الإعلامية

الدكتور

محمود عبد السلام علي

الطبعة الأولى

2017م – 1438هـ

دار المعتز للنشر والتوزيع

مقدمة

لقد تحول الإعلام في الزمن المعاصر من هواية إلى حرفة بل صناعة متكاملة لها روّادها وشركاتها ومستثمروها، "وقد لا نغالي إذا قلنا: بأننا نعيش اليوم مرحلة الدولة الإعلامية الواحدة التي ألغت الحدود وأزالت السدود.. ولم يقتصر ذلك على اختراق الحدود السياسية، والسدود الأمنية، وإنما بدأ يتجاوز إلى إلغاء الحدود الثقافية، ويتدخل في الخصائص النفسية وتشكيل القناعات العقدية، فيعيد بناءها وفق الخطة المرسومة لصاحب الخطاب الأكثر تأثيراً، والبيان الأكثر سحراً، والتحكم الأكثر تقنية...

لقد أصبح الإعلام علماً له مقوماته، ومعاهده وشروطه وتقنياته ومتخصصوه، وفناً له مستلزماته وأدواته، كما أصبح ثمرة تشارك في إنضاجها كل المعارف والعلوم، وتُوظّف لها أرقى الخبرات، وصناعة من الصناعات الفكرية الثقيلة التي لها مؤسساتها، وخططها، ونفقاتها، بل لعل نصيب الدعم الإعلامي في كثير من الدول اليوم من الميزانيات، ما يفوق الدعم الغذائي، الذي به قوام الحياة...

الفصل الأول

ادوات الاعلام العربي والدولي

الفصل الأول

ادوات الاعلام العربي والدولي

الاذاعات الدولية والموجهة

- ما هي الاذاعة الدولية الدولية؟ ما انواعها؟ وما اهدافها؟
- وما مراحلها؟ وما اساليبها؟ وما موقعها في الوطن العربي وما دورها السياسي؟ وما دورها العسكري؟
- ماذا يقصد بالاذاعات الموجهة؟ وما هي الاذاعات السرية؟
- اين تقع محاطات الاذاعة الخاصة في بلادنا من ذلك؟
- اين تقع محطات الاذاعة الفلسطينية الرسمية من ذلك؟

تمكن الراديو من اختراق الحدود بين الدول، واختزل المسافات بين القارات، واصبح العالم كما يقول مارشال ماكلوهان قرية عالمية، واستطاعت التقنيات التكنولوجية ان تجعل هذه القرية بناية واحدة او بيتا واحد، واصبح العالم اليوم بين اصابعك.

بدات التجارب الاولى لنقل الصوت عبر الاثير تعود الى عام 1890، وظل الصوت في الاطار المحلي حتى تمكن هواة الراديو من اكتشاف خصائص الموجات القصيرة، وامكن الارسال من امريكا الى اوروبا على تردد مائتي متر عام 1921، وفي عام 1923 امكن الارسال باستخدام تردد مائة متر، وتم استخدام الراديو للمرة الاولى لاغراض سياسية حينما عينت جريدة لندن تايمس مراسلها الحربي (لي دي فورست عام 1904-1905 Lee De Forest)

وتم استخدام الراديو لاغراض عسكرية للمرة الاولى عام 1905 عندما استخدمت روسيا الراديو في الاتصال البحري، كما تم استخدامه في الحرب العالمية في التجسس والعمليات الاستطلاعية، كما فعل الحلفاء عندما اسقطوا اجهزة ماركوني على الاراضي الالمانية المحتلة، واستخدم الالمان الراديو لفك الحصار وقطع الكابلات التي تربط المانيا بالعالم الخارجي، واضطرت المانيا لاستخدام (كود موريس) لعملائها في العالم الخارجي، كم قامت امريكا بنقل مقترحات الرئيس الامريكي (ولسن) الخاصة بالسلام الى المانيا باللاسلكي، وظل استخدام الراديو وسيلة للنقل ويتطور تدريجيا ليصبح وسيلة للدعاية وهو ما ادركه الروس الذين استخدموا الراديو للوصول الى الجماهير في الداخل والخارج حين اذاعت السفينة الروسية (اورورا Aurora) رسائل من لينين الى المواطنين في روسيا والى الخارج، وكان لينين يصف الراديو صحيفة بون ورق وبدون حدود.

تطور الاستخدام الدولي للاذاعة مع انشاء اول اذاعة موجهة من موسكو الى الخارج باللغة الانجليزيةعام 1917 ثم بلغات مختلفة بلغت خمسين لغة، ولحقت بها المانيا التي وجهت اذاعاتها الى اوروبا وامريكا الشمالية باللغة الالمانية والانجليزية ابتداء من عام 1933، كما انشات ايطاليا اذاعة باري Bari باللغة العربية الى الشرق الاوسط وشمال افريقيا، وهو ما دفع بريطانيا الى انشاء اذاعتها الموجهة باللغة العربية في 1938/1/3، وهي اول اذاعة موجهة بلغة غير انجليزية.

ونلاحظ اهن الحرب العالمية الثانية ساهمت بدور كبير في استخدام الراديو على النطاق الدولي، وكانت الدول التي تستخدم الراديو الموجهة للدول الاخرى قبل الحرب العالمية الثانية 25 دولة وصلت الى 55 دولة عند نهاية الحرب ومن تلك الدول البانيا واستراليا وبلجيكا وبلغاريا والصين والدنمارك وفنلندا وهولنده والنرويج وغيرها.

تعريف الاذاعة الدولية:

هي الاذاعة التي تتجاوز حدود الدولة الواحدة الى شعوب دول اخرى وليست للجمهور المحلي، ويطلق عليها في بعض الدول العربية " الاذاعة الموجهة " وهي غير الدعاية الاذاعة الدولية لا تقتصر فقط على الاذاعات الموجهة التي تبثها الدولة الى شعوب غيرها من الدول، بل يمتد مفهوم الاذاعة الدولية ليشمل انماطا اخرى من البث الاذاعي، مثل تبادل البرامج بين دولتين او اكثر، او اعادة بث البرامج على موجات الدولة المستقبلة، وهناك اذاعات (قراصنة الاثير) Pirate Stations

وهي غير المصرح بها وتثبت من خارج حدود الدولة المستهدفة، وهناك الاذاعات الموجهة من الدولة الى قواتها المسلحة خارج الحدود، وهناك اذاعات الامم المتحدة باكثر من 28 لغة لجميع انحاء العالم، ومن الاذاعات الدولية كذلك الاذاعات الدينية التابعة لبعض الدول او الهيئات والمنظمات والجمعيات الاهلية الى مناطق مختلفة من العالم وهذه الاذاعات الدولية تخضع بشكل مباشر الى الدولة التي تبثها باعتبارها اداة من ادوات السياسة الخارجية للدولة، ومنها كذلك الاذاعات التجارية التي تعتمد في تمويلها على الاعلانات مثل اذاعة لكسمبورج، واذاعة موناكو (مونتي كارلو)، وبذلك فان الاذاعة الدولية وسيلى لتعزيز النفوذ السسياسي والتجاري والمكانة الدولية، وهي سلاح فعال في الدعاية السياسية والايدولوجية.

اهداف الاذاعة الدولية:

نشرت هيئة اليونسكو تقريراً عن الاعلام الدولي جاء فيه:

" يبدو ان هناك اتفاقاً عاماً بين الدول على ان اهداف الاذاعات الدولية هي تقديم افضل صورة من صور الثقافة القومية، والاخبار القومية للدولة المصدرة للاذاعة في المسائل الدولية الهامة وتعزيز التفاهم الدولي".

ويقول احد الخبراء في الفن الاذاعي:

" ان المحرك الاول في عقد الاتفاقيات الدولية في شان استخدام الراديو لم يكن مجرد البحث عن المثل العليا بل المنفعة الذاتية، فهي اساس الحقيقة التي كتبها " دستوفسكي " عام 1980، من ان العالم يتجه نحو الاتحاد، ونحو تكوين مناخ صحي يتغلب على المسافات التي تفصل بعضه بعضاً، وباستخدام وسائل لنقل الافكار عبر الاثير.

ما خصائص جمهور الاذاعة الدولية؟

ما انواع الاذاعات الدولية؟

الاذاعات الدولية الموجهة والسرية

في المحاضرتين السابقتين، تحدثنا عن الصحافة الدولية والاذاعات الدولية بوجه عام باعتبارهما اداتين من ادوات الاعلام الدولي، غير ان الاذاعات الدولية تتوزع اشكالا مختلفة ويحتاج كل شكل الى محاضرة خاصة، وكذلك كانت المحاضرة السابقة مقتصرة على ما هية الاذاعة الدولية واهدافها وانواعها بوجه عام وجمهور هذه الاذاعات.

وفي هذه المحاضرة نتحدث عن الاذاعات الموجهة بشقيها (العلنية والسرية)، فما هي الاذاعات الموجهة وما اسباب انشائها؟ وما انماطها؟ وما دوافع الاستماع الى هذه الاذاعات؟ ولماذا الاذاعات السرية؟ وما مدى تاثيرها؟ وكيف تطورت هذه الاذاعات مع تطور التكنولوجيا والحياة بوجه عام؟

تعريف الاذاعات الموجهة:

بوجه عام: هي الاذاعات التي توجه من دولة الى اخرى، وتلك الاذاعات التي يمكن الاستماع اليها في نطاق جغرافي معقول وان كانت موجهة الى دولة او منطقة محدودة، وقد توجه هذه الاذاعات من قبل الحكومة بشكل رسمي، او من خلال المحطات السرية اي بشكل غير رسمي.

يقصد بالاذاعات الموجهة تلك الاذاعات التي ترسل الصوت والموسيقى عبر مساحات واسعة وتستقبلها جماعات من الناس خارج حدود الدولة المرسلة وبلغات مختلفة.

انواع الاذاعات الموجهة:

1- اذاعات موجهة لاغراض سياسية ودعائية، وغالبا ما تكون خاضعة تماما للسلطة، فهي الصوت الرسمي للدولة التي تبث هذه الاذاعة.

2- اذاعات موجهة لاغراض تجارية، وهدفها الكسب المادي عن طريق الاعلانات وغيرها؟، وهي تتمتع بقدر من الحرية في رسم سياستها، وغالبا ما تكون برامجها سياسية يقوم عليها شخصيات مدربة واعية.

3- اذاعات موجهة لاغراض دينية، وهي التي تسعى الى الدعوة والارشاد والتبشير والاستقطاب مثل راديو الفاتيكان.

دوافع الاستماع الى الاذاعات الموجهة:

1- الدافع الاساسي هو البحث عن المعلومات الجديدة التي لاتوفرها الاذاعات المحلية، والاساليب الجاذبة التي تستخدمها الاذاعات الموجهة مقابل ضعف اساليب الاذاعات المحلية وهشاشة برامجها.

2- الرغبة في الاستماع الى وجهات نظر متعددة، لا توفرها الاذاعات المحلية التي يغلب على برامجها وجهة النظر المرتبطة بالسلطة المحلية.

3- جاذبية الكوادر العاملة في الاذاعات الموجهة، من خلال التنوع في الجنس والجنسية والتخصص والتجديد الذي يجعل المستمع يحاول التعرف على الكوادر الاذاعية.

4- تنوع البرامج والقضايا التي تعالجها واساليب تقديمها وقوة البث الذي يصل الى مناطق ومساحات واسعة ويستقبل الجمهور هذا البث بسهولة ويسر.

5- سلامة اللغة العربية الفصحى وسلامة الاداء وجمال الصوت والتشويق والاثارة.

الاذاعات الموجهة باللغة العربية: لماذا؟

1- اذاعات موجهة من اوروبا الى العرب:

كان الاوروبيون اول من بثوا برامج للمستمعين العرب وفي وقت مبكر نسبيا من تاريخ الاذاعات الموجهة وذلك لاهمية المنطقة العربية سياسيا واستراتيجيا واقتصاديا.

كانت ايطاليا المبادرة لانشاء اذاعة (باري -) عام 1932 لتكون بذلك بداية لحملة ايطاليا على الحبشة، وهو ما جعل ايطاليا مقبولة لدى العرب من خلال اذاعتها للعرب وبخاصة شمال افريقيا.

جاءت بريطانيا الثانية بعد ايطاليا في انشاء اذاعة باللغة العربية في 1938/1/3 الا ان الاتفاق تلاشى وازدادت الحرب الدعائية.

بدات الاذاعات الالمانية عام 1938وكانت اذاعتها باللغة العربية في ديسمبر عام 1938 وهو ما اشعل الصراع عبر الاثير، وقد نجح الالمان في استقطاب الادباء والشعراء والفنانين والموسيقيين العرب.

وانشات فرنسا اذاعة بالعربية عام 1939 موجهة الى شمال افريقيا، وجاءت الخدمة الاذاعية الروسية (الاتحد السوفستي) عام 1943، ثم الولايات المتحدة عام 1948، واصبحت خدمة منتظمة عام 1951، وتوالت الاذاعات الناطقة باللغة العربية تشغل المرتبة الثالثة بين لغات العالم، الى بعد الانجليزية والفرنسية.

2- اذاعات موجهة باللغة العربية من اسيا:

وهذه الدول هي: الهند، باكستان، اليابان، كوريا الشمالية، الصين، افغانستان، بنغلادش، اندونيسيا، كوريا الجنوبية، تايوان، عدا الاتحاد السوفيتي.

3- اذاعات موجهة بالعربية من الاتحاد السوفيتي واوروبا الشرقية:

هناك ثماني دول من اوروبا الشرقية تقدم اذاعات باللغة العربية عدا المجر، وفي مقدمة هذه الدول الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية.

4- اذاعات موجهة بالعربية من اوروبا الغربية:

وعددها ثماني دول مثل، بريطانيا وفرنسا و ايطاليا و هولنده، والمانيا واسبانيا واليونان وسويسرا.

5- اذاعات موجهة بالعربية من الامريكتين:

وهي اربعة: الولايات المتحدة وكوبا وتشيلي وفنزويلا وكندا.

6- اذاعات موجهة بالعربية من افريقيا:

وجاءت بعد الاذاعة المصرية الموجهة الى افريقيا لدعم حركات التحرر، فكانت الاذاعات الافريقية لنفس الغرض مثل: غانا 1961، نيجيريا.1964

7- اذاعات موجهة بالعربية لاهداف دينية:

ومن اشهرها راديو الفاتيكان، وحول العالم TWR (مونتي كارلو) واذاعة صوت الانجيل، والمحطة الامريكية WYER

الاذاعات السرية:

الاذاعات السرية شكل من اشكال الاذاعات الموجهة، استخدمها القطبان الكبيران (الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي) في اعقاب الحرب العالمية الثانية كاسلوب من اساليب الحرب الباردة.

بدا التسمية للاذاعات السرية عندما احتلت الدول المتحاربة بعض البلاد التي تمتلك اذاعات شاركت في الحرب، وقامت هذه الدول الى تحويلها الى اذاعات سرية لخداع الخصوم الذين يستمعون لتلك الاذاعات، وهو ما استخدمه الالمان كذلك.

تعرف الاذاعات السرية بالراديو الاسود او الدعاية السوداء، اي الدعاية الغامضة غير معروفة المصدر، وهي عكس الدعاية البيضاء معروفة المصدر.

بعض الخبراء يطلقون الدعاية السوداءبوجه عام على محطات الاذاعة التي لا تعتبر صوتا رسميا للحكومات الشرعية، وتكون مهمة هذه المحطات الدعاية الهدامة، اي تشجيع الاعمال التخريبية او لنشر الايدولوجيات والعقائد التي تعتنقها هذه المحطات.

لجأت بعض الدول الاوروبية الى استخدام هذا الشكل من الدعاية السوداء، او الاذاعات السرية لحماية اذاعاتها الرسمية من الخلل الاعلامي وحتى تحافظ هذه الاذاعات الرسمية على صورتها الايجابية والجادة، مثل الحكومات الالمانية والانجليزية والسوفيتية، وتحت غطاء الاحزاب السرية، او حركات المقاومة.

في الخمسينيات من القرن العشرين، ازداد عدد المحطات السرية وبلغ اجمالي ساعات البث حوالي 200 ساعة اسبوعياً.

من اشهر هذه الاذاعات السرية (اذاعة اسبانيا المستقلة)، (اذاعة البرتغال الحرة) وكانت تبث من رومانيا، (اذاعتنا) الموجهة الى تركيا و(صوت الحق) الموجهة لليونان، و(رسالة من ايران).

انواع الاذاعات السرية في الوطن العربي:

- الاذاعات الثورية مثل اذاعة م ت ف وفروعها

- اذاعة فلسطين من صوت العرب بالقاهرة

- اذاعة فلسطين من دمشق

- فروع المنظمة في – الجزائر، صنعاء، عدن، تونس، درعا، طرابلس، بيروت، (ام درمان حتى مارس 1973) عندما هاجم بعض الفلسطينيين السفارة السعودية بالخرطوم.

- اذاعة صوت الوطن العربي (ليبيا) موجهة الى مصر والمغرب

- صوت اليمن الجنوبي الحر من جنوب الجزيرة العربية

- راديو سوروش – المبشر بالماركسية (بغداد)

- صوت مصر الحرة عام 1955

- اذاعة الامام احمد البدر ضد الثورة اليمنية

- عام 1958 بلغ عدد الاذاعات السرية (11) اذاعة

- صوت الحق في بيت نوري السعيد بالعراق تمهيدا للعدوان الثلاثي على مصر 1956

- شمعون لبنان- اذاعة صوت لبنان ضد مصر

- صوت دمشق الحرة عام 1959 ضد الوحدة (عبد الكريم قاسم).

- صوت العراق باشراف الاردن بعد ثورة 14 يوليو العراقية في 1958/7/27

- اكتوبر 1956 حزب البعث العراقي الحاكم (صوت الجماهير)

- صوت القاهرة الحرة باشراف فرنسا بعد تاميم جمالعبد الناصر قناة السويس

- صوت الاحرار باشراف فرنسا للرد على صوت العرب

- 1956/10/30 حولت بريطانيا الشرق الادنى الى اذاعة سرية وفشلت

- صوت الاصلاح باشراف فرنسا ضد سوريا والوحدة مع مصر

- اذاعة الاحرار / سبتمبر 1962 و للالتفاف حول الامير الحسن مع بريطانيا

- حركة النهضة الجزائرية (اذاعة كليبر) باشراف جاك سوستيل للرد على اذاعة صوت العرب.

الفصل الثاني

الإعلام والمنهجية العامة

الفصل الثاني

الإعلام والمنهجية العامة

تظهر الإشكالية المنهجية العامة بما فيها من غموض و إبهام مع نتائج متعددة، لها شمولية عالمية تختلط مع الإقليمي والمحلي.

غامضة و مبهمة: لأن هذه التحليلات هي دائما خاضعة لمراجعة و لضمانات معينة، لا نستطيع دائما تقديمها، وقواعدها ليست دائما عقلانية كاملة؛ فهي تدمج أو تمزج بشكل افتراضي، القيم،المراجع الإيديولوجية؛ وهي تابعة دائما للموضوعية التي يحملها الملاحظ أو المراقب هذه الموضوعية هي بدورها خاضعة للمعرفة التي نمتلكها.

فما نستطيع البحث عنه ليس، لا التوقع، ولا بعض الدوافع القطعية الواضحة أو المخفية المختبئة. إنه فقط معقولية أو وضوح العلاقات الدولية بالنسبة لمقاربة معينة و معرفة.

النظرات الأولى للعلاقات الدولية.

النظرات الأولى هي بشكل كبير متعارضة. إذا هذه العلاقات تظهر وكأنها تتغلغل أكثر فأكثر في الحياة اليومية للأفراد و الجماعات، كما تشهد بذلك مصطلحات مثل العولمة، أو العالمية، فإن التعارض بين المجتمع الدولي و المجتمع الداخلي الذي نعيش فيه ليس بأقل حساسية من ذلك.

أـ الحضور المباشر للمجتمع الدولي.

نلاحظ هذا الحضور على مستوى الفرد والجماعية كما تأثيره في عملية نمو مستمر.

ففي الجانب الفردي والجانب الجماعي: التبادلات الدولية تدمج الأفراد و العلاقات الخاصة تصبح مكثفة، مثل السياحة،الهجرة،الانتقال والمرور، للأفكار والبضائع

و الأشخاص، الصور، التكنولوجيا، كل هذا أصبح جزءا من حياتنا اليومية. وعلى صعيد الجماعة، تأثير هذا المجتمع و العلاقات التي تجسده واضح جدا. حيث هناك قرارات كبرى للتوجهات الاقتصادية أو السياسية تِخذ ضمن نطاق عالمي، الكوارث و الصراعات الخارجية أصبحت تعرف من قبل الجميع، كل هذا يسجل ضمن الوعي الجماعي، ثم يحدث نقاشات و ردات فعل داخلية. باختصار، في الأفضل وفي الأسوأ، التعبير الشهير الذي هو " القرية الكونية" الذي وضعه (ماك لوهان) هو موجود، على الأقل في عقولنا.

في جانب النمو المستمر: هذا الحضور المباشر هو في الواقع ثمرة لتطور بعيد عن الوصول إلى نهايته، وهو مختلف وفق القارات كما هو وفق داخل البلدان، ويعود أيضا لأسباب ثقافية و مستوى في الحياة و المعيشة. ونريد القول هنا أن العلاقات بين الدول لا تستطيع اختصار العلاقات الدولية.

ب ـ التعارض بين المجتمع الدولي و المجتمع الداخلي.

هناك في الواقع خلاف في طبيعة كلا المجتمعين. المجتمع الداخلي بشكل عام هو متجانس، خاضع لقانون واحد، متماسك من خلال الانتماء المشترك، وهو في مكان يستطيع الإجابة على حاجات أعضائه. المجتمع الدولي هو أساس متغاير متباين، ومشكل من كيانات مستقلة أو من أعضاء هذه الكيانات. التغاير هنا له جذوره المختلفة و المتراكمة، جغرافية، تاريخية، ثقافية، سياسية، اقتصادية.

يمكن أن نرى بشكل واضح عملية "المجانسة" المتنامية لهذا المجتمع، بالارتباط مع تكثيف التبادل وتفوق نماذج معينة ثقافية أو سياسية. هذه الحركة من التقارب، والتي تقود إلى التعاون، تشكل وسطا أكثر تضامنية وقوة حيث في داخله الاتصال بين الأفراد، الشعوب والدول هو فوري وسريع.

ج ـ الدولة كحد مشترك بين المجتمعين.

في قلب هذه الاختلافات لا بد من إيجاد جسم سياسي والذي هو في نفس الوقت نطاق للتنظيم القانوني. ضمن هذا المعنى هو ينتمي للمجتمع الدولي بنفس الدرجة التي ينتمي بها إلى المجتمع الداخلي، إنه المفتاح و العنصر الأساسي المنظم. هو مكون من صفات متناقضة ووفق الزاوية التي نراه منها.

على الصعيد الداخلي: الدولة هي التعبير عن الجماعة التي تقوم هذه الدولة بتأطيرها. فهي الترجمة لمبدأ الهوية، ولكن أيضا أداة للهيمنة و لتحقيق السلام في نفس الوقت.احتكار العنف القانوني التي تمتلكه، وهو عند البعض تعريف لها، يسمح لها و يفرض عليها تأمين وضمان السلام الأهلي في القضاء الجغرافي التي تسيطر عليه الدولة. الدولة هي المنتج بمبدأ الشرعية، مهما كان المحتوى، والمصدر لنظام قانوني يسمح لها بإقامة قوانينها الخاصة. و هذا ما نسميه السيادة الداخلية للدولة، قدرتها على الإدارة و الحكم الذاتي، احتكار الوضعية التي تمتلكها تجاه شعبها و إقليمها. وفي هذا المعنى أيضا، الدولة هي محيط لممارسة الحرية. إنها تبقى المحيط الأساسي والجوهري لتنظيم الحريات العامة، الفردية أو الجماعية.

الفاعل الفوري و المباشر: الدولة هي في علاقة مع دول أخرى، ضمن نطاق محدد من العلاقات. إذا هنا الدولة في مواجهة دول أخرى لها سيادتها. والسيادة الدولية في الواقع لديها صفات أخرى غير السيادة الداخلية. هنا المجتمع العائد لعدة دول هو مجتمع لوجود مشترك بين الدول صاحبة السيادة. وتطور المنظمات الدولية، التقنيات المؤسساتية للتعاون بين الدول، لا تغير هذه المعطيات الأساسية. العلاقات التي يتم وضعها أو ربطها ضمن نطاق "ما بين الدول" هي قائمة على قواعد القانون الدولي العام الذي يمتد أيضا لتنظيم التعايش المشترك بين الدول، وليس لتجاوز هذه القواعد. وإنها العلاقات بين الأشخاص القانونيين، تلك التي تربك بشكل مجسد وفعلي بين الأجهزة السياسية و الإدارية التي تتحدث أو تتصرف باسم دولها ذات السيادة.

النظرية و العلاقات الدولية.

اعتبار العلاقات الدولية بأنها علم اجتماعي ليس اختراعا أو إنتاجا من غير برهـان. لـيس فقـط لأن العلاقات الدولية، على صورة علم السياسة، علم الاجتماع، العلوم الاقتـصادية، تنتمـي مـن جانـب إلى عـالم خطابات وأحاديث العلماء، و من جانب آخر، تنتمي إلى ممارسات وتطبيقات سياسية، والتي بـشكل دائـم تأتي في نفس الوقت لإغناء وإعاقة التحليل العلمي، كما الواقع الحالي و المعاصر، من سقوط جدار برلين إلى 11 سبتمبر 2001، هذا الواقع الذي يقود بدوره للاسـتفهام عـن جميـع النظريـات الموجـودة. وهنـا يكـون السؤال: إذا كل علم اجتماعي له موضوع للدراسة محدد و خطوة علمية معروفة، إلا أن العلاقات الدوليـة حتى الآن لم تستطع الحصول بالإجماع على هاتين الخطوتين؟.

فبالنسبة لتحديد موضوع الدراسة في العلاقات الدولية، فمـصطلح "الدوليـة" international يطـرح على هذه العلاقات وحده فقط مشاكل كبيرة وقاسية. " فالدولية أو الدولي" هنـا، هـي صـفة مـشتقة مـن صفة

" national": فكيف لا يـتم إسـقاط أو اسـتنتاج مـا يـربط مـن علاقـات بـين الأمـم، والـدول، عـلى العلاقات القائمة " في داخل" أمة أو دولة معينة؟

هذا الموقف و السؤال يتبناه كلا مـن " Yale ferguson" و " Richard Mansbach" مـن جامعـة "ثاوث كارولينا"، اللذان لا يترددان وبعد معاينة لطبيعة الاشـتقاق "الدوليـة" international للاسـتنتاج بعدم إمكانية وجود علم أو حقل للعلاقات الدولية مستقل أو كامل الاستقلالية. ففـي كتـابهما (The Elusive Quest. Theory and International relations) ـ البحث "التحقيـق" المحـير، و نظريـة العلاقـات الدولية ـ يقول كلاهما:" المفهوم نفسه international لا يمكـن أن يفهـم إلا بمقارنتـه مـع كـل مـا هـو غـير national أو interne. نفـس الـشيء بالنـسبة لمـصطلح transnational أو مـصطلح inter state أو

بالفرنسية interétatique، ولا ننسى مصطلح آخر هو السياسة "الخارجية". إذا هذا حقل أو مجال،والذي مفاهيمه لا يمكن أن تعرف بشكل دقيق، لا يمكن الادعاء بأنه علم خاص و مستقل".

طبعا هذا الموقف منهما يستحق المناقشة و المراجعة. فإذا أقمنا علاقة بين المرادفات أو المفردات أي بين الفعالية النظرية و المفهوم، بمعنى الخطوة النظرية تصبح كالعلوم الطبيعية، فإن " Yale ferguson" و " Richard Mansbach" ينسيان أنه يوجد على الأقل مفهومين هما نظرية في العلوم الاجتماعية و بالتالي في العلاقات الدولية. وعملية إيضاح لمفهوم النظرية يفرض إذا، ويلحق بتجربة لتحديد إيجابي لحقل أو مجال تغطيه العلاقات الدولية، هذه التوضيح المفهومي conceptuelle سيسمح بتبيين أن نظرية العلاقات الدولية ليس فقط موجودة، بل لها قوة في هذا الوجود.

في فرنسا مثلا، صفة international دخلت في عام 1801، ولكن تم التطرق لها من خلال الفيلسوف النفعي البريطاني " جيرمي بونتام" (من " المدرسة النفعية" utilitarisme)، وذلك في مؤلفه " Introduction to the principles of Morals and Legislation" ـ مدخل إلى مبادئ الأخلاق و التشريع ـ و المنشور في عام 1789." بونتام" كتب أنه ووفق النوعية السياسية التي يحملها الأشخاص حيث القانون هو من يضبط عملية قيادتهم، لا بد من التمييز بين القانون الوطني و القانون الدولي. لقد كان أول من اعترف بهذا التمييز.

النظام السياسي الدولي.

ملاحظة: (فيما يتعلق بتعريف هذا النظام و إطاره النظري يمكن العودة إلى الكتاب الذي بحوزتكم و الذي يحمل عنوان " النظام السياسي الدولي، دراسة في الأصول النظرية والخصائص المعاصر"، للدكتور عبد القادر محمد فهمي).

بما أن النظام السياسي الدولي هـو إنتـاج لـدخول العديـد مـن المؤسـسات في علاقـات متـشابكة و علاقات من المصالح، فإنه علينا وقبل معرفة طبيعة هذا المنتج، علينا العودة إلى الآلات و اليد العاملة التي تصنعه، فإذا عرفنا ماهيتها و استطعنا تحليلها، فسيهل علينا تحليل هذا المنتج ومعرفته بتفاصيله ودقائقه.

أولى هذه الآلات المنتجة لسلعة نسميها النظام الـدولي هـي "الدولـة"، فالدولـة هـي أسـاس كـل العمليات التي تجري على الساحة العالمية، هذه العمليـات التـي تنهـي لتـشكيل النظـام الـدولي بـسلبياته وإيجابياته.

1ـ فما هي الدولة كمؤسسة دولية؟

عندما نفكر بالدولة كمؤسسة دولية، هذا يعني أنها تشكل نظرة أخرى غير التـي نعرفهـا عنهـا أي أنها تقوم بدور على الصعيد الداخلي. ولكن في الحالتين تربط الدولة أو تجمع بين صفات قانونيـة و أخـرى ذات جوهر مادي.

ـ من الزاويـة الداخليـة: الدولـة تعـرّف بـشكل أسـاسي بالنـسبة لوضـعها نفـسه، أي كـسلطة مطلقة ضمن نطاق من التنظيم العام لمجتمع معين متمركز فوق إقليم محدد. هنا بـالمعنى القـانوني أو "الصفات القانونيـة" هـي بنـاء إرادي أو مـصطنع، يرتكـز عـلى مفهـوم الـسيادة. إنهـا تـضم بنيـة عضوية، ارتباط مع إقليم و ناس خاضعين. الكل هذا يعـرّف ويوحـد مـن خـلال نظـام قـانوني خـاص بهذه الكل. و بالمعنى المادي، هي جسم سياسي مجمع تحـت سـلطة مـشتركة ضـمن نطـاق إقليمـي محدد ومع سكان محددين. هوية هذا الجسم السياسي تعرّف من خـلال نفـسه ومـن أجلـه نفـسه، وذلك حول مبدأ من الشرعية و الذي يقود المحتوى و أشكال ونماذج ممارسة الـسيادة. فالدولـة هـي المؤسسة السياسية الوحيدة المنظمة انطلاقا من هذا المبدأ من الشرعية، وهذا ما يمنحها طابعا وحيدا متفردا. فهي الوحيدة التي تستطيع الحصول على أفراد يموتون من أجلها و باسمها، من أجـل الـدفاع

عن وجودها و مصالحها. إنها تمتلك حقا في الموت والحياة بالنسبة لمواطنيها. إنها في نفس الوقت من غير منافس ولا يساويها أحد ضمن من نسميه دائرة سيادتها.

من الزاوية الدولية: الدولة لديها المنافس ولديها ما يعادلها أو يساويها. فعليها الوجود المشترك مع دول أخرى والتي بدورها تمثل نفس الصفات كما هي تماما. المجتمع الدولي ينتج بشكل جليّ من هذه التعددية. دولة ومجتمع دولي هما كائنان متعايشان متشاركان، بحيث أن الدولة هي القاعدة في التمييز بين الداخلي و الدولي. فالمجتمع و العلاقات الدولية لا يمكنهما الوجود ولا يمكن التفكير بهما من غير الدولة. هذه العلاقات تخضع لمبدأ قانوني من المساواة بين الدول، وهذا ما يعطي السيادة معنى آخر أو بعدا آخرا: فالسيادة هنا ليست سلطة مطلقة، كما هو حال الدولة من الزاوية الداخلية.

إن الدولة كمؤسسة دولية تشكل طابعا أصليا غير مسبوق. إنها أولى المؤسسات الدولية، بالمعنى التاريخي والمعنى التراتبي. فهي الأكثر غنى و الأكثر تعقيدا. لا يوجد مؤسسة أخرى تمتلك كما الدولة نفس الكمالية في الجدارة والأهلية، ولا يوجد مثل الدولة من يشكل نطاقا عاما لتنظيم الحياة الاجتماعية و للقيام بالوظائف التي تتحمل الدولة مسؤوليتها. هذه الوظائف تتعلق باستقرار الدولة الخاص، هذا الاستقرار بدوره يشترط وجود المجتمع الدولي أو النظام الدولي بكليته، و من الاستقرار أيضا يأتي تنظيم وضبط الاتصالات والتبادلات والتي هي السكة الحديدة التي تسر عليها العلاقات الدولية.

إن نموذج الدولة حقق نتائج و نجاحات تاريخية كبيرة وهي لا تتوقف حتى اليوم. الدولة استطاعت التعايش وتبني مختلف الحالات الداخلية والدولية الأكثر تغيرا و اختلافا.لقد استطاعت و عرفت خلال قرون طويلة تطوير نفسها و إضافة أبعاد أحرى لها مثل الأبعاد الثقافية،السياسية و الاقتصادية والاجتماعية أيضا. وفي نفس الوقت حافظت على صفاتها الأصلية. بالمقابل، يمكننا أن نلاحظ أيضا استمرارية الدور العالمي للدولة، و الذي يتطابق مع صفات و وظائف مشتركة. فصفة الاستمرارية و الديمومة هي

تعريفات ممكنة للمؤسسة، أو ربما التعريف الأفضل من بين جميع التعريفات، لأن المؤسسة هي خلق إنساني وجد من أجل أن يستمر. ولكن أيضا من جهة أخرى، وجود الدول يمكن أن يكون متحركا. فالتقلبات التاريخية التي يمر بها المجتمع الدولي تحدث تشكيل أو تكوين دول أخرى، أو التحول إلى دول أخرى،وأحيانا اختفاء دول بكاملها. إن استمرارية الدور العالمي للدولة يسير بشكل متناظر مع حياة أو موت الدول.

2ـ استمرارية الدور العالمي أو الدولي للدولة.

من خلال وجودها نفسه، الدولة تقوم بالعديد من الوظائف، في العادة هي موجهة لاستقرار المجتمع الدولي. هذه الوظائف مرتبطة بمكونات الدولة،الإقليمية، الإنسانية والسياسية. مع ذلك دور الدولة يبقى فيه الكثير من الغموض. ضعفها الداخلي، وعدم الاستقرار الذي يمكن أن تحدثه، أو عدم قرتها على القيام بمسؤولياتها، كل هذا يشكل قلقا موضوعيا للنظام الدولي. (الصومال،لبنان،يوغسلافيا).

إذا الدولة فقط من خلال وجودها يمكن أن تقوم في المجتمع الدولي بدورين، إما تساعد على الاستقرار عندما تسير بشكل عادي، أو على الاضطراب عندما تتعرض لصعوبات لا تستطيع التخلص منها بوسائلها الخاصة. هذا الدور المزدوج يوجد و يتفكك وفق مختلف العناصر التي تشكله وتركبه ووفق حالته بناء على حالة عناصره. هذه المركبات الداخلية هي إلى درجة كبيرة لها وظائف دولية. فمع عنصر الإقليم، الدولة هي موزع أو مقسم لفضاء معين، ومع السكان هي التعبير عن مجموع، ومن خلال سلطتها السياسية، تنظم عمل الجماعة أو العمل الجماعي.

أولاـ الدولة كمقسم لفضاء أو مكان.

الفضاءات تأخذ دورها و معناها وفقا للدول. فالدول هي التي تعرّف وضعها وطريقة استعمالها. ولكن التحليل أو التمييز الأساسي يعارض الأماكن الخاضعة لسيادة الدولة أو ما نسميه الفضاء"الدولاتي" مع الأماكن "الغير دولاتية".

1ـ ما هي الأماكن "الدولاتية"؟

تتركب من مجموعة عناصر وفق وظيفتها. فالإقليم البري أو " الأراضي البرية" انطلاقا منها يمكن تنظيم الأقاليم أو الأماكن الأخرى و التي هي البحري والجوي التابعان للدولة.

بالنسبة للأرض البرية: الدولة هي الطريقة الأكيدة في شغل المكان بشكل دائم،ثابت ومحدد. وهذا يختلف مع المجتمعات البدوية مثلا. فالأرض البرية هي بامتياز تشكل سيادة الدولة. قوة هذا العنصر المادية متغيرة جدا وفق الحالات التي القائمة أو المجسدة،و تشكل عنصرا هاما للاختلاف بين الدول.أيضا هذه القوة كانت موضوعا لتغيرات تاريخية أدت إما لفقدان أرض أو الحصول على أخرى.

قوة الفضاء البري على الصعيد القانوني: الإقليم البري للدولة خاضع للسيادة الكاملة لها حيث تمارس عليه موقعها كدولة. وعلى الصعيد المادي: قوة هذا الإقليم البري تضم الأنهار،البحيرات و الأرض..الخ.

أما بالنسبة للحدود البرية: فهي تفصل بين سيادتين من الأرض أو البر، لهما حدود و إقليم محدد. إنها فصل، ولكن إنها توحد أيضا: الحدود دائما شكلت هذه الصفة المزدوجة، أي أن تكون نقطة نهائية أو نقطة للعبور. و المفهوم المعاصر للحدود، هي خط متصل، محدد بالقانون وهو من الناحية المادية موجود على الأرض وفق تأشيرات أو علامات واضحة.

الفضاء الجوي: مشكلة الوضع الجوي لم تطرح بشكل واقعي مجسد إلا بعد التطور للطيران في القرن العشرين. في نهاية الحرب العالمية الأولى التي كانت فيها بدايات الطيران العسكري، تم الاعتراف بشكل عام بأن الفضاء الجوي الذي يقع فوق إقليم الدولة هو جزء من سيادتها. إذا مسألة الحدود العمودية ليست إلا منتجا للحدود البرية أو

البحرية.المنفعة من الفضاء الجوي ترتكز على طريقة استعمالاته. فمعظم الحدود الجوية لها علاقة بالأرض، بمعنى آخر الاستخدام العسكري،التجاري أو غيره.

يوجد إقليم بحري خاضع لسيادة الدولة، أو المياه الداخلية و المياه الإقليمية.

- المياه الداخلية: تتبع بشكل تام وترتبط بقوة بالإقليم البري، كما هو حال الحدود الجوية.
- المياه الإقليمية: تتبع أيضا لإقليم الدولة مع الاحتفاظ بحق المرور السلمي للسفن الخارجية، ومنها السفن الحربية. المقصود بذلك، قانون للعبور أو النقل و ليس قانون للوقوف. هذه الحالة تترجم تسوية بين متطلبات الأمن للدولة التي لها شواطئ و حرية استخدام الإقليم البحري. في الواقع، المسألة الأمنية كانت السبب الأول وراء وجود الحدود البحرية، الهدف هو حماية الدولة من أي هجوم من البحر. طبعا اتساع الحدود البحرية مبدئيا تم تثبيته على 3 آلاف ميل بحري.

3ـ الجوانب القانونية/السياسية في موضوع الجنسية.

ـ يعود للدولة وحدها تحديد وبشكل سيادي ظروف الحصول على جنسيتها، هذه الجنسية التي هي علاقة من الخضوع. حيث بهذا الصدد يمكن للدولة أن تختار السياسة التي ترغب بها، أكثر أو أقل انفتاحا، ويتم هذا من خلال تشريعاتها الداخلية. ويعود لها أيضا شروط استقبال و إقامة من لا يحملون جنسيتها، وذلك باسم السيادة التي تمارسها على أراضيها. ولكن أهليتها السيادية يمكن أن تحد منها بعض القوانين أو التشريعات الدولية.

4 ـ السياسة الخارجية للدولة و سياقها أو صيرورتها.

نميز هنا السياق الداخلي عن السياق الدولي.

على الصعيد الداخلي: الدولة تمتلك حرية تصرف كبيرة في العمل فيما يتعلق بسياساتها العامة، مع الأخذ بعين الاعتبار الرأي العام لشعبها وهذا في الدول

الديمقراطية. السياسة الخارجية ليست بشكل كبير موضوع للنقاش العام وليس دائما موضوع للعبة الانتخابية. ولكن عندما تكون مصالح الدولة في خطر، تلجأ الكثير من المجموعات الداخلية للتدخل وتفرض ثقلا معينا يؤثر على القرارات المتعلقة بالدولة.

على الصعيد الدولي: المعطى المهم هو الشكل الذي فيه سياسة ما يتم فهمها أو إدراكها من قبل أولئك الذي ينظرون فيها أو يمارسونها.

5ـ الوضع القانوني الدولي للدولة.

الدولة ككيان قانوني دولي، يتم التعامل معها كمستقلة عن أي تمزقات أو انقسامات، حيث تجسد قالبا واحدا. بالإضافة للشخصية القانونية للدولة، هناك السيادة و المساواة حيث يلعبان بالنسبة للدول الأخرى أو يضمنان الحماية لاستقلاليتها ومشاركتها الفعالة في المجتمع الدولي.

أولاـ الشخصية: يقصد بها الشخصية المعنية للقانون الدولي و الذي يجب ألا تختلط مع الشخصية الداخلية للدولة. ومفهوم هذه الشخصية يوضح من خلال تحليل ثلاث مصطلحات قانونية و التي تعرفها.

1 ـ الشخصية تعني أن الدولة هي كيان قانوني قبل لممارسة الحقوق والواجبات.

2 ـ الطابع المعنوي للشخصية يشير إلى أن الدولة بناء قانوني مجرد، وهي مفهوم أيضا.

3ـ يقصد بالدولة كشخصية، أي أنها شخصية ضمن القانون الدولي، والتي تلد مع الدولة نفسها وتحتفظ بها طيلة وجودها.

أما وحدة الشخصية الدولية يتعارض في الواقع مع وضعها الداخلي. فعلى الصعيد الداخلي،وإلى جانب الشخصية الخاصة للدولة كمؤسسة مركزية، يوجد العديد من الشخصيات العامة،المؤسسات العامة،مجموعات لا مركزية، أو كيانات فيدرالية. يمكن

تركها تمارس حاجاتها. بالمقابل، على الصعيد الدولي، لا يظهر إلا الدولة حيث الشخصية تبدو وكأنها تلف أو تغطي وتحتوي كل الشخصيات العامة الداخلية.

أما تحييد الشخصية الدولية للدولة يسمح للعديد من الشخصيات العامة في المشاركة من خلالها في الحياة الدولية، ثم قيادة اتصالاتهم الخاصة والوصول للعديد من الاتفاقيات.

ثانيا - السيادة

هذا المفهوم هو من أكثر المفاهيم المتنازع والمجادل فيها في القانون الدولي. كما مفهوم الدولة نفسه. وفي الواقع، وعلى الصعيد الدولي، هذه المنازعات هي في جزء منها تعود بفقه القانون الدولي: فطيف نصالح سيادة الدولة مع واجباتها الدولية؟ ألا يوجد هنا تناقض حيث لا نستطيع الخروج من هذه المشكلة من غير التضحية بالسيادة أو بالقانون الدولي؟ أما الجزء الثاني من المنازعات فيعود لأسباب سياسية: تعدد مصادر السيادة في الدول يقود إلى الفوضى و إلى العنف، ويصبح من المستحيل الوصول إلى علاج لمسالة مصالح الدولة (الحالة العراقية الكردية الآن).

ما هي السيادة الدولية و السيادة الداخلية؟

- **السيادة الداخلية:** تعود أساسا إلى النظرية السياسية كما أنها تعود أيضا للقانون الدستوري الحديث. ففي المادة الثالثة مثلا من الدستور الفرنسي لعام 1958:" السيادة الوطنية تعود للشعب الذي يمارسها من خلال ممثليه أو عن طريق الاستفتاء". فالسيادة هنا يمكن النظر إليها من خلال جوانب متعددة. إنها بداية العنصر المكون للجماعة و الذي يحقق وحدتها، أيضا هي مبدأ شرعية السلطة وهي هنا مطلقة، ثم في النهاية توصف من خلال النماذج المتعددة للممارسة السياسية.
- **السيادة الدولية:** ليست مطلقة وإنما نسبية، حيث عليها أن تتركب مع سيادة أو سيادات أخرى معادلة لها.فالسيادة هنا ترتكز على التعددية، المساواة و الاستقلالية.

ما هو محتوى السيادة الدولية؟

يمكن أن نجمع الأجزاء التي تتركب منها حول مفهومي: الاستقلالية،و تمامية أو كمالية أهليتها أو جدارتها الدولية.

ـ **الاستقلالية**، تتطابق مع الجانب الحمائي للسيادة. أي حماية السيادة. وهذه هي المقاربة الدولية للسيادة الداخلية. على هذا الصعيد، الدولة تمتلك " الجدارة أو الأهلية" وهي حق مطلق لها. القانون الدولي يضم قواعد عامة تجبر على احترام هذه الاستقلالية.

ـ **الكمالية في الأهلية الدولية**، وتضم عدة جوانب. إنها تعني بداية أن الدولة تجد مقام أهليتها أو جدارتها الدولية التي تمارس في سيادتها، وهي ليس بحاجة لقدرات أو جدارة خاصة كي تمتلك هذه السيادة. أيضا،في ممارستها الواقعية هي تتجزأ إلى عناصر مختلفة يعرّفها التحليل القانوني.

ثالثا: المساواة

يطبق هذا المفهوم على الدولة، باعتبارها كيانات قانونية مستقلة. حيث تمتلك الدولة نفس القدرة في الحقوق والواجبات ضمن القانون الدولي.

أبعاد التعاون الدولي

أولا ـ العلاقات بين الدول

التعاون يفترض فعلا مشتركا، وشراكة منتظمة بين شركاء مستقلين، كل منهم يتفاعل أو يتصرف من أجل مصالحه ولكن ضمن عمليات محدودة. التعاون يختلف عن الاندماج الذي يسعى لتوحيد الشركاء من خلال خضوعهم لغايات مشتركة. في التعاون، نحن نتعاون من خلال أن كل جانب يحتفظ بأهدافه و مصالحه الشخصية، ولكن التعاون مع أطراف أخرى يؤدي إلى تناغم للمصالح مع الآخرين. في الواقع هذا هو الشكل

العادي للعلاقات الدولية، هذه العلاقات التي تتأطر وتخضع لشكل من العلاقات بين الدول.

الاندماج يفترض عكس ذلك، مع الوقت يصبح هناك تقارب يغير في الشراكة و الشركاء أنفسهم، و الذي يأملون قيام شكل جديد للتجمع أو الوصل إلى شكل واحد مندمج، من الممكن أن يتم التخلي في هذا الشكل الجديد عن سيادة الدولة. أما في التعاون فهناك ارتباط عام للدول بسيادتها.

إن التعاون هو الحد الأدنى للعلاقات بين الدول. ولكن هذا الحد الأدنى يؤكد أيضا دور القوة، قوة الدولة. فهل هي متماسكة فيما يتعلق بوحدتها الداخلية أم لا. لأنه ضمن هذا المعنى للتماسك تظهر حدود الدولة على الصعيد الدولي. أما على الصعيد الداخلي للدولة نفسها، القوة يجب أن توجد بشكل كاف حتى تسيطر الدولة على نفسها. فالعديد من المفاهيم مثل: سيادة الدولة، مبدأ الشرعية،تنظيم واستقلال السلطات، دولة القانون هي تظهر بشكل مختلف من دولة إلى أخرى ولكنها لا بد أن تكون موجودة بشكل متناظر في الدول التي تريد تحقيق التعاون فيما بينها.

التعاون بين الدول؟

إنه يشكل الرحم الذي يخرج منه كل نماذج التعاون الدولي وأشكاله. مضمونه و أشكاله تعتمد تطور العلاقات الدولية نفسها. ولكن هذا التطور ليس مرتبطا دائما باعتبارات عقلانية أو موضوعية. بمعنى آخر،لا يكفي أن تكون مشكله كبيرة أو هامة حتى تستدعي حلولا دولية. على العكس من ذلك، مشكلة ما لا توجد على الصعيد الدولي إلا ضمن مقاييس محددة حيث بنية التعاون بين الدول في المجتمع الدولي تسمح بطرحها. هذا الأخذ بالحسبان لمشكلة ما على صعيد دولي يؤدي على أن القضايا الكبرى ذات الأهمية تصبح قضايا إجرائية، إذا هنا كيف سيتم التعاون من أجلها؟

الإجراءات ليس حيادية. فاختيارها يعكس إمكانية التصرف وفق إطار ومعطيات معينة. وهذا يتبع أيضا مستوى وطبيعة علاقات القوة القائمة. وحتى نلخص هذا التحولات المتعاقبة في قضية ما، نستطيع القول أن القضايا الكبيرة تصبح قضايا إجرائية، والقضايا الإجرائية تصبح قضايا تتعلق بالقوة. عمليا، أية مشكلة ستأخذ بعين الاعتبار دوليا يجب أن تكون محط اهتمام من قبل الدول أو تمس مصالحها وأهدافها، وبالطبع علاقات القوة القائمة بين هذه الدول. علاقات القوة هذه بين الدول هي التي تحدد أولا التراتبية بين الدول التي بدورها تشكل الإطار العام للتعاون بين الدول، نموذج وطريقة توسيعه.

فما هي إذا هذه التراتبية بين الدول؟

مبدئيا يمكن القول أن لكل دول الحق في أن تصبح قوية و ذات قدرات كبيرة. هذه هو المنطق الليبرالي.هذا المنطق عمليا ليس متناقضا في داخله إذا اشترط التساوي في السيادة ووضع بحماية القانون.إنه يسمح بترتيب الدول على قاعدة من المعايير التي تحدد قدرتها، وفي نفس الوقت أشكال قوتها التي تظهر فيها والتي تدير أو تحكم علاقاتها.

في عملية الترتيب للدول، نميز أو نفرق بين القوى التالية: القوى العالمية،القوى الكبرى،القوى الإقليمية والقوى الصغيرة.

1ـ معايير التصنيف.

علينا القول هنا أن أي تصنيف هو مصطنع قابل للتغيير كما أنه نسبي. فالترتيب أو التصنيف يقودنا لوضع وفي فئة واحدة مجموعة من الكيانات أو الأوضاع والتي في كل واحدة منها متفردة (السعودية وفنزويلا). إن قيمة تصنيف معين لا يمكن أن تكون أعلى من المعايير نفسها التي تحددها والتي من خلالها تأخذ معناها. للوهلة الأولى، المعايير الديناميكية هي الأكثر جذبا لأنها تتطابق مع المعيار التي عليها شرحه وتبيينه. ضمن هذا

المعيار "الديناميكي"، هناك نموذجان للتصنيف: الأول، القوى الصاعدة في مواجهة القوة المنحدرة أو في حالة انحطاط. الثاني، القوى الساكنة في مواجه القوى المتحركة أو غي الساكنة.

في النموذج الأول، (قوى صاعدة وأخرى هابطة)، ديناميكية القوة هي التي تدفعنا هنا للتصنيف والترتيب، وهذا عمليا، عنصر متماسك في تصنيف الدول. ضمن ديناميكية القوة هذه نتحدث عن دول كبيرة وأخرى صغيرة، و القوة على النمو والتطور، ثم النمو السريع على كافة الأصعدة. إن هذا المعيار هو من أهم المعايير التي تحدد الوضع المستقبلي للدولة.

في النموذج الثاني (قوى ساكنة وأخرى متحركة)،فإنه يرتكز على توجه أو توجيه القوة. ثم يرتبط بمواقف الدول من النظام القائم. وبينما الأولى (الساكنة) في حالة رضا، فإن الثانية (المتحركة) تأمل في تغيير نفسها و ظروفها التي تعتبرها أنها لا تلبي مصالحها وأهدافها التي ترغب في تحقيقها.

2 ـ القوى العالمية:

وهي معروفة في وسائل الإعلام تحت اسم "القوى العظمى".يقصد بها الدول التي لها قدرة كبيرة ومصالح شاملة في شتى أنحاء العالم، لا يمكن حل أية قضية دولية من غير الرجوع أو من غير موافقتها.بالنسبة لمعيار القدرة: عليها أن تكون في وضع يسمح لها بفرض ثقلها في جميع الظروف والحالات لدولية "الاقتصادية، العسكرية، الدبلوماسية، الثقافية و الإيديولوجية، مدعومة بمساحتها الكبيرة وعدد سكانها الضخم، ثم استقرار وضعها الاجتماعي و السياسي. لا تتحمل مسؤولية وضعها الداخلي فقط وبكل أبعاده بل لديها القدرة على المساعدة في دول أخرى. وبالنسبة للمعيار السياسي: يجب أن تكون لديها نظرة منتظمة للنظام الدولي، ثم سلوكها و تصرفاتها يجب أن تتجاوز المصالح الشخصية.

3 ـ القوى الكبرى:

هذا التعبير والحقيقة التي يعطيها أصبح في غاية التعقيد. فالهجمة الجديدة للقوى العالمية يجعل من أهمية القوى الكبرى أهمية نسبية من غير أن يجعلها تختفي. بالنسبة

لتركيبها: يجب التوقف قليلا حول المصطلح. فنحن نتحدث دائما عن "القوى المتوسطة" حتى ندرك اختلافها وتأخرها عن القوى العالمية. القوى الكبرى هي أقل قوة و قدرة من القوى العالمية. فتأثيرها ليس على مستوى القارات، وهي لا تستطيع أن تكون حاضرة في حل جميع القضايا الدولية العالقة. (فرنسا نموذجا).

4ـ القوى الإقليمية:

المصطلح يشير إلى مناخ من التأثير على فضاء محدد ومعين،ومؤسس على منطق من التجاور و القرب الجغرافي. (الصين والهند، باكستان،إسرائيل،مصر، الأرجنتين). وعمليا القوى الإقليمية تختلف في قوتها وموقعها الإقليمي وفق أشياء متعددة منها: الجغرافية،التاريخ،الثقافة والسياسة. هذه القوة الإقليمية تطمح لتصبح قوى كبرى، ولكنها تفتقر للعديد من المقومات الجوهرية وأهمها الازدهار الاقتصادي والتصنيع، وأحيانا القدر على امتلاك قوى عسكرية يمكن استخدامها خارج الحدود، أو دولة مستقرة وقوية بشكل كاف. هذه القوى الإقليمية تمارس تأثيرا مسبقا على قضايا إقليمية لا يمكن حلها إلا بمشاركتها، مصر و إسرائيل،الهند وباكستان، الأرجنتين والبرازيل. وهي بهذه الحالة يكون أمامها مجموعة من الخيارات:

- دور إيجابي يساهم في الاستقرار. ينسجم مع مصالحها لأنها لا تستطيع النمو و التطور إلا من خلال محيط مسالم ومستقر.
- يمكن أن تحاول الظهور والتغاير بسبب طموحها بممارسة هيمنة لا تقتسمها مع الآخرين، وهذه المحاولات في العادة ينتج عنها عدم الاستقرار الإقليمي والنزعات المتعددة.
- نرى في العديد من الأحيان وضمن نفس الإقليم قوى متنافسة بل متصارعة. تدخل القوى الكبرى فيما بينها يمكن أن يؤدي لإضعاف بعض الأطراف لحساب أطراف أخرى، أو تدخل يضعف جميع الأطراف.

5 ـ القوى الصغيرة:

هذه الفئة تضم العديد من الدول. لديها مشاكل مشتركة يمكن حلها بطرق مختلفة. ولكن لها مكانة خاصة ويمكن أن نسمي هذه الدول في بعض الحالات " الميكرو- دول"(وهي كيانات مستقلة تمتلك شكل ووضع الدولة مع جغرافية ضيقة جدا، وعدد سكان محدود ووسائل للوجود قليلة الاستقلالية). هذه الدول لها هواجس تتعلق بالأمن، وضعها الإقليمي، الجغرافي والسكاني، ثم ضعفها العسكرية، وهي في الغالب دول تابع لدول أخرى في معظم شؤونها.(سويسرا، فنلندا).

هذا بالنسبة لتصنيف الدول أو ترتيبها. أما بالنسبة لهيئتها أو الشكل الذي تظهر فيه يمكننا أيضا تقسيمها إلى أشكال أخرى. هذه الأشكال يمكن أن نضعها تحت عنوان عريض نسميه "بعلاقات القوة".

1ـ القوة المهيمنة.

إن نماذج الهيمنة يمكن أن تكون مختلفة جدا.فالقوة المهيمنة تمتلك قدرات للتحرك و التصرف في مجال واسع جدا هو أكبر من المجتمع الدولي نفسه. عليها الحفاظ على السلام أو التدخل بشكل قاطع في الصراعات. القوة المهيمنة هي قوة ليس لها شركاء تتعامل معهم على قدم المساواة بل إما أعداء أو زبائن.هيمنتها يجب أن يكون معترف بها أو مقبول، أو على الأقل يأخذ الآخرون لها عدة حسابات.

ولكن هذه المسؤوليات الكبيرة تدين هذه القوة المهيمنة. فالتفرد هو عبء أكثر منه امتياز. وهذه المهمات تقود لزيادة الثقل على هذه الدولة وتنقص الكثير من وسائلها. ولكن بالمقابل عليها التوسع والتمدد من أجل الحفاظ على هيمنتها. بمعنى آخر الهيمنة و السيطرة هنا لا تعني الوحدة.ولكن التبدلات والتقلبات في العالم الخارجي تمتص وتنهك طموحاتها وتضعف من قدراتها. نأخذ هنا مثالين حتى تتوضح الصورة بشكل أفضل:

بريطانيا ثم الولايات المتحدة هما مثالان متعارضان لهذا الظهور للقوة المهيمنة، وحتى لو الولايات المتحدة أخذت بالتوسع على حساب الإرث التاريخي لبريطانيا، مجسدة استمرار وديمومة الهيمنة الأنكلو ـ سكسونية، إلا أنها أي الولايات المتحدة أسست سيطرتها على قواعد مختلفة وبطرق أخرى.

بريطانيا وصلت إلى قوى عظمى وقوت إقليمية مهيمنة بأعلى تعبير يمكن أن نستخدمه بهذا الصدد،سيطرت على البحار وعلى كل المنافذ التجارية العالمية. لقد فرضت نفسها (كقوة إمبريالية عالمية و قوة قارية) في أوربا. الثانية سمحت بالأولى، وذلك من خلال تحييد أو إضعاف المنافسين الذين يمكن لهم منافستها ولاسيما فرنسا. صدرت سكانها إلى الأقاليم البعيدة التي تسيطر عليها. لم تدخل في الصراعات إلا بحذر كبير، وكان لها إدارة فعالة للاقتصاد خارج أرضها.

الولايات المتحدة، فرضت نفسها بشكل كبير بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. هيمنتها نصفها "بالهيمنة العظمى" وفي أعلى مراحلها. أنها ترتكز على وحدة أو تجانس غير إقليمي، على السيطرة السياسية، العسكرية و دور الدولار الكبير، القدرة على التجدد التكنولوجي، ولكن أيضا قوة الثقافة وديناميكية المجتمع المدني. على الصعيد العالمي تبحث الولايات المتحدة لإحداث توازن بين مختلف الشركاء، مطبقة طرق مختلفة عن بريطانيا العظمة سابقا،عبر (الهيمنة القارية والتوازن العالمي). في نفس الوقت هي تتدخل بشكل مباشر، ومن خلال شبكة من التحالفات، و قدرة في إقامتها و إدارتها،ثم قدرة على التدخل العسكري، وإرادة سحق الخصم باستخدام وسائل مختلفة.

المجتمع المدني الأمريكي يشارك أيضا في هذه الهيمنة. من خلال ممارسة للحرية، الازدهار والحداثة. بلد جديد لا يصدر سكانه بل يستورد السكان من مختلف جهات العالم.

2 ـ نموذج القوتان المهيمنتان.

في السابق عاش العالم طويلا مع هذا النموذج أيام (الاتحاد السوفييتي/الولايات المتحدة).وقد تخلل هذا النموذج الكثير من النزعات والتسويات،المؤامرات..الخ.

3ـ نموذج القوى الثلاثة.

في الواقع هذا النموذج عرفه العالم في السنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية. وقد تكون من الديمقراطيات في أوربا الغربية (فرنسا وبريطانيا وأتباعها) و ديكتاتوريات أوربا الوسطى (إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية وأتباعها). هذه الأطراف كانت في حالة عداء.

4 ـ " البونتارشي". أو التحالف الخماسي.

هذا التعبير هو من أصل يوناني، يشير إلى ممارسة السيطرة من قبل خمسة قوى. من بين الأمثلة على هذا النموذج نأخذ:

أولا: المحيط الأوربي في القرن التاسع عشر. النمسا ثم النمسا ـ هنغاريا، فرنسا، بروسيا ثم ألمانيا، بريطانيا وروسيا. كانت هذه القوى تسيطر على أوربا وتوافقها كان ضروريا من أجل تنظيم الحياة في هذه القارة، ولكن هذا لا يعني غياب الصراع والتنافس فيما بينها.

الثاني: في عالمنا اليوم هناك " بونتارشي" قانونية تتواجد في قلب الأمم المتحدة وهي مجلس الأمن الدولي المكون من خمسة أعضاء دائمين. وهي تشبه المثال السابق من حيث انتظام العالم وفقا للتناغم فيما بينها، رغم أن الكثير من الصراع يتخلل هذا التناغم. يمكننا أيضا تخيل "بونتارشي" آخر من الممكن حصوله وهو

(أمريكا الشمالية، أوربا الغربية، روسيا، اليابان والصين).

5 ـ نموذج التعددية القطبية.

علينا في البادية التمييز بين معناها القانوني و معناها السياسي. قانونيا: التعددية القطبية هي حالة القـانون المـشترك، والـذي يتطـابق أو يتوافـق مـع المـساواة في الـسيادة بـين الـدول ومـع قـدرتها القانونية،مشاركتها في المنظمات الدولية وفي المفاوضات التي تجري هنـا وهنـاك في العـالم. سياسـيا:بـسبب التعدد الكبير والاختلاف بين الدول، وجود الأقطاب المتعددة والمستقلة يقود إلى عدم الانتظام، وعلى عـدم إمكانية تعريف ووضع قواعد مشتركة وإدارتها للعلاقات الدولية.

بالمقابل يمكننا تخيل النموذج الإيجابي للتعددية القطبية.إنها تفترض مجموعة من أشكال التنظـيم، والتي يمكنها الانتشار وفق مخطط إقليمي. (أوربا مثلا). إن عقلنـة التعدديـة القطبيـة تتطلـب تمييـزا بـين مخطط إقليمي و آخر عالمي والعديد من تنظيم الأمور بينهما. ثم يمكن قيامها من خلال المنظمات الدولية والإقليمية والتي يمكن أن تعطيه نطاق أو محيطا مستقرا.

الفصل الثالث

الشرعية الإعلامية الهادفة ومعادلة المال

الفصل الثالث

الشرعية الإعلامية الهادفة ومعادلة المال

كان الإعلام في الماضي يُوظّف ليكون أداة ترفيه وترويح وتسلية، يعيش على هوامش المجتمع وفي خارجه، فهو اليوم في صميم المجتمع، يوظف الترفيه والتسلية لأداء رسالة، وإيصال فكرة، وتشكيل العقل، وصناعة ذوق عام، وزراعة اهتمامات معينة، حتى إنه لم يكتف برصد الحدث، وإيصال المعلومة، بل أصبح بما يمتلك من قوة وعوامل تأثير و ضغط وتحكم، يقوم بصنع الحدث، والتحضير له في الوقت نفسه.

"وتبرز وسائل الإعلام بصفتها أهم وأخطر المؤسسات الاجتماعية التي تساهم بدور فاعل ومؤثر في صياغة الصور الذهنية والنمطية في العقل الجمعي للمجتمعات الحديثة.

فالإنسان عموماً - وإنسان العصر بخاصة - يعيش في عالمين مختلفين؛ أحدهما قريب ولكنه صغير ومحدود، وهو محيطه المباشر الذي يستقي معلوماته عنه بنفسه مباشرة عن طريق حواسه التقليدية. أما العالم الآخر فهو عالم بعيد ولكنه الأوسع والأرحب، وهو ما لا يستطيع إدراكه مباشرة عن طريق الحواس؛ فيلجأ إلى استقاء معلوماته عنه وبوساطة وسائل النقل و الاتصال والتفاعل الاجتماعي. وهذا العالم يسمى (العالم المنقول) في مقابل العالم المحسوس. وهذا العالم المنقول هو الذي يتألف من الصور الذهنية والنمطية التي تصنعها أو تنقلها وسائل الإعلام والاتصال بالدرجة الأولى".

ويعتبر التلفاز منذ ظهوره سيد المجتمعات ومصدر الترفيه الأول. اقتحم جميع البيوت ووصل إلى القرى والبوادي، وقد أثر التلفاز على مكانة الإذاعة لكنه لم يلغها، كذلك تأثرت الصحافة بالتلفاز سلباً.

إن وسائل الإعلام على الرغم من تطورها الكمي والمعنوي تؤدي دوراً تكاملياً وليس تنافسياً؛ فالصحافة تعرض برامج التلفاز القادمة وتحللها، والإذاعة تنقل أخبار

الصحف وتحليلاتها، ولا يخلو التلفاز من الإشارة إلى الصحافة وأخبارها وجديدها، كذلك الإنترنت لعبت دوراً شبيهاً في ذلك، فأصبحت تقدم مواقع للصحف والإذاعات وقنوات التلفاز، وتدمج أحياناً بين هذه الأدوات في نفس الموقع مع خيار واسع للمستخدم وقدرة تفاعلية كبيرة. إن التنافس بين التلفاز والإنترنت على استقطاب الناس أبرز ظاهرة إعلامية في بداية القرن الحادي والعشرين.

يتميز الإنترنت بمجالات متعددة لا ينافسه فيها التلفاز - حالياً- ومنها البريد الإلكتروني، والتسوق، والمحادثة، فضلاً عن تصفح ملايين المواقع الخدماتية والمعلوماتية والترفيهية.

و هناك تطور متسارع في تقنيات التلفاز، ومنها التحول إلى البث الرقمي. هذا النظام يتوافق مع نظام الكمبيوتر مما يؤدي - قريباً جداً- لصيغة تكاملية بين الكمبيوتر والتلفاز، وسيكون التلفاز جزءاً من الكمبيوتر أو العكس، وسترتفع التفاعلية بدءاً من حرية اختيار البرامج وتوقيتها وتسجيل موادها وبرمجة مواعيد البث وعرض معلومات تفصيلية حول البرامج، وأيضاً إمكانية مشاهدة أكثر من قناة في وقت واحد.

ولاشك أن عملية الإعلام بأدواتها المختلفة يحكمها قضية أساسية ألا وهي المال. وبما أن الإعلام صناعة متكاملة (تجاوز الإنفاق على الإعلام ألف بليون دولار أمريكي) فإنما يحكمها - بشكل أساسي - الجدوى الاقتصادية (على الرغم من وجود البعد السياسي أو الشخصي أحياناً خصوصاً في العالم الثالث).

"يأتي التمويل للمؤسسات الإعلامية من عدة طرق، أشهرها هو الإعلان التجاري، أو من خلال جهة رسمية (كحكومة مثلاً). وهناك القنوات المشفرة التي تعتمد على الاشتراكات، بالإضافة إلى عائدات الرسائل الهاتفية، والتي أضحت مصدراً لا بأس به لتمويل القنوات الفضائية، وإن كانت مورداً غير ثابت، ذلك أنه مرتبط بمشاركة الجمهور، ولذا تلجأ بعض القنوات الفضائية إلى إثارة موضوعات حسّاسة اجتماعية أو طائفية أو سياسية لكي تغري الجمهور بالمشاركة. وهناك طريقة التبرعات وهذه مطبقة في الولايات

المتحدة وبعض الدول الأوروبية حيث يساهم المشاهدون عبر تبرعاتهم لقناة معينة، والتي عادة ما تكون قناة اجتماعية هادفة (من أمثلتها خدمة التلفاز العام (PBS).

في الورقة التالية سنحاول سبر العلاقة المعقدة بين الإعلام والمال، وسنشير إلى الواقع الغربي في الإعلام ثم العربي، ونختم بتحليل العلاقة بين المال والإعلام الهادف، مع خاتمة تتضمن توصيات عملية، سائلاً الله أن يكون فيها النفع والفائدة.

الإعلام الغربي

ينقسم الإعلام في النموذج الغربي إلى نموذجين معروفين: الحكومي والخاص.

أولاً: الإعلام الحكومي الرسمي:

في هذا النموذج هناك اختلاف بين أمريكا وأوروبا؛ ففي أمريكا لا يوجد إعلام رسمي موجه للمواطنين.

هناك إعلام خارجي موجّه لأغراض سياسية لخدمة أهداف الحكومة، وتشرف عليه الخارجية الأمريكية (مثل إذاعة سوا وقناة الحرة)، وهذا له ميزانية خاصة يعتمدها الكونغرس الأمريكي، ولا تخضع لأبعاد الربح والخسارة.

في أوروبا سيطر الإعلام الحكومي، وخاصة في التلفاز، وهناك عدة صيغ له (في الجانب التمويلي):

- (بي بي سي) البريطانية وهي هيئة حكومية مستقلة تغطي إيراداتها بالكامل من اشتراكات المنزل في بريطانيا -وبشكل إجباري- لكل من يشاهد القنوات، ولا تعرض إعلانات تجارية بتاتاً.
- النموذج الفرنسي والألماني حيث هناك مجموعة من القنوات التلفازية شبه الحكومية، والتي تغطي ميزانيتها بشكل جزئي من الإعلانات، إضافة إلى الدعم الحكومي السنوي، وهو على نوعين:

- القنوات الترفيهية المنوعة العامة: وهذه تكثر فيها الإعلانات نظراً لكثرة المشاهدين.

- **النوع الثاني**: الثقافية المعرفية مثل قناة (arte) الألمانية الفرنسية المشتركة، حيث يزداد الدعم لقلة الإعلانات التجارية.

ثانياً: الإعلام الغربي الخاص أو الأهلي

ينقسم إلى ثلاثة أنواع معروفة:

- الإعلام الديني الكنسي: وهو محدود الانتشار نسبياً، على الرغم من تأثيره الملموس، ويتغذى بصفة رئيسة من المنظمات الكنسية، إضافة للتبرعات.

- إعلام تجاري بحت يعتمد أسلوب إعلام الخفة والترفيه والمنوعات، وله صياغتان: الأولى: تعتمد بشكل كلي على الاشتراك أو الشراء، ويمثلها المجلات الجنسية، وكذلك القنوات الجنسية، وقنوات الأفلام وتكاد تغيب عنها الإعلانات.

النمط الثاني: يعتمد صيغة الإعلان التجاري كمصدر رئيس للدخل، وقد يكون هناك دخل إضافي من الشراء أو الاشتراك، ويمثلها الصحف اليومية، وأغلب المجلات، وكذلك القنوات التلفازية.

الإعلام الجاد أو القيمي أو الهادف أو المعرفي، ويمثله ثلة من المجلات والقنوات التلفازية، ودخلها فقط أو بشكل شبه كلي على الاشتراكات والشراء. مثال ذلك في المجلات مجلة (ناشيونال جيوغرافيك) الأمريكية، ومجلة (جيو) الألمانية، ومجلة (فوكس) البريطانية.

هذه المجلات الرصينة الهادفة العلمية الثقافية ناجحة بالمقاييس المادية، وعلى الرغم من ضعف أو انعدام الإعلانات إلاّ أنها ناجحة، وتعتمد على دخلها من المبيعات والاشتراك..

(هذه النماذج قد لايصح استنساخها في العـالم العـربي؛ حيـث مازالـت تجربـة (popular science) الأمريكية ماثلة للعيان.. كانت نسخة عربية من المجلة الأمريكية الشهيرة صدرت لمـدة سـنة، ثـم توقفـت لضعف المردود المـادي!). في الجانـب الـصحفي هنـاك صـحف غربيـة عريقـة جـادة وناجحـة أيـضاً مثـل: (فاينشال تايمز) البريطانيـة، و(وولـت سـتريت) الأمريكيـة. وهـي صـحف المـال والأعـمال، ومـع ذلـك لهـا جمهورها الكبير، وهي تعتمد - كبقية الصحف - على دخلها الإعلاني وليس على المبيعات..

في الفضائيات الغربيـة الجـادة الهادفـة المعرفيـة هنـاك نمـاذج ناجحـة ماديـاً تمامـاً، ومـن أبرزهـا مجموعة ديسكفري (7قنوات) والتي بدأت بقناة واحدة..

نموذج ديسكفري اعتمد على عنصرين – في الرؤية المادية –.

الأول: الدفع مقابل المشاهدة (القناة بالاشتراك فقط ولاتبث مجاناً أبـداً، وأحيانـاً ضـمن باقـة مـن القنوات المدفوعة).

الثاني: المقابل المعنوي (value for money) (وهو غير معروف في العالم الثالث).

بمعنى أنك ستحصل على قيمة تماثل ما دفعته للاشتراك بالقناة..

أي أن نوعية البرامج ومـستواها تـستحق الـدفع.. فهـي حرفيـة عاليـة المـستوى باسـتخدام أفـضل التقنيات، وأيضاً تُقدّم بطريقة امتاعية للمشاهد لايشعر انه انها برامج هادفة وجادة (على الرغم من أنهـا كذلك).

ولايفوتنا ذكر قنوات (ناشيونال جيوغرافيك) وهي شبيهة - في النموذج التسويقي - لديسكفري..

الإعلام العربي

ينقسم الإعلام في العالم العربي من حيث الملكية إلى قسمين:

النوع الأول: الإعلام الرسمي

تموّله الحكومة التي أنشأته ولايستهدف الربح، وبعضه لايقبل الإعلانات أصلاً، وأغراضه سياسية بالدرجة الأولى ومعادلة الربح والخسارة غير واردة فيه إطلاقاً ممثل غالباً في الإذاعة والتلفاز، ويندر وجود صحافة حكومية واضحة (وإن كانت بعض الصحف تمثل نَفَساً رسمياً واضحاً).

النوع الثاني: الإعلام الخاص

وهو الذي يعتمد في تمويله على أصحابه وملاّكه.

وهو بدوره ينقسم إلى أنواع بحسب أغراض مموّليه:

1- إعلام دعائي: (ويكثر في القنوات الفضائية)، وقد يكون للجهة أو الملاّك أو المالك.

2- إعلام قيمي: وهو الذي يقدم رسالة هادفة، وغالباً مايكون إسلامياً.

3- إعلام تجاري: وهو الذي يستهدف الربح، ويُدار بصيغة تجارية بحته، وينظر للمحتوى والرسالة التي تحقق الأغراض التجارية ضمن الضوابط والقوانين المحلية إن وُجدت.

في صحافة العالم العربي يغلب النوع الثالث، على الرغم من أن هناك محاولات في الصحافة الاقتصادية، لكنها تحوّلت مع مرور الوقت إلى كوكتيل.. وبالنسبة للإذاعة فهي رسمية محتكرة غالباً، وقلّما توجد إذاعات خاصة في العالم العربي (فضلاً عن أن تكون جادة هادفة)..

في الفضائيات العربية هناك صيغتان:

الأولى: المشفرة

وتجارب الإعلام العربي الترفيهي فيها غير ناجحة، ومثال على ذلك شبكتا (أوربت) و(شوتايم)، واللتان اندمجتا حديثاً لتقليل الكلفة والوصول للربحية، وقد يُستثنى

جزئياً شبكة (ART) فهي قد نجحت بسبب احتكار المباريات الهامة، ومع ذلك فإن صالح كامل مازال يـئنّ من فك التشفير..

في جانب التلفاز المدفوع (الاشتراك) لابد من استحضار عناصر أساسية في ذلك العالم العربي:

- الكثرة الهائلة من القنوات المجانيـة ذات التنـوع الـشديد في القنـوات مـن رياضـة، أفـلام، أغـان، منوعة، إخبارية

- عدم تعوّد المشاهد العربي على الدفع مقابل المشاهدة (نماذج أوربت وشوتايم غير الناجحة).

- عدم تقدير الكثير من المشاهدين لقيمة المادة البرامجية المتميزة.

الثانية: المفتوح

وهو يعتمد في الدخل على الإعلانات والرعاية وشريط الرسـائل. القنـوات الجـادة والهادفـة في هـذا النمـوذج تتباين؛ منها ما يمثل المشروع استنزافاً مالياً كاملاً، ومنها ما لديه دخل، لكنه يغطي التكاليف جزئياً.. ولايُعرف عـن قنـاة ناجحة - مادياً- من هذا النموذج، ويُذكر عن بعضها نجاح مادي وازدهار في بعض فتراتها، ولكن تـدهور الوضـع بعـد ذلك..

الإعلام الهادف

يمكن تقسيمه إلى نماذج متعددة كالآتي:

أولاً: الدعوي

إعلام هادف إسلامي دعوي بحت (كقناة للتعريف بالإسلام مثلاً أو مواقع دينية صرفة).

وهو يعتمد مالياً على قدرات أصحاب المشروع المالية وإمكانيات التمويل لديهم، وغالباً مصدرها زكوات أو صدقات، ويُفضّل وجود أوقاف ثابتة محددة.. (بعض المواقع الإسلامية والقنوات الدينية مثل قناة بيس Peace).

"تقرَّر في الشريعة الإسلامية أنها جاءت لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، ولهذا شاع عند أهل العلم، أن مقاصد الأحكام مصالح الأنام، وأن مبنى الشريعة تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنها جاءت لتحقيق خير الخيريْن ودفع شرّ الشرّيْن، وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما عندما تتلاقى المصالح والمفاسد في مناط واحد، أو يستلزم أحدهما الآخر لسبب أو لآخر (الموافقات للشاطبي).. فالنفقة من الأموال على الأنشطة الإعلامية هي من فروع هذا الأصل، وهي من مسائل السياسة الشرعية التي لايُشترط فيها أن تكون على مثال سابق."

ثانياً: الهادف

إعلام إسلامي هادف عام منوَّع ثقافي (بعض المجلات الإسلامية وبعض القنوات الإسلامية أما الإنترنت فعالم واسع، ويصعب فيه التحليل للإعلام الهادف، لكن أغلب التجارب الإعلامية (بما فيها الغربية) غير اقتصادية حتى الآن، وبالتالي فلايتوقع نجاح النماذج الإسلامية والهادفة اقتصادياً في العالم العربي.. هذا النموذج ينبغي أن يُدار - كعمل - بصيغة تجارية بحته، ويعتمد بشكل كبير رئيس على عائدات النشاط من إعلانات ورعاية ورسائل، ويستهدف الربحية، وقد تكون لذاتها أو للتوسع أو للتطوير، لكن يتوقع أنه يحتاج لدعم جزئي للاستمرار والتطوير، ولابد أن توفّر له تبرعات موسمية للاستمرار.

ثالثاً: الآمن

إعلام منوَّع آمن (كالقنوات الترفيهية أو مجلات التسلية، وهـي تبقـى ضـمن الـضوابط الإسـلامية) ويغلب عليه العمل التجاري البحت، بمعنى أن العائد المادي الماثل أمام العيان لضمان الاستمرار دون دعم مادي خارجي.. وهي مشاريع تجارية إعلامية تقدم البديل المقبول الـذي يتوافـق مـع الـضوابط الـشرعية، ويحقق أهدافه في الوصول إلى المستهدف وإقناعه، وبالتالي ضمان العائد المادي مـن ذلـك، إمـا مـن خـلال الدفع الجزئي أو مع الإعلانات التجارية.

تساؤلات وتحليلات

هي ضرورية لتفهم آلية المشاريع الإعلامية وأساليب إنجاحها مادياً.

أولاً: الاقتصاديات

- لابد من عمل دراسة جدوى اقتصادية تفصيلية لأي مشروع إعلامي، حتى لو كان المشروع لايُتوقّع أن يدر عائداً. دراسة الجدوى توضح – بشكل معقول – احتياجات المـشروع الماديـة ومـصادر الـدخل المحتملة وتقييم المشروع – من جانب اقتصادي – بشكل يوجه القائمين عليه للإقدام أو التريـث أو حتى إلغاء الفكرة بالكلية.

- العائد الأدبي: (للمشاريع الإعلامية الدعوية البحتة) ينبغي تحليله؛ لأنـه قـد تُنفـق أمـوال ضـخمة في مشاريع إعلامية هادفة، لكن المستفيدين قلة، ويمكن التواصل معهم - إن لزم الأمر - بطرق أخـرى أقل كلفة. (تخيل موقعاً إسـلامياً عـلى الإنترنـت زوّاره في اليـوم بالمئـات، ويُـصرف عليـه آلاف مـن الدولارات....!!

- اقتصاديات الإعلام تشمل عبارة شائعة (العائـد مقابـل المـالvalue for money)، وهـي وإن كانـت تُوصـف بهـا الـسلع، إلاّ أن الأمـر ينطبـق أيـضاً عـلى المنـتج

الإعلامي. أما المنتجات المدفوعة فلابد أن يكون العائد - بالنسبة للمستفيد - مجزياً وعادلاً. أما المنتجات الإعلامية المجانية (القنوات الفضائية مثلاً) فلابد أن تكون الوصولية للمستهدف عالية، وبالتالي تقنع المعلن؛ لأنه يجد عائداً مقابل مايدفعه على الإعلان. لكن لابد من الإشارة إلى أن هناك عوامل أخرى غير مهنية قد تحكم عملية الإعلانات، مثل: البعد السياسي؛ فقناة مثل (الجزيرة) لم تحصل على الإعلانات التي تمثل كثرة المتابعين لها لأسباب سياسية حكومية بحتة، كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين، وأحياناً تتدخل العلاقات الشخصية والمصالح المتبادلة، فتلعب دوراً في ذلك.

ثانياً: المستهدفون

- لابد من تحديد المستهدف في المشروع الإعلامي وخصائصه واهتماماته وحجمه، والخيارات المتاحة أمامه، ولماذا سوف يقبل على خيارنا الجديد بالنسبه له، وهل هناك تكلفة بالنسبة له؟ وهل هي معقولة وضمن قدراته؟

- هل المشروع الإعلامي - المقترح - يمثل حاجة للمستهدف؟ وهل هذه الحاجة حقيقية أم متوهمة؟ وهل هي مبنية على معلومات أم توقعات؟ وهل هو يسدّ ثغرة غير متاحة بالنسبة له له أو متاحة من خلال آخرين لكن بشكل غير مرض؟

- الشريحة المستهدفة بالنسبة للمشروع: هل هي متجانسة أم مفككة؟ وهل هي مركزة في منطقة معينة أم متناثرة؟ وهل الوصول إليها صعب أم سهل؟

- لابد من عمل الدراسات الميدانية واستطلاعات المستهدفين تجاه المشروع ومدى جدواه لهم.

- هل المشروع منافس لما هو قائم (إن وُجد)؟ وهل هو - من حيث المحتوى والأساليب الفنية المقترحة - قادر على المنافسة أصلاً؟

- ما نريد أم ما يريدون أم ما يحتاجون؟ عند الحديث عن المحتوى الإعلامي - كي ينجح المشروع مادياً - لابد أن يحقق عناصر أساسية، وهي بدلاً منها: أنه يقدم ما يحتاجه الناس وما يريدونه (بالطبع ضمن الضوابط الشرعية، وليس على الصيغة الشعبية "الجمهور عاوز كده")، وليس تقديم ما نريده نحن فحسب؛ فهذه معتبرة لكن ليس بشكل كلي.. دراسة واقع المجتمعات الحالية والتغيرات التي تنتابها، ومن ضمن ذلك الجانب الإعلامي ومعرفة توجهات الناس حياله..

"في عصر صناعة الإعلام، الإعلام الجديد والإعلام التقليدي، أخذ الإعلام أبعاداً جديدة يجب على العاملين فيه أن يبنوا عليها خططهم وإستراتيجياتهم، ومنها:

أولاً: نقطة الانطلاق ومرتكز العملية بكاملها، تحديد الحاجات التي تعمل منتجاتنا الإعلامية على إشباعها في المجتمع، وحجم هذه الحاجات...

ثانياً: وضع مواصفات للمنتجات الإعلامية وفق رغبات الجمهور وطبيعة الحاجات التي ستلبيها هذه المنتجات، دون إخلال بالمادة الأساسية لكل منتج إعلامي (الحق)، والقيم التي يفرضها (الحق) في مادته.

ثالثاً: التقنيات

- الإعلام والتقنيات قضية هامة، ومن الأولويات في أي مشروع إعلامي معرفه الأبعاد التقنية فيه، وإمكانية الاستغلال الأمثل لها في المشروع.. قد تكون توفيراً في الكلفة، أو تحسيناً في الشكل، أو تسهيلاً في الوصول للمستهدف، أو تطويراً في المحتوى..

- في المؤتمر العالمي للصحافة، والذي يحضره أكثر من ثلاثة آلاف قيادي في عالم الصحافة والمجلات.. كان المتكلم نائب رئيس نوكيا والذي بدأ يتساءل: تستغربون وجودي معكم هنا، وأنتم أهل الصحافة والإعلام وأنا من أهل الاتصالات.. أليس كذلك؟! سأجيبكم: ترون هذا الجهاز الذي بيدي الآن.. هذا هو مستقبل

الإعلام.. في هذا الجهاز أتابع مجلتي المفضلة وأقرأ صحيفتي اليومية، وأتصفح الإنترنت، وأشاهد مبارياتي الرياضية، وإضافة إلى ذلك أسجل لقطات مصورة لمؤتمرنا هذا، وأرسلها للمركز الرئيس للشركة، ولا تنسوا أن هذا الجهاز للاتصال قبل ذلك، ولأشياء أخرى لا تخفى عليكم..". بالطبع الكثير من التغيرات تحدث في مجال الإعلام؛ فالصحافة - بالأخص في العالم العربي - في انحدار، والإنترنت أصبحت سوقاً ضخمة وخياراتها هائلة، والقنوات من الكثرة لدرجة أننا لا نستطيع أن نحصيها. إن معرفة التوجهات الإعلامية وعلاقتها بالجوانب الاجتماعية مهمة جداً قبل التفكير الجاد لأي مشروع إعلامي جديد؛ لأن الأمر قد يكون فكرة قديمة عفا عليها الزمن!

رابعاً: البرامج

- في القنوات الفضائية تمثل تكلفة البرامج ما يقارب 70% من التكلفة الاجمالية، وهي نسبة باهظة، و على الرغم مما يُقال عن انخفاض تكاليف القنوات الفضائية، إلاّ أن الأمر ليس كذلك؛ فتكاليف إنتاج البرامج في ازدياد على الرغم من انخفاض كلفة الأجهزة؛ لأن التكلفة الكبرى هي في الجانب البشري. لذلك فإن الإنتاج التلفازي ينبغي أن يكون معتمداً على أفكار جديدة إبداعية، قليلة الكلفة؛ كي تستطيع الفضائيات الهادفة أن تصمد مالياً مع تقديم محتوى معقول وجاذب فنياً.

خامساً: الطاقات البشرية

- من المهم لأصحاب المشروع الإعلامي الهادف توفير طواقم إدارية وفنية قيادية متخصصة عالية المستوى لتحقيق الأهداف.. وإلاّ أصبحت العملية رقماً إضافياً وأموالاً مهدرة.

- تعمد الكثير من المشاريع الإعلامية الهادفة إلى البحث عن الطاقات البشرية منخفضة التكلفة (لأسباب مادية للتوفير بحسب ظنهم)، ولكن هذه المعادلة غالباً

ما تكون فاشلة.. فالعناصر هذه قد تكون ضعيفة القدرات قليلة الخبرات، ينعدم عندها الإبداع، وتبحث فقط عن وظيفة.. أو قد تكون محبة للخير، راغبة في النفع، لكن غياب التخصص وضعف الإمكانات لديها قد يتسبب في منتج إعلامي ضعيف جداً، وبالتالي الفشل هو النتيجة والنماذج هنا (خصوصاً في القنوات الإسلامية) كثيرة جداً.

- الاستشارة ضرورية في المشاريع الإعلامية لتداخل عناصر كثيرة، منها: اجتماعية، تربوية نفسية، اقتصادية، لذلك لابد من الاستفادة من أهل الاختصاص في ذلك؛ لأن الإعلام يتداخل مع جميع مفاصل المجتمع.. والاستشارة لابد أن تكون بطريقة علمية مهنية من خلال ورش عمل متخصصة، يشارك فيها الكفاءات الأكاديمية، وكذلك أصحاب الخبرات المحتملة في المشروع الإعلامي.

تجارب إعلامية هادفة ناجحة

قبل الحديث عن بعض النماذج ينبغي الإشارة إلى ندرة المعلومات، خصوصاً في الجانب المالي للمشاريع الإعلامية في العالم العربي، سواء الهادفة أو غير الهادفة، بخلاف الوضع في الغرب؛ فالمعلومة متاحة -وبشكل دقيق- لكل ما يحتاجه الباحث.

- تجربة (المجد) والتي نجحت في استقطاب عدد ضخم من المشتركين (ما يقارب ربع مليون) وأرباح بضعة ملايين. هذا النجاح المادي أمام تحديات بقدرته على الصمود والاستمرار، مع تململ الكثير من المشتركين، وعدم تجديد البعض، ووجود خيارات جديدة.

- من التجارب الناجحة في الإعلام الهادف الجاد بعض الإنتاجات التلفازية الإسلامية: بعض البرامج التي تُعرض في القنوات الإسلامية تنتجها مؤسسات متخصصة، وتعتمد في تغطيتها تكاليفَ البرامج على الرعايات والإعلانات، ويكون دور القناة فقط العرض (دون تحمل تكاليف الإنتاج)، وهذه التجارب جيدة جداً

وآثارها ملموسة.. والجميع يحقق أهدافه؛ القناة تعرض مادة هادفة جيدة بتكلفة صفر.. مؤسسة الإنتاج تنتج البرامج وتغطي تكاليفه مثل البث.. المشاهد يتلقى مادة هادفة جادة دون تكلفة أيضاً.. والأمثلة في هذا معروفة (برنامج توقيعات).

- من المشاريع الناجحة في الإنتاج التلفازي الهادف جهود بعض مؤسسات الإنتاج الإسلامية التي استطاعت إنتاج برامج متوسطة التكلفة، واستطاعت تسويقها على عدد من المحطات الإسلامية ضمن خيارات متعددة (عرض أول، عرض ثانٍ، حقوق عرض مفتوحة)، وغطت تكلفتها وبأرباح لابأس بها.. على الرغم من أن القنوات تدفع مبالغ يسيرة مقابل شراء حقوق عرض البرامج من مؤسسات الإنتاج، مما يحدّ من دورة الإنتاج التلفازي المستقل..

- بعض إنتاج الكاسيت الهادف، والذي يتميز بمحتوى ممتع وجديد ونافع، ويقدم بطرق متعددة منها اسكتشات ومواقف درامية.. وتم تغطية التكلفة من خلال رعاة يُذكرون في الشريط، وكذلك من المبيعات.. بالطبع لا ننسى الفترة الذهبية للكاسيت، والتي وصل توزيع بعض الأشرطة فيها إلى مئات الآلاف، وحققت أهدافاً مادية جيدة، على الرغم مما شاب بعض التجارب من اعتبار دعم المحسنين للشريط نوعاً من الدخل التجاري.

قناة (طيور الجنة)

من النماذج الناجحة التي تستحق الإشارة إليها قناة (طيور الجنة)، وهي فكرة بسيطة لرجل وأسرته. لم تكن القناة إلاّ منتجاً تجارياً، وكان المشروع تحدياً لصاحبه؛ إذ لم يكن يملك إلاّ منزله فغامر في المشروع ونجح.. نجاح القناة التجارية ومنتجاتها التجارية لم يكن إلاّ جزءاً من علاقة تجارية تم بناؤها تمثل إنتاجاً متنوعاً من الملابس والأدوات المدرسية للأطفال.. من أسباب النجاح بساطة الفكرة وحاجة المجتمع، وأيضاً الضوابط الإسلامية (الواسعة)، والتي ناسبت شريحة كبيرة من الناس.

تطوّر هذا النموذج، فبدأت الفرقة التي تقدم أناشيدها عبر القناة تقديمها في مهرجانات عامة يحضرها آلاف، ويدفعون مبالغ مالية للحضور، وتبقى المعادلة ناجحة؛ المنظمون استفادوا، والفرقة استفادت، والجمهور استمتع مقابل ما يدفعه.

والمشروع لو تم توجيهه ودعمه قليلاً لتحول لنموذج ممتاز للإعلام الهادف الناجح معنوياً ومادياً.. يفوق قنوات أطفال عريقة مدعومة إعلامياً بملايين الدولارات..

برنامج (الحياة كلمة)

وهو من أقوى البرامج العربية وأنجحها جماهيرياً ومادياً؛ فالتخطيط والإدارة والإشراف، وبما فيها تكاليف إنتاج البرامج من قبل فريق الشيخ سلمان العودة، وكذلك عائدات البرنامج للمؤسسة المنتجة (الرعايات التجارية). نجح البرنامج من خلال المعادلة التالية: برنامج جماهيري +قناة جماهيرية + عائد إعلاني مناسب = نجاح

قناة (الفجر)

قامت القناة بحملة دعائية قوية من خلال القناة طلب تبرعات لاستمرار القناة من خلال وسيلة سهلة وسريعة وعملية تتمثل في رسائل الجوال بأسعار أعلى من المعتاد (10ريال) مع عرض المبالغ التي تم توصيلها على الشاشة أولاً بأول والمبلغ المستهدف.. نجحت إلى حد كبير..

نموذج قناة (الحكمة)

تم تحويل المشروع إلى شركة مساهمة عامة مسجلة في الإمارات (رأس الخيمة) الجزء الرئيس من الأسهم (الثلثين) للمؤسسين، والثلث لعامة الناس، وقيمة السهم في متناول عامة الناس (285دولاراً)، مع توضيح كامل ومعلن لإستراتيجية القناة للسنوات القادمة (توسع نطاق البث – إذاعة الحكمة...) بمعنى آخر اشتراك المساهمين في المشروع بتفاصيله كافة.

خاتمة (حلول ومقترحات)

الهدف من هذه المقترحات توسيع دائرة الرؤية للمشاريع الإعلامية الهادفة في الجانب المالي؛ كي تستطيع أن تحقق أهدافها بالتعاون مع الجهات الأخرى المؤثرة في المجتمع.

- المؤسسات الخيرية الداعمة

تضع ميزانية سنوية (في خانة بضعة ملايين) لتبني إنتاج برامج تلفازية هادفة وراقية تمثل إضافة حقيقية لشاشة القنوات الهادفة.

- مؤسسات الإنتاج

زيادة أعداد مؤسسات الإنتاج الهادفة بحيث يكون لها دور أساس في تغذية القنوات بالبرامج وأن تعمل - بشكل مستقل عن القنوات - لإيجاد رعاة ومعلنين عن البرامج المنتجة، بحيث تُقدّم للقنوات بشكل مجاني لبثّها..

- دعم المشاهدين للبرامج

وهذا النموذج قد يكون معروفاً في أمريكا، وخاصة في البرنامج الدينية الشهيرة حيث يتحول "الداعية" إلى مسوق، ويطلب من الجمهور (في حال رضاهم عن البرنامج) الدعم المباشر من خلال أرقام حسابات (إيداعات) أو بطاقة فيزا..

- التسويق قبل البرنامج

وهذا ممكن في برامج معينة ذات طبيعة قابلة للتسويق؛ فمثلاً برنامج عن البيئة يتفق مع مؤسسة/ جهة مختصة بهذا النشاط لرعاية البرنامج بالكامل، ومثله بعض البرامج الاقتصادية.. وأحياناً يتم صياغة البرنامج بالكامل بالتنسيق مع الجهة الداعية بحيث يحقق أهدافه كجهة ربحية أو حتى غير ربحية.

- **الصحف والمجلات ونظام الملاحق**

تعمد الكثير من الصحف والمجلات لإصدار ملاحق هدفها العائد الإعلاني.. وهذا الأمر ينسحب حتى على الصحف العالمية المحافظة والمتخصصة (نيويورك تايمز)، بل تفاصيل هذه الملاحق ومحتوياتها الصحفية تُعدّ بالتنسيق بين وكالات الإعلان والصحيفة. وهذا النموذج ناجح جداً له مردود مال عالٍ. بالطبع هذا النموذج ينطبق على الصحف القوية القائمة.

- **الوقف الإعلامي**

بعد انطلاقة قوية للمؤسسات الخيرية (في السعودية) واجهت الكثير من المشاريع تحدّياً في الجانب المالي، وكان لأحداث سبتمبر انعكاساتها المحلية؛ إذ انخفض الدعم المالي بشكل ملموس. هذا الأمر دفع هذه المؤسسات للعمل على إنشاء أوقاف تدرّ عليها عائداً ثابتاً يغطي مصاريفها السنوية، ونجحت الكثير من المؤسسات (خاصة الكبيرة) في ذلك. هذا الأمر من الممكن أن ينعكس على الإعلام الهادف، بل هو أولى به؛ نظراً لطبيعة الإعلام من حيث ارتفاع الكلفة، وقلة العائد، أو انعدامه بالكلية أحياناً. هذا الأمر يحتم - وبشدة - وجود أوقاف لدعم الإعلام الهادف (بكافة أنواعه) بالذات الدعوي.

- **كون بعض المشاريع على شكل شركات مساهمة**

"مرتكزات أساسية لنجاح الإعلام الهادف...

المرتكز المالي: رأس مال مستثمر بطريقة صحيحة، بتحويل المؤسسات الإعلامية إلى شركات مساهمة للحصول على التمويل، وكسب قاعدة كبيرة من الملاك وحملة الأسهم.

المرتكز التسويقي: (توسيع قاعدة العملاءcustomer base) من خلال زيادة عدد مشتركي التلفزيون المدفوع أو من خلال تبني برامج جديدة تمثل قيمة مضافة للمشاهد. "

- **الاندماجات**

في عالم الإعلام اليوم لا يعيش الصغير، فقط الكبير هو القادر على الصمود والمنافسة. إن في وجود العديد من المشاريع الإعلامية الهادفة -كما هو في الفضائيات الإسلامية- إيجابية عظمى؛ إذ تمثل منافسة عددية مع الغير، وتقدم خيارات متنوعة للمشاهد. في نفس الوقت تمثل العملية تحدّياً مالياً واستنزافاً للقدرات المحدودة المتاحة. إن عملية الاندماج بين القنوات الضعيفة والمتشابهة في الفكرة سيقلل العبء على الجميع، وقد يكون سبباً للنجاح المادي، فضلاً عن الفني.

- **التنسيق والتعاون والتكامل**

هذه الآليات تستخدمها الشركات الكبرى الإعلامية في أمريكا في بعض الأسواق حيث الجميع ضعيف نسبياً. التكامل يتمثل في تدوير البرامج بين القنوات، والنقل المشترك، والشراء الموحد، والإنتاج المشترك للبرامج المكلفة. هذه الآليات تساعد على تقليل التكلفة وزيادة فرص النجاح للجميع. هذه الصيغة تستخدمها الشركات التجارية الغربية، وبالتالي فالأمر أولى لدى مؤسسات الإعلام الهادف حيث الأهداف مشتركة.

- **مبادرات الجهات الرسمية أو الجمعيات الأهلية لدعم الإنتاج الإعلامي الهادف**

مثال ذلك ما أعلنت عنه مؤسسة (ابتكار) التابعة لحكومة أبو ظبي، عن إطلاق المختبر الإبداعي الذي سيوفر منح تمويلية للمواهب العربية الشابة، وسيحفّز من إبداعهم، في خطوة طويلة المدى، وتهدف إلى تأسيس قطاع إعلامي مستدامٍ بعالمنا العربي، وتقدم التمويل للمؤسسات الإعلامية والترفيهية، وتتضمن المنح التمويلية للمواهب العربية من دولة الإمارات العربية المتحدة ودول الشرق الأوسط وشمال إفريقية، ليساعد أصحاب الأفكار المبتكرة على الاستفادة من التمويل الأولي للانطلاق بمشاريعهم الواعدة، كما سيقدم لهم الخبرات الضرورية والتوجيهات اللازمة لتسهيل

تنفيذ وتطوير الأفكار، ليساعدهم بذلك على تحويلها من مجرد رؤى إبداعية إلى منتجات تجارية قابلة للتطبيق.

المنح تتراوح قيمتها ما بين (1000 و50 ألف) دولار أمريكي، للأفكار الريادية والمميزة بإبداعها وأصالتها، وذلك في شتى الميادين الإعلامية والترفيهية، ومنها التلفاز، الراديو، الأفلام، النشر، الإعلام الرقمي، الموسيقا، الألعاب الإلكترونية والرسوم المتحركة.

- المستهدف إعلامياً شريك

هناك تجارب ينبغي الإشارة إليها في بعض أنواع الإعلام الجاد وهي موجودة في الغرب، وبالذات تلك التي تستهدف شريحة قليلة نسبياً ونخبوية أحياناً، وهي تعتمد على فكرة الولاء (غالباً ما تكون في المجلات المتخصصة)، وإن القارئ ليس مشتركاً فحسب بل داعم للمطبوعة، ويدفع أكثر من القيمة الحقيقية؛ ليعوض العجز المادي بسبب غياب أو ضعف المردود الإعلاني.

القارئ هنا شريك في المشروع، وهو يدفع لاستمرار صدور مجلته، ولا يرى بأساً في تحمُّل جزء من المسؤولية في ذلك. هذا النموذج قابل للاستنساخ في العالم العربي لوجود أعداد كبيرة من الطيبين، والذين قد يقتنعون بالاشتراك عالي القيمة، لكن السؤال المهم هنا: أين الإعلام (أو المطبوعة بشكل أخص) القادر على تلبية احتياجاتهم الثقافية، وبشكل ممتع ومفيد في نفس الوقت!!

بالطبع العملية ليست سهلة، على الرغم من أنه كانت هناك محاولات في هذا الشأن، حين نتذكر بدايات مجلة الأسرة، توجُّه كثير من الأخيار للاشتراك فيها فقط دعماً للمشروع وولاء للمجلة، وحباً في أن تستمر في الصدور.

الفصل الرابع

دور إذاعات الأمم المتحدة في نشر ثقافتيّ السلام والتنمية في المناطق النامية

الفصل الرابع

دور إذاعات الأمم المتحدة في نشر ثقافتيّ

السلام والتنمية في المناطق النامية

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أداء إذاعات الأمم المتحدة - ممثلة بإذاعة مرايا العاملة في دولة جنوب السودان – من حيث دورها في تعميم وانتشار مفاهيم ثقافتيّ السلام والتنمية، ومعرفة ما إذا كانت هذه الإذاعة تسهم في نشر الوعي المعرفي بهذه المفاهيم لدى الأفراد، من خلال رصد وتحليل خصائص المضمون الإعلامي المتعلق بتلك المفاهيم، إضافة إلى التعرف على اثار هذه المضامين ونتائجها على جمهور الإذاعة.

وتصنف هذه الدراسة ضمن البحوث الوصفية، وقد استخدم الباحثان منهج المسح، حيث قام بتحليل مضمون البرامج التي تعنى بنشر ثقافتيّ السلام والتنمية عبر إذاعة مرايا، إضافة إلى توزيعه استبانة على جمهور إذاعة مرايا في دولة جنوب السودان لمعرفة مدى تأثُره بالرسائل التي تبثها هذه الإذاعة.

وكشفت الدراسة أن موضوعات السلام جاءت في المرتبة الأولى بين الموضوعات التي تم بثها عبر البرامج -عينة الدراسة- بنسبة بلغت (38.5%)، كما احتلت موضوعات السلام أيضا المرتبة الأولى من حيث المساحة الزمنية التي خصصت للمواضيع عبر البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (49.0%).

كما جاء المضمون المتعلق بـ " تكريس فكرة الحياة بدون نزاع " في المرتبة الأولى بين المضامين التي تم بثها، بنسبة بلغت (20.1%)، فيما احتل المضمون المتعلق بـ " تحسين صورة المرأة في المجتمع " المرتبة الثانية بين المضامين التي تم بثها عبر البرامج مدار البحث، بنسبة بلغت (15%)، وجاء مضمون الدفع نحو التعليم في المرتبة الثالثة من بين المضامين

التي سعت الإذاعة إلى تعزيزها عبر البرامج مدار البحث، بما نسبته (11.8%).

وأظهرت الدراسة أن الغالبية العظمى من المبحوثين في دولة جنوب السودان يستمعون إلى إذاعة مرايا، وبما نسبته (87.8 %)، لأنها تلبي كثيرا من رغباتهم في التعرف على الموضوعات المتعلقة بالسلام والتنمية، أما من لا يستمعون إلى الإذاعة، واللذين بلغت نسبتهم (12.2%)، فقالوا إن السبب في ذلك يعود إلى أنهم لا يحبون الاستماع إلى الإذاعات عموماً، وليس لأسباب خاصة تتعلق بالمضمون. وأوضحت الدراسة كذلك أن ما نسبته (90.3%) من الجمهور –عينة الدراسة – يثقون بدرجة مرتفعة بإذاعة مرايا كأحد وسائل الإعلام التي يحصلون من خلالها على معلومات عن التنمية والسلام.

دور إذاعات الأمم المتحدة في نشر ثقافتيّ السلام والتنمية في المناطق النامية

لم تستطع وسائل الإعلام الجديدة، كالإنترنت، الذي يمتلك خاصية الوسائط المتعددة، ووسائل الإعلام التقليدية، كالتلفاز الذي يمتلك خاصية الصوت والصورة، أن تمحو الإذاعة من ساحة الإعلام بوصفها وسيلة إعلام جماهيرية، ما زالت تجذب الملايين من الناس للاستماع إليها في جميع أنحاء العالم. "بل إن الإذاعات عادت بقوة مع ارتفاع وتيرة الفقر والبطالة والأمية في الدول النامية". (ماكفيل، 2005، ص 42).

وتنبع أهمية الإذاعة من قدرتها على تخطي الحواجز والحدود، الأمر الذي يتيح لها سرعة الوصول إلى جماهير عريضة، بالإضافة إلى ما يصحب كلماتها من مؤثرات صوتية تساعد العقل البشري على رسم صورة الأحداث، ناهيك عن حجم المذياع الذي يمكّن المرء من اصطحابه إلى أي مكان يريد، بالإضافة إلى زهد ثمنه وقلّة تكاليف اقتنائه، كل هذه المزايا وغيرها جعلت للإذاعة أهمية كبيرة، في أغلب المجتمعات، لاسيما النامية منها.

و"تمتاز الكلمة المذاعة بأنها من أسرع المضامين التي تصل إلى الإنسان في أي مكان، ولأن الإذاعة من أقوى الوسائل في التأثير على الجماهير، ولها قوة إيجابية في الوصول إلى المستمع، فإنها تمثّل جامعة شعبية على الهواء، تخاطب المتعلم وغيره، وتنقل الثقافة وسائر

العلوم الأخرى، والإذاعة وسيلة سهلة قادرة على التأثير والاستقطاب، فتقوم بعمليات تهيئة الناس المستهدفين لتقبل الأفكار الجديدة، وتعمل على تهييج الجماهير وحثها على فعل شيء أو تركه" (الجحني، 2003، ص 159).

وتعتبر الإذاعة الوسيلة الأولى المعتمدة في إرسال الرسائل الإعلامية المتعلقة بالتنمية، وتلقيها من قبل الجمهور الريفي خصوصاً، كونها تصل إلى جماعات خاصة، مثل كبار السن، وغير المتعلمين بدون مجهود أو تكلفة مالية مرتفعة، فهي الوسيلة السهلة التي تجعل المجتمعات - بخاصة النامية – على علم بما يحدث.

"إن هذه المزايا التي تتوافر في الإذاعة جعلت كثيراً من القائمين على الإعلام، والمهتمين بتنمية المجتمعات، يعتبرون أن الراديو وسيلة إعلام مجتمعي تنموي، يمكن أن تؤثر في المجتمعات الفقيرة، وتقودها إلى التطور والازدهار". (رويس،2010، ص1)

ومن هذا المنحى "بدأت تظهر إلى حيز الوجود الإذاعات المحلية في دول أوروبا وأمريكا في نهاية السبعينيات وبداية ثمانينيات القرن المنصرم، مواكبةً انسياق العالم نحو العولمة، وشعور الفرد في المجتمعات الغربية بأن هذه العولمة صهرت خصوصيات المجتمعات التي تعيش فيها، مما حدا بالبعض إلى التفكير بالبحث عن وسيلة إعلام محلية تخاطب مجتمعاتها، وتهتم بقضايا الفرد، وتراعي خصوصيته في بقعة جغرافية واجتماعية محددة". (fogg،2005،et al. P.12)

ويمكن القول إن الإعلام التنموي هو أحد المفاهيم المعاصرة التي تبنتها الأمم المتحدة ووكالاتها التنموية، وهو عبارة عن الجهود الإتصالية المخطط لها، والهادفة إلى خلق اتجاهات ايجابية وصديقة للتنمية، وهذا يعني أن الإعلام التنموي غير معني بصناعة التنمية، ولكنه يهيئ الظروف، سواء أكانت نفسية، أم اجتماعية، أم ثقافية، للأفراد والجماعات، من أجل أن يستجيبوا للخطط والبرامج التنموية بشكل فعال. ووفق هذا التصور فإن الإعلام التنموي يعمل على تقديم الوعي والمعرفة، اللذين يشكلان الاتجاهات التي تنعكس في سلوك الإنسان.

وتغطي إذاعات الأمم المتحدة أنشطة المنظمة في المقر الدائم في نيويورك وحول العالم، وتدخل قضايا السلم والأمن والتنمية وحقوق الإنسان في صلب اهتمام القائمين على هذه الإذاعات، لذلك تُعدّ القضايا والموضوعات المتعلقة بحل الأزمات والانتخابات والصحة والفقر والتعليم والتغير المناخي، من الأولويات التي تغطيها هذه الإذاعات من خلال المقر الرئيسي، أو من خلال الإذاعات التابعة للأمم المتحدة المنتشرة في أنحاء العالم، (www.unmultimedia.org/arabic/radio/about).

وتقوم إذاعة الأمم المتحدة في المقر الرئيسي في نيويورك ببث برامج مباشرة على الهواء بست لغات كل يوم؛ ويجري إنتاج برامج أسبوعية بتسع لغات أخرى. كما تُجرى جولات سياحية مصحوبة بمرشدين يتكلمون (20) لغة، لتواصل العمل عن كثب مع الحكومات وأحزاب المعارضة، وتنظيمات المجتمع المدني في السودان - على سبيل المثال - بهدف تقديم المساعدة في صون الاستقرار اجتماعياً وسياسياً، من أجل وضع تدابير لتخفيف وطأة الفقر، وتوطيد دعائم الديمقراطية، وتعزيز سيادة القانون، وتحسين احترام حقوق الإنسان، وتيسير عودة اللاجئين والمشردين، وإعادة توطينهم (تقرير الأمين العام للأمم المتحدة عن أعمال المنظمة لعام 2002م).

إذاعة مرايا

لمّا كانت الأمم المتحدة ترى أن هناك ضرورة لتقديم الأخبار بموضوعية وحياد، في بلد ممزق تكثر فيه الأحقاد العرقية، كالسودان قبل الانفصال، فقد قامت بعثة الأمم المتحدة في هذا البلد بإنشاء إذاعة تحت اسم " مرايا " في جنوب السودان، وذلك لتزويد الشعب السوداني بأخبار دقيقة، وغير منحازة لأية فئة من الفئات المتحاربة، أخبار يمكن لكل المواطنين في مختلف أرجاء البلاد التقاطها بشكل مباشر.

و"مرايا" عبارة عن محطة إذاعية تبث برامجها يومياً على مدار الأسبوع، وتديرها بعثة منظمة الأمم المتحدة في دولة جنوب السودان، بالتعاون مع مؤسسة (Hirondelle)*،

وتبث الإذاعة (24) ساعة يوميا في الجنوب على موجات (FM) باللغة العربية حينا، وفي أغلب الأوقات بـ"عربي جوبا " - وهي لغة عربية عامية متداولة في الجنوب - إضافة إلى بثها باللغة الإنجليزية. وبجانب بثها على موقعها الإلكتروني باللغتين العربية والإنجليزية، تبث الإذاعة ست ساعات يوميا على الموجة القصيرة، يمكن أن تلتقط في الشمال.

وتظهر أهمية إذاعة "مرايا" من خلال نشرها مفاهيم السلام بين المستمعين عبر دوراتها البرامجية المتنوعة، التي تلعب دورا أساسيا في رفع المستوى العام لسكان المنطقة، وذلك عن طريق تعزيز الحوار السياسي بين أطراف المجتمع المدني. وكلمة "Miraya" هي الكلمة العربية لـ" المرآة "، وتم اختيار هذا الاسم للإذاعة ليعكس الواقع في كل من شمال السودان وجنوبه، من خلال برامج وطنية تُظهر المتغيرات في كلتا المنطقتين.

وقد تأسست إذاعة "مرايا" في أيار من العام 2005م، وكان أول بث مباشر لها في حزيران من العام 2006 م، في جنوب السودان على الموجة FM. وجاءت هذه الإذاعة لتحقيق مقاصد الأمم المتحدة الواردة في المادة الأولى من الفصل الأول من ميثاق الأمم المتحدة والمتمثلة بالآتي:

- حفظ السلم والأمن الدوليين، حيث تتخذ هيئة الأمم المتحدة التدابير المشتركة الفعّالة لمنع الأسباب التي تهدد السلم، والعمل على إزالتها، إضافة إلى منع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم، وتتذرّع بالوسائل السلمية وفقاً لمبادئ العدل والقانون الدولي، لحل المنازعات الدولية التي قد تؤدي إلى الإخلال بالسلم، أو لتسويتها.

- إنماء العلاقات الودية بين الأمم، على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب، وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها، وكذلك اتخاذ التدابير الأخرى الملائمة لتعزيز السلم العام.

- تحقيق التعاون الدولي في حل المسائل الدولية ذات الصبغات الاقتصادية

والاجتماعية والثقافية والإنسانية، وفي تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً، والتشجيع على ذلك بلا تمييز على أساس الجنس أو اللغة أو الدين، ولا تفريق بين الرجال والنساء.

- جعل هيئة الأمم المتحدة مرجعاً لتنسيق أعمال الأمم وتوجيهها نحو إدراك هذه الغايات المشتركة.

وتدعم لجنة بناء السلام التابعة للأمم المتحدة – وهي هيئة استشارية حكومية دولية - الجهود المبذولة في بناء السلام في الدول الخارجة من النزاعات، من خلال جمع كل الأطراف الفاعلة ذات الصلة، ومن ضمنها المانحون الدوليون، والمؤسسات المالية الدولية، والحكومات الوطنية، والدول المساهمة بقوات، وتقوم كذلك بتعبئة الموارد وتقديم المشورة بشان اقتراح استراتيجيات متكاملة لبناء السلام في حالات ما بعد النزاع، وتعمل أيضا على إبراز الثغرات التي تهدد بتقويض السلام (www.un.org/ar/peacebuilding).

تسعى إذاعات الأمم المتحدة إلى نشر مفاهيم ثقافتيّ السلام والتنمية في المجتمعات التي تشهد نزاعات داخلية، وذلك في سعي منها إلى تحقيق الأمن، والنمو، وتحسين نوعية الحياة في تلك المجتمعات، إلى جانب نشر الوعي المعرفي لدى الأفراد عن تلك المفاهيم.

وتُعدّ دولة جنوب السودان من الدول التي شهدت وتشهد نزاعات مع توأمها الشمالي، لذا فهي بحاجة ماسة إلى التنمية، وإيجاد حلول لقضايا ومشاكل مزمنة، من أجل تأسيس بنية تحتية، وأخرى إنتاجية، والنهوض بالخدمات الإنسانية المعدومة في هذا البلد الإفريقي حديث النشأة.

لذا تكمن مشكلة الدراسة في التعرف على كيفية أداء إذاعات الأمم المتحدة -ممثلة بإذاعة مرايا- لدورها في تعميم ونشر مفاهيم ثقافتيّ السلام والتنمية في دولة جنوب السودان، ومعرفة ما إذا كانت هذه الإذاعة تسهم في نشر الوعي المعرفي لتلك القضايا

لدى الأفراد، من خلال رصد خصائص المضمون الإعلامي المتعلق بتلك المفاهيم وتحليلها، وكذلك التعرف على آثار هذه المضامين ونتائجها على جمهور الإذاعة في دولة جنوب السودان.

يتمثل الهدف العام لهذه الدراسة، في التعرف على دور إذاعة مرايا في نشر ثقافتيّ السلام والتنمية في دولة جنوب السودان التي شهدت نزاعات متكررة، أما الأهداف الفرعية، فيمكن إجمالها في التعرف على:

- المضامين التي حملتها البرامج عينة الدراسة.
- المساحة المخصصة للمضامين في كل برنامج من البرامج المدروسة.
- القيم التي حملتها البرامج عينة الدراسة.
- نوع الجماهير المستهدفة من البرامج عينة الدراسة.
- الزمن الذي يقضيه الجمهور في دولة جنوب السودان في الاستماع إلى إذاعة مرايا.
- البرامج المفضلة للاستماع من قبل المبحوثين في إذاعة مرايا.
- الفترات التي يفضل فيها المجتمع المبحوث الاستماع إلى إذاعة مرايا.
- مصادر المادة الإذاعية في البرامج المدروسة.
- مدى استفادة الجمهور من البرامج المدروسة.
- المكانة التي تحتلها إذاعة مرايا بين وسائل الإعلام الأخرى، من حيث هي مصدر لتزويد الجمهور المدروس بالمعلومات حول السلام والتنمية.

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة على الأسئلة التالية:

- ما أهم موضوعات السلام والتنمية التي تتناولها إذاعة مرايا في دولة جنوب السودان؟.

- ما المساحة الزمنية المعطاة للموضوعات المتعلقة بثقافتيّ السلام والتنمية في إذاعة مرايا؟.

- ما المضامين التي تحملها البرامج المدروسة؟.

- ما القيم التي تحملها البرامج المدروسة لإذاعة "مرايا" في دولة جنوب السودان؟.

- ما الفئات الجماهيرية التي تستهدفها الإذاعة من خلال برامجها؟.

- ما وسائل إبراز المادة المذاعة في البرامج المدروسة في إذاعة "مرايا"؟.

- ما مصادر المادة الإذاعية في البرامج المدروسة؟.

- ما الأسباب الكامنة وراء عدم الاستماع لبرامج إذاعة "مرايا" المدروسة؟.

- ما الأسباب الكامنة وراء الاستماع لبرامج إذاعة "مرايا" المدروسة؟.

- ما معدل تعرض الجمهور -محل الدراسة- إلى إذاعة مرايا؟.

- ما الفترات التي يفضل فيها الجمهور -محل الدراسة- الاستماع إلى إذاعة مرايا؟.

- ما البرامج المفضلة للاستماع من قبل المبحوثين في إذاعة مرايا؟.

- أين تقع الإذاعة، من حيث هي مصدر لتزويد المعلومات حول السلام والتنمية، مقارنة بوسائل الإعلام الأخرى؟.

- ما درجة ثقة الجمهور في الوسائل الاعلامية التي يحصل منها على معلومات عن ثقافتي السلام والتنمية؟.

- ما درجة تأثر المبحوثين ببعض التأثيرات خلال الاستماع لإذاعة "مرايا"؟.

تبرز أهمية هذه الدراسة باعتبارها من الدراسات القلائل التي تحاول التعرف على دور إذاعات الأمم المتحدة في نشر ثقافتي السلام والتنمية في المناطق النامية التي تشهد اضطرابات داخلية. كذلك، يمكن اعتبار هذه الدراسة من نوع الدراسات التي تقدم

تشخيصًا دقيقًا للاتجاهات الإعلامية المختلفة نحو موضوعات السلام والتنمية، مما يمكّنُ من توفير قاعدة أساسية من البيانات المناسبة، التي تُعين الباحثين ومتخذي القرار على تكوين فكرة جيدة عن الموضوعات المثارة التي يرغبون في دراستها، والمتعلقة بدور إذاعات الأمم المتحدة في نشر ثقافتيّ السلام والتنمية في مناطق النزاعات، لاسيما في الدول النامية.

النظرية المستخدمة

يستند المدخل النظري لهذه الدراسة إلى "نموذج الاعتماد المتبادل بين وسائل الإعلام والأنظمة الاجتماعية"، الذي يرى أن كلا من الانظمة الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية تعتمد على المعلومات التي توفرها لها وسائل الإعلام، كما أن وسائل الإعلام تعتمد في المقابل على الأنظمة في توفير مصادر المعلومات، والتمويل، والتشريعات اللازمة لهذه الوسائل.

و"تؤدي العلاقة الارتباطية بين وسائل الإعلام وبقية الأنظمة الأخرى الموجودة في المجتمع إلى إيجاد العديد من الأحداث والقضايا التي تنقلها تلك الوسائل، وتحاول تشكيل معارف الجمهور بشأنها" (Defleur،ball rokeach ،1892 ،pp. 236-238).

ويعد نموذج الاعتماد على وسائل الإعلام جزءا من نظرية الاعتماد المتبادل بين وسائل الإعلام والنظم الاجتماعية، والذي يشكل بدوره علاقات الجمهور مع وسائل الإعلام الأخرى، في إطار السياق الاجتماعي الكلي.

ويتمثل الفرض الرئيس لنموذج الاعتماد على وسائل الإعلام، بفكرة "أن الاعتماد على وسائل الإعلام يزداد بزيادة تحجيم القدرة على استقبال المعلومات المطلوبة من خلال المصادر الشخصية، مع مراعاة وفرة المعلومات المطلوبة وتقييمها، ومقارنتها بالمصادر الشخصية لدى الجمهور، وكلما زادت المجتمعات تعقيدا، ازداد اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام" (صادق، 2007، ص ص 60- 62).

ويقوم نموذج الاعتماد على وسائل الإعلام على ثلاثة فروض فرعية، هي:

- تؤثر درجة استقرار النظام الاجتماعي على الاعتماد على مصادر معلومات وسائل الإعلام زيادةً أو نقصاً، وكلما زادت درجة عدم الاستقرار في المجتمع زاد الاعتماد لدى الأفراد على وسائل الإعلام والعكس صحيح.
- يعتبر النظام الإعلامي مهما للمجتمع وتزداد درجة الاعتماد عليه في حال إشباعه لاحتياجات الجمهور، وتقل درجة الاعتماد عليه في حال وجود قنوات بديلة للمعلومات.
- يختلف الجمهور في درجة اعتماده على وسائل الإعلام؛ نتيجة لوجود اختلافات في الأهداف الشخصية، والمصالح، والحاجات الفردية.

التأثيرات المترتبة على اعتماد الجمهور على وسائل الإعلام:

وهناك مجموعة من الآثار التي تنتج عن اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام، وتتمثل في التأثيرات المعرفية والتي تشمل؛ مجموعة التغيرات في معارف الأفراد ومعلوماتهم، حيث تقوم وسائل الإعلام بعرض الآراء والموضوعات التي تثير الجمهور، خاصة في أحوال النزاعات، كما تقوم بالتأثير على تحديد أولويات اهتمام الجمهور تجاه الموضوعات والقضايا البارزة، والمشكلات الملحة، من بين عديد من القضايا والموضوعات المطروحة في المجتمع. والتأثيرات الوجدانية التي تتصل بالاتجاهات والمشاعر، مثل الفتور العاطفي، والخوف والقلق، والتأثيرات الأخلاقية، فضلا عن رفع الروح المعنوية لدى المواطنين؛ نتيجة زيادة الشعور الجمعي والتوحد والاندماج. وأخيراً التأثيرات السلوكية التي تتمثل بالتأثير على السلوك الواضح، وغالبا ما يكون السلوك نتيجة لحدوث التغيرات المعرفية والوجدانية.

ولما كانت هذه الدراسة تريد التعرف على مدى اعتماد الأفراد في دولة جنوب السودان على إذاعة "مرايا"، كمصدر لاكتساب مفاهيم تتعلق بثقافتيّ السلام والتنمية، وهل

يتم الاعتماد عليها كلياً أو جزئياً، أو لا يتم الاعتماد عليها مطلقا، فيرى الباحثان أنَّ "نموذج الاعتماد على وسائل الإعلام" بكل مكوناته يعدّ ملائماً لموضوع دراستيهما.

دور الإعلام في تدعيم ثقافة التنمية

إن ما نقصده بالإعلام والتنمية -بصورة مباشرة وأساسية- هو دراسة الدور الذي يمكن أن تؤديه وسائل الإعلام في تحويل المجتمعات من التخلف إلى التقدم، و"إن هذه الوسائل أشبه ما يكون بالصندوق السحري الذي يصنع منه اللاعب الأعاجيب عندما يحسن استخدامه، والفرق المهم بين الصندوق السحري ووسائل الإعلام، هو اعتماد اللاعب على براعته وخفة يده، بينما يعتمد الإعلام على الدراسة الموضوعية، والإحصائيات، والمعرفة التسجيلية للواقع، والتخطيط والمتابعة، وما شابه ذلك من أصول العلم، بالإضافة إلى المهارة المهنية الذاتية التي تتطلبها فنون الممارسة في العمل الإعلامي".

إن المسؤوليات التي تقع على عاتق الإعلام في النهوض بالمجتمع وإنسانه، تجعل من العلاقة بين الإعلام والتنمية أكثر تقاربا، خاصة في الدول النامية، إذ من المعلوم أن وسائل الإعلام تقوم بدور فعال في صياغة الرأي العام وتشكيله إزاء كل القضايا التنموية المطروحة، ويلاحظ أن الإعلام في هذه الدول يتبنى نظريات ووجهات النظر الغربية في كيفية استغلال وسائل الإعلام في تحقيق التنمية البشرية والاقتصادية والثقافية، ولعل "ولبور شرام" أشار إلى أن تبني الدول النامية وجهات النظر الغربية في استخدام وسائل الإعلام لتحقيق التنمية، أدى إلى ظهور ما يطلق عليه "الإعلام التنموي".

الوظائف التنموية للإذاعة المحلية

تمثل التنمية -بمختلف أبعادها- أحد الدوافع الأساسية لإنشاء الإذاعات المحلية، من أجل تفعيل المشاركة في التنمية، حيث إن الدول النامية لا تستطيع أن تحقق أهدافها في التنمية بدون أن تولي اهتمأما بأفرادها في مجتمعاتهم المحلية. وفي ضوء احتياجات ومكونات تلك المجتمعات، فقد أدركت دول عديدة أن الوصول الى الجماهير في بيئاتهم

المحلية هو أفضل أساليب الإعلام لتحقيق مشاركة فعالة مـن جانـب هـؤلاء الجماهـير في خطـط و بـرامج التنمية، لذلك فقد انشأت هذه الدول عديداً من وسائل الإعلام المحلية في هـذه المجتمعـات، وعليـه فقـد أصبح هذا النمط من الإذاعات ضرورة للدول النامية وتلك المتقدمة، وإن اختلفت الأسـاليب فـيما بيـنهما، وفيما تؤديه تلك الإذاعات من وظائف لجماهيرها.

ومن هـذا المنطلـق زاد الاهـتمام بالإذاعـات المحليـة، نظـرا لأهميتهـا ودورهـا التنمـوي في جميـع المجالات، "إذ أصبحت تلعب دور الشريك في تنمية المجتمعات المحلية، فهي بمثابة المنبر الإعلامي المـشجع والداعم للتنمية بكافة أبعادها ومجالاتها، سواء الاقتـصادية أو الاجتماعيـة أو الـسياسية أو الثقافيـة، لهـذا يمكن للإذاعة المحلية بما تملكه من مقومات وخصائص أن تلعب دورا هاما في تنمية مجتمعاتها، فهـي مـن الوسائل التي يُعتمد عليها في إحداث نوع مـن التغيـير الـذي يـتماشى مـع التنميـة والمـساهمة الفعالـة في التنمية الشاملة للمجتمع ككل.

وفي هذا الصدد، يمكن تحديد الوظائف التنموية للإذاعات المحلية في مجتمعاتها بمجالات عـدّة، ففـي مجال التنمية السياسية، تسهم الإذاعات المحلية في تحقيق الوعي السياسي والتكامل لأفراد مجتمعهـا المحـلي، فهي تعمل على تكوين الصورة السياسية للمواطن المحلي عن النظام في مجتمعه، مـن خـلال مـا تقدمـه مـن معلومات وتصورات حول جميع الأحداث السياسية، والمجريات الحاصلة، المحلية منها والدولية، مما يـساعده على تكوين وجهة نظر خاصة به حول مجريات الأحداث السياسية الحاصلة في مجتمعه.

ولذلك فان بوسع الإذاعات المحلية "أن تسهم في تحقيق التكامل الأقليمـي والمحـلي والقـومي مـن خلال توعية المواطنين المحليين بالقضايا السياسية، وربط مختلف هذه الأقاليم المحايدة ودمجها في النظـام القومي.

وفي مجـال التنميـة الاقتـصادية، فـإن الإذاعـات المحليـة تهـتم بـالبرامج الاقتـصادية، وتقوم من خـلال ذلـك "بـالتعريف بالنـشاط الاقتـصادي، عـن طريـق نـشر الأخبـار والآراء

والتحليلات وتفسير المصطلحات الاقتصادية المعقدة، ونشر المعلومات التي تشتمل على الحقائق والأرقام والإحصائيات والدراسات والأبحاث" (الحسنات،2011،ص 227). كما تسهم في "تقديم كل المعلومات والتبسيطات لمختلف المفاهيم الاقتصادية للمواطن المحلي البسيط، وذلك لإفهامه ولإدراجه شريكاً مساهماً في قضايا التنمية لهذا المجتمع، إضافة إلى مساندة سياسات وبرامج الإصلاح الاقتصادي، من خلال الحوار، والدور التوعوي الذي تقدمه للمواطنين بدواعي الإصلاح والرقي التنموي لهذا البلد".

إضافة إلى ما سبق، فان للإذاعة المحلية وظيفة اقتصادية أُخرى، تتمثل بمجال الإرشاد التنموي، من خلال البرامج التي تركز على أهمية تشجيع المشاريع، وبخاصة في المناطق ذات الطابع الريفي، من أجل ترقية وتنمية هذه المناطق، الأمر الذي يحقق نمواً كمياً وكيفياً.

وفي مجال التنمية الاجتماعية فإن الإذاعات المحلية "تعدّ الأساس في إنماء الوعي الاجتماعي، من خلال برامجها ذات الطابع الاجتماعي الإرشادي التوعوي، الذي يسعى إلى ترشيد الاتجاهات وتعديلها لما هو أحسن وأفضل لهذا المجتمع.

وتحرص الإذاعة على تقديم مختلف القيم الايجابية البناءة لهذا المجتمع، ومعالجة القيم السلبية السائدة فيه، فهي من خلال برامجها تشارك في مواجهة القضايا ذات البعد الاجتماعي وعلاجها، والتي يعاني منها الواقع المحلي بصفة خاصة، والمجتمع بصفة عامة، مثل البرامج الخاصة بقضايا الإدمان، والتسرب المدرسي، وعمالة الأطفال، والتفكك الأسري، والطلاق وغيرها.

أما في مجال التنمية الثقافية فإن للإذاعات المحلية وظائف وأدواراً أخرى تؤديها في تنمية وتطوير مجتمعها المحلي، حيث تتمثل وظيفتها في مجال التنمية الثقافية بالعمل على تنمية الوعي الثقافي لدى أفراد المجتمع المحلي، عن طريق برامجها التي تعنى بتعميق قيم التسامح والحوار والتشاركية في المجتمع، كما تسهم في ضمان الأمن الثقافي للمجتمع المحلي وصيانة ذاتيته الثقافية. كما يمكن للإذاعة المحلية أن تسهم في ذلك من خلال برامج

العلوم والمعارف التي تقدمها حول مختلف الجوانب الحياتية، أو من خلال برامجها عن القضايا ذات الاهتمام المهم مثل البيئة والصحة وتكنولوجيا المعلومات وتاريخ الحضارات... إلخ.

كل ذلك قاد الإذاعات المحلية إلى توجّه أكثر تخصصاً نحو مجال التنمية البشرية، باعتبارها الهدف الرئيسي لجهود التنمية بأشكالها كافة، فأصبحت الإذاعات المحلية تؤدي دوراً مهماً في بناء ثقافة الأفراد داخل مجتمعهم، ضمن هذا النمط من البرامج المتعلقة بالتنمية البشرية.

دور الإعلام في تدعيم ثقافة السلام

يعتبر حفظ السلم والأمن الدوليين الهدف الأهم الذي يسعى إلية المجتمع الدولي. ولا غرابة أن يكون هذا الأمر المقصد الرئيسي لإنشاء منظمة الأمم المتحدة في العام 1945م. فهذا المقصد يمثل الشرط الأساسي لتحقيق مقاصد المنظمة، فبدونه لا علاقات ودية بين الأمم، ولا تعاون دولي في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية، ولا تنسيق ولا توجيه لجهود الأمم لإدراك الغايات المشتركة.

ولاشك في أن أهم وثيقة صدرت عن منظمة الأمم المتحدة، وتتعلق بمبادئ شمولية، تشكل أساسا لإرساء سلام حقيقي بين البشرية، هي وثيقة "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. حيث أقرت الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة هذا الإعلان في العام 1948م، ويتضمن ديباجة وثلاثين مادة. وفي العام 1966م، وبناء على هذا الاعلان وبهدف التطبيق العلمي لتلك البنود- أقرت منظمة الأمم المتحدة عهدين دوليين: الأول: يتناول الحقوق والحريات المدنية والسياسية، والثاني: يتناول الحقوق والحريات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ثم صدرت عن الأمم المتحدة تباعا اتفاقيات تفصيلية لبنود شرعة حقوق الانسان، نذكر منها: اتفاقية القضاء على كل أشكال التمييز كافة ضد المرأة (سيداو) عام 1979م،

(9 دول عربية تحفظت على بعض بنودها)، واتفاقية الحقوق الاساسية للمرأة، عام 1952م، (8 دول عربية لم تصّدق عليها)، واتفاقية حقوق الطفل، عام1989م.

من هنا يمكن القول إن الرابط بين ثقافة السلام وشرعية حقوق الانسان هو امر جوهري، متمثل في ان تحقيق السلام في المجتمعات وفيما بينها وتوطيده وتحويله إلى ثقافة، لا يقوم فقط على منع وقوع العنف والنزاعات، بل يقوم أيضا على تعميم القيم والمواقف التي تسهم في تعميق كل مبادئ حقوق الانسان. حيث تعتبر ثقافة الحوار الهادئ أهم وسيلة لطرح قضايا السلام عبر الإعلام حتى يتمكن من اداء دوره الفاعل المنتظر منه.

كما أن وسائل الإعلام يمكن "أن تسهم اكثر من غيرها في بناء ثقافة السلام، عبر بث المعلومات الصحيحة والبرامج التربوية والتثقيفية، وحض الناس على التلاقي بدلا من تشجيع الفرقة والتباعد فيما بينهم، أي ان عليها تشجيع مفاهيم السلام القائمة ودعمها، على أسس العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

اختبار الصدق والثبات

المقصود بالصدق هو: الدرجة التي تقوم فيها أداة القياس بقياس حقيقة ما أعدت لقياسه، وقد استخدم الباحثان الصدق الظاهري (Face Validity)، للتأكد من أن العبارات والأسئلة المتضمنة في الاستبانة يمكن أن تؤدي إلى جمعها بدقة، أو قياس المتغيرات قياساً صحيحا، وهو ما يتم عن طريق دراسة محتويات أداة جمع المعلومات، أو قياسها وتقويمها. وتم تحكيم هذه الاستبانة من قبل مجموعة من المختصين في كلية الإعلام بجامعة اليرموك، والمهنيين العاملين في الميدان.

كما تمّ إجراء دراسة مسبقة (قبلية) على عينة مصغرة من الجمهور المستهدف، للتأكد من وضوح الأسئلة وأنها مفهومة لدى المبحوثين.

وحتى يتحقق الباحثان من الثبات لأداة تحليل المضمون، فقد لجاءا إلى تكليف بعض من طلبة الدراسات العليا بكلية الإعلام في جامعة اليرموك بتحليل عينة من برامج

الدراسة، وبعد استلام نتائجهم، تم حساب نسبة الاتفاق بين الباحثينِ وكل من الـزملاء المحللـين، باسـتخدام معادلة (Azuroff & Mayer)، والتي تنص على أن:

عدد الإجابات المتفق عليها

عالية في هذا المجال.

- أما فيما يتعلق بالمبحوثين عينة الدراسة، فقد تم اختبار ثبات التحليل من خلال الاختبار، وإعادة الاختبار (Test-Retest) على عدد معيّن من المبحوثين، بفارق أسبوعين بين التوزيع الأول والتوزيع الثاني.

توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج المتعلقة بدور إذاعات الأمم المتحدة، ممثلة بإذاعة "مرايـا"، في نشر ثقافتيّ السلام والتنمية في المناطق النامية، وذلك وفقا لتحليل مضمون المادة الاذاعيـة، ومجموعـة مـن المتغـيرات ذات العلاقة بأهداف الدراسة، والتي تم تحليلها وفقا لتكرار تناولها، والنسبة التي مثلتها هذه التكـرارات، وكانـت عـلى النحو الآتي:-

أولا: نتائج الدراسة المتعلقة بتحليل المضمون

الجدول رقم (1)

الموضوعات التي تم بثها عبر البرامج المدروسة من إذاعة "مرايا"

البرنامج / وحدة الموضوع	INSIDE SOUTH SOUDAN		SOLVERS		MIRAYA BREAKFAST SHOW		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
الصحة	15	5.8	6	3.8	27	14.1	48	7.9
الاقتصاد	17	6.6	9	5.7	18	9.4	44	7.2
الثقافة	2	0.8	0	0	0	0	2	0.3
البيئة	3	1.2	0	0	2	1.0	5	0.8

	INSIDE SOUTH SOUDAN		SOLVERS		MIRAYA BREAKFAST SHOW		المجموع	
الزراعة	30	11.6	20	12.7	1	0.5	51	8.4
السياسة	16	6.2	1	0.6	4	2.1	21	3.5
المرأة	33	12.7	41	26.1	15	7.8	89	14.6
الطفل	2	0.8	11	7.0	2	1.00	15	2.5
التعليم	25	9.7	11	7.0	29	15.1	65	10.7
السلام	97	37.5	53	33.8	84	43.8	234	38.5
غير ذلك	19	7.3	5	3.2	10	5.2	34	5.6
المجموع الكلي	259	100	157	100	192	100	608	100

فيما يتعلق بالموضوعات التي تم بثها عبر البرامج مدار البحث تشير بيانات الجدول رقم (1) إلى أن موضوعات السلام جاءت في المرتبة الأولى بين الموضوعات التي تم بثها عبر البرامج الثلاث، بنسبة بلغت (38.5%). وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاءت الموضوعات المتعلقة بالسلام في المرتبة الأولى في برنامج "Inside South Soudan"، وبرنامج "Solvers"، وبرنامج "Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (37.5%) للأول، و(33.8%) للثاني، و(43.8%) للثالث.

أما الموضوعات المتعلقة بالمرأة، فقد جاءت في المرتبة الثانية بين الموضوعات التي تم بثها عبر البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (14.6%). وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاءت الموضوعات المتعلقة بالمرأة في المرتبة الثانية في برنامج "Inside South Soudan " وبرنامج "Solvers"، بنسبة بلغت (12.7%) للأول، و (26.1%) للثاني. وفي المرتبة الخامسة في برنامج "Miraya Breakfast Show" بنسبة بلغت (7.8%).

أما ما يتعلق بالموضوعات المتعلقة بالتعليم، فقد جاء في المرتبة الثالثة بين الموضوعات التي تم بثها عبر البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (10.7%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاء التعليم في المرتبة الرابعة في برنامج "Inside South Soudan"، وبرنامج "Solvers"، بنسبة بلغت (9.7%) للأول، و (7.0%) للثاني، وفي المرتبة الثانية في برنامج "Miraya Breakfast Show" بنسبة بلغت (15.1 %).

وفيما يخص الموضوعات المتعلقة بالزراعة، فقد جاءت في المرتبة الرابعة بين الموضوعات التي تم بثها عبر البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (8.4%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاءت الزراعة في المرتبة الثالثة في برنامج "Inside South Soudan " وبرنامج "Solvers"، بنسبة بلغت (11.6%) للأول، و (12.7%) للثاني، وفي المرتبة التاسعة في برنامج "Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (0.5%).

أما الصحة، فقد جاءت في المرتبة الخامسة بين الموضوعات التي تم بثها عبر البرامج المدروسة، بنسبة (7.9%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاءت الصحة في المرتبة الثامنة في برنامج " Inside South Soudan"، بنسبة بلغت (5.8%)، وفي المرتبة السادسة في برنامج " Solvers"، بنسبة بلغت (3.8%)، وفي المرتبة الثالثة في برنامج "Miraya Breakfast Show "، بنسبة بلغت (14.1%).

وفيما يخص الاقتصاد، فقد جاء في المرتبة السادسة بين الموضوعات التي تم بثها عبر البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (7.2%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاء في المرتبة السادسة في برنامج "Inside South Soudan"، بنسبة (6.6%)، وفي المرتبة الخامسة في برنامج " Solvers"، بنسبة (5.7%)، وفي المرتبة الرابعة في برنامج "Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (9.4%).

أما الموضوعات التي اندرجت تحت فئة "غير ذلك"، والتي تمثلت في (الرياضة، والوحدة الوطنية، والعنف الجامعي، والتجارة، والامن الداخلي، ودفع الضرائب). فقد احتلت المرتبة السابعة في البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (5.6%)، وفيما يتعلق بكل

برنامج على حدة، فقد جاءت الموضوعات التي اندرجت تحت فئة "غير ذلك" في المرتبة الخامسة في برنامج "Inside South Soudan"، بنسبة بلغت (7.3%)، وفي المرتبة السابعة في برنامج " Solvers"، بنسبة (3.2%)، وفي المرتبة السادسة في برنامج "Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (5.2%). وجاءت الموضوعات الأخرى والمتمثلة في "السياسة والطفل والبيئة والثقافة"، في المراتب الثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشرة على التوالي، بنسب متدنية تراوحت بين (3.5%-0.3%).

ومن خلال النتائج السابقة التي تضمنها الجدول رقم (1)، يمكن استخلاص ما يلي:

1- إن موضوعات السلام جاءت في المرتبة الأولى، بنسبة بلغت (38.5%) من مجمل الموضوعات التي تم بثها عبر البرامج المدروسة في إذاعة مرايا، وهذا يتماشى مع مسوغ إنشاء الإذاعة، الذي يهدف إلى نشر مفاهيم السلام بين المستمعين عبر الدورة البرامجية التي تلعب دورا أساسيا في رفع المستوى العام لسكان مجتمع دولة جنوب السودان، وهو أحد الأولويات التي تعمل عليها بعثة الأمم المتحدة في هذا البلد. حيث شهدت السودان حربا أهلية امتدت حوالي (50) عاما بين جزئه الشمالي وجزئه الجنوبي الذي كان يطالب بمزيد من الحكم الذاتي الأقليمي، لاسيما وأن هناك نزاعات قبلية داخلية في الجنوب أيضا، تعود إلى ثقافة هذا المجتمع، والتي لم يتم العمل على التخلص منها، ونقل المجتمع من الحالة القبلية إلى الحالة المدنية، وذلك بسبب الانشغال بالحرب على السلطة، الأمر الذي أدى إلى التمسك بثقافة العنف بين أبناء المجتمع السوداني، خاصة في دولة الجنوب، التي كانت أرضها ميدانا للنزاع. وكانت اتفاقية "نيفاشا" التي وقعت عام 2005م، هي التي أوقفت هذه الحرب الأهلية، وقد تم توقيعها بواسطة حكومة السودان بقيادة حزب المؤتمر الوطني الذي يتزعمه الرئيس السوداني عمر البشير، والطرف الآخر هو الحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة جون قرنق.

2- جاءت موضوعات المرأة في المرتبة الثانية، بنسبة بلغت (14.6%) من مجمل الموضوعات الأخرى، ويرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود لكون المرأة في دولة جنوب السودان تقوم بجميع الأعمال، أي أنها الأساس في ثقافة المجتمع، والرافعة الأولى لدخل الأسرة التي تعتمد عليها معالجة المشكلات الأجتماعية الناجمة عن الفقر. كما أن منظمة الأمم المتحدة ترى أن مساواة النساء بالرجال في المجتمع ضرورة اجتماعية واقتصادية، إضافة إلى اعتبار ذلك بمثابة مسألة حقوق إنسان أساسية. وهو الأمر الذي كان قد أكده الامين العام للمنظمة "بان كي مون" بمناسبة الاحتفال بيوم المرأة العالمي عام 2012م، الذي جاء تحت شعار " حقوق متساوية... فرص متساوية... تقدم للجميع".

3- جاءت الموضوعات المتعلقة بالتعليم في دولة جنوب السودان في المرتبة الثالثة، بنسبة بلغت (10.7%)، وهذا يعكس اهتمام الإذاعة باستثمار التعليم، خاصة للأجيال القادمة في دولة جنوب السودان، بهدف تغير أنماط التفكير التي سادت خلال فترة النزاعات في هذه المنطقة، إضافة إلى إحداث نقلة نوعية في السلوك المجتمعي، تتمثل بإحلال الكتاب بدلا من حمل الاسلحة، ونشر الحوار المتحضر بدل التنازع القبلي، والاعتماد على الكتاب كأداة للتغيير في هذه الدولة حديثة النشأة، والعمل على بناء اجيال قادمة تعزز من مدنية الدولة بدل قبليتها، وتفتح افاقا جديدة لمستقبل أفضل للبلاد.

4- جاءت الموضوعات المتعلقة بالزراعة في المرتبة الرابعة، بنسبة بلغت (8.4%) من مجمل الموضوعات الأخرى، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن دولة جنوب السودان هي أرض خصبة تتوافر فيها مصادر المياه. ومع ذلك لا يوجد هناك اهتمام من قبل المواطنين بالزراعة بسبب قلة المردود، كون البضائع يتم استيرادها من بعض الدول المجاورة مثل أوغندا. اضف إلى ذلك أن إذاعة "مرايا" رأت أن الحث على الزراعة ربما يؤدي إلى تحسن الوضع

الاقتصادي الامر الذي يعمل على الانتقال من المجتمع القبلي إلى المجتمع الزراعي، ثم الانتقال إلى المجتمع المدني.

5- أظهرت نتائج الجدول عدم الاهتمام بالموضوعات المتعلقة بالسياسة في مجتمع جنوب السودان، ويمكن إرجاع ذلك إلى أن السياسة ليست من أولويات الأمم المتحدة - التي تتبع الإذاعة لها- كون مهمتها إنسانية وتقوم على الاستثمار في العنصر البشري.

الجدول رقم (2)

المساحة الزمنية التي اولتها إذاعة "مرايا" لموضوعات السلام والتنمية في البرامج المدروسة

المساحة الزمنية / وحدة الموضوع	INSIDE SOUTH SOUDAN		SOLVERS		MIRAYA BREAKFAST SHOW		المجموع	
	دقيقة	%	دقيقة	%	دقيقة	%	دقيقة	%
الصحة	34.65	3.4	40.16	5.9	83.7	10.1	158.5	6.2
الاقتصاد	42.67	4.1	25.92	3.8	37.8	4.6	106.4	4.2
الثقافة	2.9	0.3	0	0	0	0	2.9	0.1
البيئة	3.96	0.4	0	0	2.82	0.3	6.8	0.3
الزراعة	105.6	10.2	76.2	11.2	3.81	0.5	185.6	7.3
السياسة	57.76	5.6	3.61	0.5	15.28	1.8	76.7	3.0
المرأه	136.95	13.2	153.34	22.5	63.3	7.6	353.6	13.9
الطفل	2.24	0.2	24.42	3.6	2.92	0.4	29.6	1.2
التعليم	102.25	9. 9	54.89	8.0	119.19	14.4	276.3	10.9
السلام	496.64	48.0	286.73	42.0	463.68	55.9	1247.1	49.0

	INSIDE SOUTH SOUDAN		SOLVERS		MIRAYA BREAKFAST SHOW		المجموع	
غير ذلك	48.45	4.7	16.8	2.5	37.1	4.5	102.4	4.00
المجموع الكلي	1034.1	100	682.1	100	829.6	100	2545.7	100

أما من حيث المساحة التي أعطيت لموضوعات السلام والتنمية، فتشير بيانات الجـدول رقـم (2) إلى أن موضوعات السلام احتلت المرتبة الأولى، من حيث المـساحة الزمنيـة التـي خصـصت للمواضـيع عـبر البرامج الثلاثة، بنسبة بلغت (49.0%)، وفـيما يتعلـق بكـل برنـامج عـلى حـدة، فقـد جـاءت الموضـوعات المتعلقة بالسلام في المرتبة الأولى في برنامج "SouthHSoudan Inside"، وبرنامج "Solvers"، وبرنـامج Miraya "Breakfast Show"، بنسبة بلغت (48.0%) للأول، و(42.0%) للثاني، و(55.9%) للثالث.

أما الموضوعات المتعلقة بـ " المرأة "، فقد حصلت على مساحة زمنية جعلتها في المرتبة الثانيـة مـن الموضوعات الأخرى، بنسبة (13.9%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاءت الموضوعات المتعلقة بالمرأة في المرتبة الثانية من حيث المساحة الزمنيـة التـي خصـصت لهـا في برنـامج "Inside South Soudan"، وبرنـامج "Solvers"، بنـسبة بلغـت (13.2%) لـلأول، و(22.5%) للثـاني. وفي المرتبـة الرابعـة في " Miray Breakfast Show"، بنسبة بلغت (7.6%).

أما التعليم، فقد جاء في المرتبة الثالثة من حيث المساحة الزمنية التي خصصت له، بين الموضوعات التي تم بثها عبر البرامج المدروسة، بنسبة (10.9%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاء التعلـيم في المرتبة الرابعة في برنـامج "Inside South Soudan"، وبرنـامج "Solvers"، بنـسبة بلغـت (9.9%) لـلأول، و (8.0%) للثاني، وفي المرتبة الثانية في برنامج "Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (14.4%).

واحتلـــت الموضـــوعات المتعلقـــة بالزراعـــة المرتبـــة الرابعـــة، مـــن حيـــث المـــساحة الزمنيـــة التـــي

خصصت لها، بين الموضوعات التي تم بثها عبر البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (7.3%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاءت الزراعة في المرتبة الثالثة في برنامج "Inside South Soudan"، وبرنامج "Solvers"، بنسبة بلغت (10.2%) للأول، و(11.2%) للثاني، وفي المرتبة الثامنة في برنامج "Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (0.5%).

أما الصحة، فقد جاءت في المرتبة الخامسة من حيث المساحة الزمنية التي خصصت للموضوعات التي تم بثها عبر برامج الدراسة، بنسبة بلغت (6.2%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة،فقد جاءت الصحة في المرتبة الثامنة في برنامج "Inside South Soudan"، بنسبة بلغت (3.4%)، وفي المرتبة الخامسة في برنامج "Solvers"، بنسبة بلغت (5.9%)، وفي المرتبة الثالثة في برنامج "Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (10.1%).

وجاء الاقتصاد في المرتبة السادسة من حيث المساحة الزمنية التي خصصت للموضوعات التي تم بثها عبر برامج الدراسة، بنسبة بلغت (4.2%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاءت المساحة الزمنية التي حصلت عليها الموضوعات المتعلقة بالاقتصاد في المرتبة السابعة في برنامج " Inside South Soudan"، بنسبة (4.1%)، وفي المرتبة السادسة في برنامج " Solvers" بنسبة (3.8%)، وفي المرتبة الخامسة في برنامج "Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (4.6%).

أما الموضوعات التي اندرجت تحت فئة "غير ذلك"، والتي تمثلت في (الرياضة، والوحدة الوطنية، والعنف الجامعي، والتجارة، والامن الداخلي، ودفع الضرائب)، فقد احتلت مساحة زمنية جعلتها تأتي في المرتبة السابعة، بنسبة بلغت (4.0%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاءت موضوعات هذه الفئة في المرتبة السادسة في برنامج "Inside South Soudan"، بنسبة بلغت (4.7%)، وفي المرتبة الثامنة في برنامج "Solvers" بنسبة (2.5%)، وفي المرتبة السادسة في برنامج "Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (4.5%).

أما بقية الموضوعات الأخرى، والمتمثلة بالموضوعات السياسية، وموضوعات

الطفل، والبيئة، والثقافة، فقد احتلت المراتب الثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشرة، وبمساحات زمنية متدنية، تراوحت نسبتها ما بين (3.0 %-0.1%).

ومن خلال النتائج السابقة التي تضمنها الجدول رقم (2)، يمكن استخلاص ما يلي:

1- أن موضوعات السلام احتلت المرتبة الأولى من حيث المساحة الزمنية التي خصصت للمواضيع عبر البرامج الثلاثة، بنسبة بلغت (49.0%)، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن ترسيخ دعائم السلام ومن ثم تعزيز بناء الدولة على المدى الأطول هو أحد أهم مهام بعثة الأمم المتحدة إلى دولة جنوب السودان التي شهدت حربا مع جارتها الشمالية.

2- أن الموضوعات المتعلقة بـ " المرأة " حصلت على مساحة زمنية جعلتها في المرتبة الثانية من الموضوعات الأخرى، بنسبة (13.9%)، ويرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود إلى توعية مجتمع دولة جنوب السودان بحقوق المرأة، ووقف العنف المنظم ضدها، إضافة إلى ضرورة الاهتمام بتعليم المرأة، ومحاسبة أي شخص يتورط فى انتهاك حقوقها. كذلك فإن منظمة الأمم المتحدة، والتي تتبع الإذاعة لها، تهتم بصفة خاصة بالاحتياجات الخاصة بالنساء، والأطفال المقاتلين.

3- جاء التعليم في المرتبة الثالثة من حيث المساحة الزمنية التي خصصت له، بنسبة بلغت (10.9%)، ويمكن إرجاع ذلك إلى كون الاهتمام بالتعليم يعتبر المرتكز الأساس لتحقيق برامج النهضة الشاملة والمستدامة، التي يعول عليها لتطوير دولة جنوب السودان في المجالات كافة، إضافة إلى العمل على بناء أجيال قادمة تفتح آفاقا جديدة لمستقبل أفضل لبلادهم.

4- احتلت الموضوعات المتعلقة بالزراعة المرتبة الرابعة، من حيث المساحة الزمنية التي خصصت لها، بنسبة بلغت (7.3%)، ويعكس هذا اهتمام الإذاعة بالزراعة؛ ذلك أن دولة جنوب السودان من أهم بلدان العالم التي تتوافر فيه

المياه والأراضي الصالحة للزراعة، إلا أن الحرب قد شغلت المواطنين عن الإستثمار في هذا القطاع، الذي قد يؤدي استغلال موارده إلى تحسن الوضع الاقتصادي للبلاد بشكل عام.

5- جاءت الصحة في المرتبة الخامسة، من حيث المساحة الزمنية التي خصصت لها، بنسبة (6،2%)، ويبدو أن التركيز على هذا القطاع جاء نظرا لتدهور الاوضاع الصحية للمواطنين في دولة جنوب السودان جرّاء انتشار الأمراض، الأمر الذي يعني ضرورة العمل على رفع الوعي الصحي للمواطنين، والاهتمام بصحتهم، من خلال دفعهم إلى زيارة المراكز الصحية. حيث إن تعزيز التمتع بصحة جيدة طيلة الحياة يحسن فرص بقاء الإنسان معافى ومنتجاً في خريف العمر، إضافة إلى أنه أحد الأهداف الإنمائية للألفية التابعة للأمم المتحدة.

الجدول رقم (3)

طبيعة مضامين الموضوعات التي حملتها البرامج المدروسة التي تم بثها عبر إذاعة "مرايا"

نوع المضامين	البرنامج / طبيعة المضامين	INSIDE SOUTH SOUDAN		SOLVERS		MIRAYA BREAKFAST SHOW		المجموع	
		ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
مضامين تتعلق بثقافة السلام	تكريس فكرة الحياة بدون نزاع	48	18.5	29	18.5	45	23.4	122	20.1
	تكريس فكرة التوجه نحو الحياة المدنية	27	10.4	8	5.1	34	17.7	69	11.4

	تهدئة النزاعات القبلية	11	4.2	14	8.9	1	0.5	26	4.3
مضامين تتعلق بثقافة التنمية	تكريس فكرة احترام القانون	11	4.2	3	1.9	6	3.1	20	3.3
	تكريس فكرة مشاركة الأحزاب السياسية في إدارة الدولة	16	6.2	2	1.3	4	2.1	22	3.6
	تكريس فكرة المحافظة على الممتلكات العامة	10	3.9	1	0.6	2	1.0	13	2.1
	الدفع نحو التعليم	29	11.2	14	8.9	29	15.1	72	11.8
	الدفع نحو الاستفادة من الثروات الزراعية	33	12.7	26	16. 6	8	4.2	67	11.0

	الدفع نحو المحافظة على الثروات النفطية	15	5.8	9	5.7	5	2.6	29	4.8
	الدفع نحو الاهتمام بالصحة العامة	13	5.0	7	4.5	25	13.0	45	7.4
	تحسين صورة المرأة في المجتمع	34	13.1	39	24.8	18	9.4	91	15.00
	غير ذلك	12	4.6	5	3.2	15	7.8	32	5.3
	المجموع الكلي	259	100	157	100	192	100	608	100

تشير بيانات الجدول رقم (3) إلى المضامين التي تم بثها عبر البرامج مدار البحث، حيث جاء المضمون المتعلق بـ " تكريس فكرة الحياة بدون نزاع " في المرتبة الأولى بين المضامين التي تم بثها عبر البرامج الثلاث، بنسبة بلغت (20.1%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاء مضمون " تكريس فكرة الحياة بدون نزاع " في المرتبة الأولى في برنامج "Inside South Soudan" وبرنامج "Solvers" وبرنامج "Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (18.5%) للأول، و(18.5%) للثاني، و(23.4%) للثالث.

أما المضمون المتعلق بـ " تحسين صورة المرأة في المجتمع "، فقد جاء في المرتبة الثانية بين المضامين التي تم بثها عبر البرامج الثلاث، بنسبة بلغت (15.00%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاء مضمون تحسين صورة المرأة في المجتمع " في المرتبة الثانية في برنامج "Inside South Soudan"، بنسبة بلغت (13.1%)، وفي المرتبة الأولى في

برنـامج "Solvers"، بنـسبة (24.8%)، وفي المرتبـة الخامـسة في برنـامج "Miraya Breakfast Show"، بنـسبة بلغت (9.4%).

واحتل المضمون المتعلق بـ " الدفع نحو التعليم " المرتبة الثالثة، من بين المضامين التـي تـم بثهـا عبر البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (11.8%)، وفيما يخص كل برنامج على حدة، فقد جاء مضمون " الدفع نحو التعلـيم " في المرتبـة الرابعـة في برنـامج "Inside South Soudan" و "Solvers"، بنـسبة بلغـت (11.2%) لـلأول، و (8.9%) للثـاني، فـيما احتـل المرتبـة الثالثـة في برنـامج "Miraya Breakfast Show"، بنـسبة بلغـت (15.1%).

أما المضمون المتعلق بـ " تكريس فكرة التوجه نحو الحياة المدنية "، فقد احتل المرتبـة الرابعـة بين المضامين التي تم بثها عبر البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (11.4%)، وفيما يخص كل برنامج على حدة، فقد جاء مضمون " تكريس فكرة التوجه نحو الحياة المدنية " في المرتبة الخامسة في برنامج " Inside South Soudan"، بنسبة بلغت (10.4%)، وفي المرتبـة الـسادسة في برنـامج "Solvers"، بنـسبة (5.1%)، وفي المرتبـة الثانية في برنامج"Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (17.7%).

وقد احتل مضمون " الدفع إلى الاستفادة من الثروات الزراعية " المرتبة الخامسة بين المضامين في البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (11.0%)، وفيما يخص كل برنامج على حدة، فقد احتل المـضمون المتعلـق بــ " الـدفع إلى الاسـتفادة مـن الـثروات الزراعيـة " المرتبـة الثالثـة في برنـامج "Inside South Soudan" و "Solvers"، بنـسبة بلغـت (12.7%) لـلأول، و(6.16%) للثـاني، وفي المرتبـة الـسابعة في برنـامج " Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (4.2 %).

أما فيما يخص المضمون المتعلق بـ " الدفع نحـو الاهـتمام بالـصحة العامـة "، فقـد جاء في المرتبة السادسة، بنسبة بلغت (7.4%)، أما فيما يخص كـل برنـامج عـلى حـدة، فقـد احتل مضمون الدفع نحو الاهتمام بالصحة العامة " المرتبة الثامنة في برنـامج " Inside South Soudan"، بنـسبة بلغـت (5.0%)، وفي المرتبـة الـسابعة في برنـامج "Solvers"، بنـسبة بلغـت

(4.5%)، وفي المرتبة الثالثة في برنامج "Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (13.0%).

أما المضامين التي جاءت تحت فئة "غير ذلك "، والتـي تمثلـت في (الـدعوة إلى المحبـة والوحـدة الوطنية، والدفع نحو تسجيل اسماء النازحين من الشمال إلى الجنوب، والدفع نحو دفع الـضرائب، والـدفع إلى نبذ العنف الجامعي، والدفع نحو المحافظة على حظائر الحيوانات)، فقد جـاءت في المرتبـة الـسابعة في كل البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (5.3%)، أما فيما يخص كل برنامج عـلى حـدة، فقـد احتلـت المـضامين تحت فئة "غير ذلك " المرتبة التاسعة في برنـامج "Inside South Soudan"، بنـسبة بلغـت (4.6%)، والمرتبـة الثامنـة في برنـامج "Solvers"، بنـسبة بلغـت (3.2%)، وفي المرتبـة الـسادسة في برنـامج " Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (7.8%).

وقد احتلت المطالب المتعلقة بـ " الدفع نحو المحافظة على الثروات النفطية، وتهدئة النزاعـات القبلية، وتكريس فكرة مشاركة الأحزاب السياسية في إدارة الدولة، وتكريس فكرة احترام القانون، وتكريس فكرة المحافظة على الممتلكات العامة " المراتب الثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عـشرة والثانيـة عـشرة على التوالي، وحصلت جميعها على نسب متواضعة تراوحت ما بين (4.8%-2.1%).

ومن خلال النتائج السابقة التي تضمنها الجدول رقم (3)، يمكن للباحثينِ استخلاص ما يلي:

1- عملت الإذاعة على الحث على السلام من خلال "تكريس فكـرة الحيـاة بـدون نـزاع" والـذي جاء في المرتبة الأولى بين المضامين التي تم بثها عبر البرامج الثلاث، ويمكـن القـول إن الإذاعـة ركزت على هذا المضمون؛ بهدف الحد مـن النفـوذ القـبلي عـلى الـثروات الطبيعيـة، بـسبب غياب سجلات لملكيات الاراضي، الامر الذي انعكس ايضا على الأفـراد خـارج منـاطق الوجـود السكاني.

2- لقد جاء مضمون "تكريس فكرة التوجه نحو الحياة المدنية "، والمتعلق بالحث على ثقافة السلام في المرتبة الرابعة من بين المضامين التي حملتها البرامج المدروسة، حيث يقوم المجتمع هناك على الأعراف القبلية التي تتعارض مع التوجهات المدنية، مما دفع الإذاعة لحث أفراد مجتمع دولة جنوب السودان إلى التعايش المدني ونزع السلاح، الذي يزيد توفره بين أفراد المجتمع من احتمالات العودة إلى الاقتتال في أية لحظة.

3- احتل المضمون المتعلق بـ " تحسين صورة المرأة في المجتمع " المرتبة الثانية بين المضامين التي تم بثها عبر البرامج مدار البحث، ويمكن إرجاع ذلك إلى سعي الإذاعة إلى مراعاة ما عانته المرأة قبل الحرب وأثنائها في الجنوب. حيث تعرضت المرأة خلال فترة النزاعات إلى الكثير من الاضرار النفسية والاجتماعية والجسدية، وتجلى ذلك بما تعرضت لهُ من الموت والتشريد والعيش في ظل الفقر، وذلك بالرغم مما للمرأة السودانية من خصوصية، باعتبارها الأكثر وجوداً في ميادين الحياة اليومية، اذ تقوم بجميع الاعمال، وتُعد المسؤول الأول عن توفير متطلبات الحياة للأسرة، ومن ضمنها الرجل الذي يعدُ من الناحية النظرية صاحب الولاية الأولى في المنظومة الاجتماعية السودانية، على قلة مساهمته بروافدها.

4- جاء مضمون "الدفع نحو التعليم" في المرتبة الثالثة، من بين المضامين التي سعت الإذاعة إلى تعزيزها عبر البرامج مدار البحث، ويمكن إرجاع ذلك إلى نظر القائمين على الإذاعة للتعليم على انه شأن قومي، وحق من حقوق الانسان، ومحور لنقطة تحول كبيرة، تتمثل بأن الاستثمار في التعليم يعمل على تحسين وتطوير الموارد البشرية، إضافة إلى دفع جهود محو الامية المنتشرة، وذلك من أجل خلق خامات مجتمعيه واعية تساهم في صناعة مستقبل دولة جنوب السودان.

5- أهتمت الإذاعة بالمضمون المتعلق بـ " الدفع إلى الاستفادة من الثروات

الزراعية "، حيث احتل هذا المضمون المرتبة الخامسة من بين المضامين التـي حملتهـا الـبرامج المدروسة، ويمكن ارجاع ذلك إلى أن الاهتمام بالزراعة هو الحل الأمثل لتوفير العمل والطعـام للسودانيين العائدين من شمال السودان إلى جنوبه، في وضع تُعـد فيـه غالبيـة أراضي جنـوب السودان أكثر خصوبة وصالحة للزراعة، ولكن بسبب الظروف التي مرت بها البلاد، فلـم يـتم استغلال سوى جزء ضئيل منها.

6- جاء المضمون المتعلق بـ " الدفع نحو الاهتمام بالصحة " في المرتبة السادسة من بين المضامين التي حملتها البرامج المدرسة، ويبدو أن الإذاعة ربما ركزت على هذا المـضمون نظـراً لانتـشار الأمراض المزمنة، وتدهور الأوضاع الإنسانية في جنـوب الـسودان، ونقـص العـاملين الـصحيين المؤهّلين، الأمر الذي يعد من المشكلات الصحية المعقدة التي يجب تسويتها، أضف إلى ذلـك أن المرضى كانوا غير قادرين على بلوغ مراكز العلاج بسبب انعدام الأمن، والفيضانات، وطول المسافة بـين تلـك المراكـز وأمـاكن إقـامتهم، الأمـر الـذي يعنـي وجـوب دفعهـم إلى العنايـة بصحتهم بشكل جيد.

الجدول رقم (4)

القيم التي حملتها مضامين البرامج المدروسة في إذاعة "مرايا ".

البرنامج / القيم	INSIDE SOUTH SOUDAN		SOLVERS		MIRAYA BREAKFAST SHOW		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
ايجابية	189	73.0	95	60.5	121	63.0	405	66.6
سلبية	13	5.0	16	10.2	35	18.2	64	10.5
محايدة	43	16.6	31	19.8	22	11.5	96	15.8

مختلطة	14	5.4	15	9.6	14	7.3	43	7.1
المجموع الكلي	259	100	157	100	192	100	608	100

وحول قيم التغطية التي حملتها مضامين البرامج المدروسة التـي تـم بثهـا عـبر إذاعـة مرايـا، تـشير بيانات الجدول رقم (4) إلى أن القيم الايجابية سيطرت على هذه المضامين في كل البرامج المدروسة، بنـسبة بلغت (66.6%)، في حين جاءت القيم المحايدة في المرتبة الثانية، بنسبة بلغت (15.8%)، فيما احتلت القيم السلبية المرتبة الثالثة بنسبة (10.5%). فيما جاءت القيم المختلطة في المرتبة الاخيرة بنسبة بلغت (7.1%).

وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد احتلت القيم الإيجابيـة المرتبـة الأولى في برنـامج " Inside South Soudan" وبرنامج " Solvers" وبرنامج "Miraya Breakfast Show"، بنـسبة بلغـت (73.0%) لـلأول، و (60.5%) للثاني، و(63.0%) للثالث. أما القيم السلبية فقد احتلت المرتبة الاخيرة في برنـامج " Inside South Soudan"، بنسبة بلغـت (5.0%)، والمرتبـة الثالثـة في برنـامج "Solvers"، بنـسبة بلغـت (10.2%)، والمرتبـة الثانية في برنامج "Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (18.2%).

وجاءت القيم المحايـدة في المرتبـة الثانيـة في برنـامج "Inside South Soudan" وبرنـامج " Solvers"، بنسبة بلغت (16.6%) للأول و (19.8%) للثاني، وفي المرتبـة الثالثـة في برنـامج " Miraya Breakfast Show"، بنسبة بلغت (11.5%). أما القيم المختلطة فقد احتلـت المرتبـة الثالثـة في برنـامج "Inside South Soudan" بنـسبة بلغـت (5.4%)، والمرتبـة الرابعـة في برنـامج "Solvers" وبرنـامج "Miraya Breakfast Show" بنـسبة بلغت (9.6%) للاول، و (7.3%) للثاني.

وبالنظر إلى هذه النتائج يتضح اهتمام الإذاعة بتدعيم القيم الإيجابيـة عنـد الجمهـور، مـن خـلال الموضوعات التي تقوم بطرحها فيما يخص ثقافتيّ السلام والتنمية في مجتمع جنوب السودان، الأمـر الـذي يجعل المجتمع متماسكا وقويا وآمناً.

الجدول رقم (5)

نوع الجمهور الذي استهدفته مضامين الرسائل في برامج إذاعة "مرايا" المدروسة.

البرنامج / نوع الجمهور	INSIDE SOUTH SOUDAN		SOLVERS		MIRAYA BREAKFAST SHOW		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
المرأة	15	5.8	13	8.3	10	5.2	38	6.3
الطفل	1	0.4	1	0.6	1	0.5	3	0.5
الشباب	12	4.6	5	3.2	8	4.2	25	4.1
المزارعون	12	4.6	7	4.5	3	1.6	22	3.6
الحرفيون	2	0.8	2	1.3	0	0	4	0.7
صناع القرار	5	1.9	1	0.6	6	3.1	12	2.0
الجمهور العام	200	77.2	122	77.7	160	83.3	482	79.3
غير ذلك	12	4.6	6	3.8	4	2.1	22	3.6
المجموع الكلي	259	100	157	100	192	100	608	100

بالنظر إلى الجدول رقم (5) يتضح أن مضامين الرسائل في برامج إذاعة "مرايا" المدروسة استهدفت الجمهور العام، الذي جاء في المرتبة الأولى بنسبة بلغت (79.3%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاء الترتيب متوافقا مع الترتيب السابق، حيث احتل الجمهور العام المرتبة الأولى في البرامج الثلاث محل الدراسة، بنسبة بلغت (77.2%) في برنامج "Inside South Soudan"، و(77.2%) في برنامج "Solvers"، و(83.3%) في برنامج " Miraya Breakfast Show".

أما المرأة فقد جاءت في المرتبة الثانية من حيث الجمهور المستهدف عبر البرامج

المدروسة، بنسبة بلغت (6.3%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاء الترتيب متوافقا مع الترتيب السابق، حيث احتلت المرأة المرتبة الثانية في البرامج الثلاثة المدروسة، بنسبة بلغت (5.8%) في برنامج "Inside South Soudan"، و(8.3%) في برنامج "Solvers"، و(5.2%) في برنامج " Miraya Breakfast Show".

أما جمهور الشباب فجاء في المرتبة الثالثة من بين الجماهير المستهدفة عبر البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (4.1%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاء جمهور الشباب في المرتبة الثالثة في برنامج "Inside South Soudan" وبرنامج "Miraya Breakfast Show" بنسبة بلغت (4.6%) للأول، و (4.2%) للثاني، وفي المرتبة الخامسة في برنامج " Solvers"، بنسبة بلغت (3.2%).

ويتضح من الجدول السابق تساوي النسبة لجمهور فئة "المزارعين" وفئة "غير ذلك"، عبر البرامج المدروسة، حيث حظي كلاهما بنسبة (3.6%)، إضافة إلى تساوي النسبة لهذين الجمهورين عبر برنامج "Inside South Soudan " فأحرز كلاهما نسبة (4.6%). وتمثل الجمهور الذي اندرج تحت فئة "غير ذلك" في (الاشخاص النازحين إلى دولة جنوب السودان ولم يسجلوا أسماءهم، والرياضيين، والمتعصبين للقبيلة، والأشخاص غير المسددين للضرائب). أما بقية الجماهير والمتمثلين بجمهور صناع القرار، وجمهور الحرفيين، والطفل، فقد احتلوا المراتب الخامسة والسادسة والسابعة على التوالي، بنسب متدنية، تراوحت ما بين (2.0 %- 0.5%).

ومن خلال النتائج السابقة التي تضمنها الجدول رقم (5)، يمكن للباحثِين استخلاص ما يلي:

1- استهدفت الإذاعة، من خلال مضامين الرسائل التي بثتها عبر البرامج المدروسة فئة (الجمهور العام) في المرتبة الأولى بنسبة (79.3%)، ويمكن تفسير ذلك بأن استهداف الجمهور العام، وعدم استهداف جمهور خاص بعينه، يعني استهداف الرأي العام من أجل تشكيله وإدارته بالطرق التي تخدم مصالح

القائمين على الإذاعة، والمتمثلة بنشر المفاهيم المتعلقة بالتنمية والسلام للجمهور بكل حيادية وموضوعية، إضافة إلى سعي الإذاعة إلى أن تكون إذاعة خدمة عامة.

2- احتلت المرأة المرتبة الثانية من بين الجماهير المستهدفة، بنسبة بلغت (6.3%)، ويمكن القول إن الإذاعة استهدفت المرأة سعياً لتحسين أوضاعها وتقليل معاناتها والمساواة بينها وبين الرجل، لتحقيق التحول الديمقراطي والحكم الراشد، وهذا الأمر يتفق مع أهداف الأمم المتحدة لتحسين صورة المرأة في العالم، حيث إنها معنية بالمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة اجتماعيا واقتصاديا من أجل احراز تقدم في تلبية احتياجاتها، إضافة إلى اتفاق ذلك مع أهداف مؤسسة (Hirondelle) التي تدير الإذاعة تحت راية الأمم المتحدة في دولة جنوب السودان.

3- احتل الشباب المرتبة الثالثة من بين الجماهير المستهدفة عبر برامج الإذاعة المدروسة، وربما يعود السبب في ذلك إلى كون الشباب هم طاقة المجتمع، وعلى أيديهم تُبنى الحضارات. ولذلك تم الاهتمام بهم من أجل توجيه طاقاتهم توجيهاً إيجابياً نحو التطوير والبناء، حيث إنه وبدون التوجيه يمكن أن تصبح هذه الطاقة معول هدم، لا معول بناء.

4- استهدفت الإذاعة جمهور المزارعين، من خلال مضامين الرسائل التي بثتها، بنسبة بلغت (3.6%)، وربما يعود ذلك إلى قناعة القائمين على الإذاعة بأن دولة جنوب السودان بلد زراعي، وان التطور فيه لا يحدث إلا عبر الزراعة، لذلك لابد من الاهتمام بالمزارعين، ودعمهم والوقوف إلى جانبهم لتطوير المجال الزراعي، الذي سيسهم في التنمية الاقتصادية بشكل إيجابي، من خلال توفير فرص عمل للمواطنين، وإمكانية الوصول إلى الاكتفاء الذاتي من المنتجات الزراعية.

الجدول رقم (6)

وسائل إبراز المادة في برامج إذاعة "مرايا" المدروسة.

البرنامج / وسائل إبراز المادة الاذاعية	INSIDE SOUTH SOUDAN		SOLVERS		MIRAYA BREAKFAST SHOW		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
مؤثرات طبيعية	0	0	0	0	0	0	0	0
مؤثرات صناعية	188	49.1	61	22.9	153	67.4	402	45.8
اســـتخدام الحـــوار في البرنامج	156	40.7	111	41.6	58	25.6	325	37.1
استخدام أكثر من صوت	4	1.0	81	30.3	10	4.4	95	10.8
استخدام الترجمة	35	9.1	14	5.2	6	2.6	55	6.3
المجموع الكلي	383	100	267	100	227	100	877	100

أما بخصوص وسائل إبراز المادة الإذاعة في البرامج المدروسة، فإن بيانات الجدول رقم (6) تشير إلى أن "المؤثرات الصناعية" جاءت في المرتبة الأولى بين وسائل إبـراز المـادة الاذاعيـة، بنـسبة بلغـت (45.8%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حـدة، فقـد جـاءت المـؤثرات الـصناعية في المرتبـة الأولى في برنـامج " Inside South Soudan" وبرنامج "Miraya Breakfast Show" بنسبة بلغت (49.1%) لـلأول، و(67.4%) للثـاني. فـيما جاءت في المرتبة الثالثة في برنامج " Solvers"، بنسبة بلغت (22.9 %).

أما "استخدام الحـوار" فقـد جـاء في المرتبـة الثانيـة مـن بـين وسـائل إبـراز المـادة الاذاعية في البرامج الثلاث، بنسبة (37.1%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد احتل استخدام الحوار من حيث هو أحد وسائل إبـراز المـادة الاذاعيـة المرتبـة الثانيـة في الـبرامج

الثلاثـة وبنـسبة (40.7%) في برنـامج "Inside South Soudan"، بنـسبة (41.6%) في برنـامج " Solvers"، و بنسبة (25.6%) في برنامج"Miraya Breakfast Show".

وجاء "استخدام اكثر من صوت"، بوصفه وسيلة إبراز للمادة الاذاعية في الـبرامج المدروسـة، في المرتبـة الثالثـة، بنسبة بلغت (10.8%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد احتـل اسـتخدام أكـثر مـن صـوت المرتبـة الرابعـة في برنامج "Inside South Sodan"، بنسبة بلغت (1.0%)، فـيما جـاء في المرتبـة الثانيـة في برنـامج " Solvers" بنـسبة بلغـت (30.3%)، وجاء في المرتبة الثالثة في برنامج "Miraya Breakfast Show" بنسبة بلغت (4.4%).

وفيما يتعلق "باستخدام الترجمه" من حيث هي وسيلة إبراز عبر البرامج الثلاثة فقـد جـاءت هـذه الفئة في المرتبة الرابعة، بنسبة بلغت (6.3%). وفيما يتعلق بكـل برنـامج عـلى حـدة، فقـد جـاء في المرتبـة الثالثة في برنامج "Inside South Soudan " بنـسبة بلغـت (9.1%)، فـيما جـاء في المرتبـة الرابعـة في برنـامج "Solvers" وبرنـامج "Miraya Breakfast Show" بنـسبة بلغـت (5.2%) لـلاول، و(2.6%) للثـاني. هـذا ولم تستخدم الإذاعة "المؤثرات الطبيعية" وسيلةً لإبراز المادة الإذاعية في البرامج الثلاثة.

ومن خلال النتائج السابقة التي تضمنها الجدول رقم (6)، يمكن للباحثيِن استخلاص ما يلي:

1- احتلت المؤثرات الصناعية المرتبة الأولى بين وسائل إبراز المادة الإذاعية، بنسبة بلغـت (45.8%)، وكانت هذه المؤثرات عبارة عـن أغـانٍ حملـت معـاني متنوعـة، تناولـت في معظمهـا تهدئـة النفوس والمحبة بين الأفراد والشعوب والتعامل مع الحب، والمرأة، والوجـه الجميـل للحيـاة. وقد لاحظ الباحثان أن الإذاعة كانت تقوم ببث الاغنية كاملة، وربمـا يعـود الـسبب في ذلـك إلى طبيعة الشعب في دولة جنوب السودان، الذي يعبر عن نفسه من خلال الأغاني والـرقص، أي أن الإذاعة تقوم بجذب الجمهور نحو هـذه الـبرامج -التـي تحمـل ثقافـة جديـدة - عـن طريق ما يحبون أن يسمعوا.

2- جاء استخدام الحوار مصدراً من مصادر إبراز المادة الاذاعية في المرتبة الثانية ضمن المصادر الأخرى، وهذا يعني أن الإذاعة سعت إلى تشجيع الحوار بين أفراد المجتمع ودعمه، كي تصل إلى حل النزاعات بروحية التفاهم والتعاون المشترك.

3- جاء استخدام الإذاعة لأكثر من صوت (اكثر من مذيع يقدم البرنامج) في المرتبة الثالثة، من بين مصادر إبراز المادة الإذاعية، وربما يعود السبب في ذلك إلى رغبة الإذاعة في كسر الجمود الذي قد يحدث عند الجمهور جراء سماع صوت واحد طوال فترة بث البرنامج، إضافة إلى التنوع في أسلوب العرض للمعلومات، مما يساعد في استقطاب الجمهور.

4- جاء استخدام الإذاعة للترجمة كواحد من مصادر إبراز المادة الاذاعية، لأن مذيعي البرامج كانوا يستضيفون شخصيات أجنبية، من العاملين في المنظمات الدولية التي تتواجد في دولة جنوب السودان، الأمر الذي كان يستدعي ترجمة المعلومات الواردة على لسان الضيوف. ويعد إدخال اللغة الإنجليزية في برامج الإذاعة واحداً من الأمور التنموية، كون اللغة الإنجليزية هي اللغة الأولى في العالم، حيث إنّ ثلثي سكان العالم يتعلمونها ويستخدمونها في التواصل مع غيرهم من أبناء الثقافات الأخرى.

5- لم تستخدم الإذاعة "المؤثرات الطبيعية" وسيلة لإبراز المادة في البرامج الثلاثة، وربما يعود ذلك إلى ضعف جودة هذه المؤثرات، فتم الاستعاضة عنها بأصوات مشابة (مؤثرات صناعية)، ذات جودة عالية للحفاظ على مستوى واحد من الشدة والنقاء الصوتي خلال البرامج.

الجدول رقم (7)

مصادر المادة الإذاعية في برامج إذاعة "مرايا" المدروسة

البرنامج / مصادر المادة الاذاعية	INSIDE SOUTH SOUDAN		SOLVERS		MIRAYA BREAKFAST SHOW		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
مقدم البرنامج	173	45.4	122	41.5	110	29.8	405	39.1
ضيوف في الاستوديو	10	2.6	0	0	7	1.9	17	1.6
ضيوف عبر الهاتف	1	0.3	14	4.8	8	2.2	23	2.2
اتصالات المشاركين	159	41.7	121	41.2	61	16.5	341	32.9
التقارير المسجلة	38	10	37	12.6	67	20.6	142	13.7
غير ذلك	0	0	0	0	107	29	107	10.3
المجموع الكلي	381	100	294	100	360	100	1035	100

وبالنظر إلى الجدول رقم (7) يتضح أن "مقدم البرنـامج" احتـل المرتبـة الأولى بوصـفة مـصدراً للـمادة الاذاعية عبر البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (39.1%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جـاء الترتيـب متوافقا مع الترتيب السابق، والمتعلق بمصدر المادة الاذاعية، بنسبة بلغت (45.4%) في برنـامج " Inside South Soudan"، و(41.5%) في برنامج "Solvers"، و(29.8%) في برنامج " Miraya Breakfast Show ".

أما "اتصالات المشاركين" كمصدر للمادة الاذاعية، فقد جاءت في المرتبـة الثانيـة، بين الموضوعات التي تم بثها عبر البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (32.9%)، وفيما يتعلـق بكل برنامج على حدة، فقد جاءت في المرتبـة الثانيـة في برنـامجي "Inside South Sodan" و"Solvers" بنـسبة بلغـت (41.7%) لـلأول، و (41.2%) للثـاني، وفي المرتبـة الرابعـة في

برنامج "Miraya Breakfast Show" بنسبة بلغت (16.5%).

وجاءت "التقارير المسجلة" بوصفها أحد مصادر المادة الاذاعية في المرتبة الثالثة عبر البرامج الثلاثة، وبنسبة بلغت (13.7%). وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فقد جاءت التقارير المسجلة في المرتبة الثالثة عبر البرامج الثلاثة، بنسبة (10%) في "Inside South Soudan"، و(12.6%) في برنامج "Solvers" و (20.6%) في برنامج"Miraya Breakfast Show".

أما فئة "غير ذلك" والتي تمثلت في الرسائل النصية القصيرة (SMS)، فقد احتلت المرتبة الرابعة من بين مصادر المادة الإذاعية في البرامج الثلاثة، بنسبة بلغت (10.3%)، وفيما يتعلق بكل برنامج على حدة، فلم تظهر هذه الفئة كمصدر للمادة الاذاعية في برنامجي "Inside South Soudan" و"Solvers". وجاءت في المرتبة الثانية في برنامج "Miraya Breakfast Show " بنسبة بلغت (29%).

أما بقية مصادر المادة الاذاعية، والمتمثلة في "ضيوف البرنامج عبر الهاتف" و"الضيوف في الأستوديو"، فتشير بيانات الجدول إلى أنها جاءت في المرتبتين الخامسة والسادسة، بنسبة متدنية جداً تراوحت ما بين (1.6%-2.2%)، وبما مجموعه (3.8%) من مجمل مصادر المادة الإذاعية في البرامج الثلاثة.

ومن خلال النتائج السابقة التي تضمنها الجدول رقم (7)، يمكن للباحثينِ استخلاص ما يلي:

1- اعتمدت الإذاعة على مقدم البرنامج مصدراً اساسياً للمادة الاذاعية، وجاء في المرتبة الأولى مقارنة بالمصادر الأخرى، ويمكن ارجاع ذلك إلى كون المذيع يقوم بالتحضير المسبق للرسائل التي سيوجهها للجمهور، الأمر الذي يعني تطابق المادة المقدمة مع الرؤية التي وضعها أساساً لبرنامجه، والتي تتوافق مع الرسالة التي تريد الإذاعة إيصالها.

2- جاءت اتصالات المشاركين في المرتبة الثانية، مصدراً للمادة الإذاعية، وهذا يدل على اعتماد الإذاعة على الجمهور الذي يتفاعل مع المواضيع التي يتم طرحها، وهذا يعني تفعيل الحوار بين أفراد المجتمع لفهمهم للقضايا، خاصة التنموية منها. وهنا يمكن القول ان الإذاعة كانت قادرة على الإسهام في بناء ثقافتيّ السلام والتنمية، عبر بث المعلومات، وحض الناس على التلاقي، بدلا من تشجيع الفرقة والتباعد في ما بينهم.

3- احتلت التقارير المسجلة المرتبة الثالثة بين مصادر المادة الإذاعية، وقد لاحظ الباحثان أن المدة الزمنية لهذه التقارير كانت طويلة، وتتجاوز في اغلبها (10) دقائق، وهذا يتناسب مع طبيعة أفراد دولة جنوب السودان المعروفين بإستهلاك وقت طويل في تفاصيل حياتهم، علماً بأن مهمة التقارير المسجلة تتمثل، بإيصال تصور حول موضوع معين، وتوضيح الايجابيات والسلبيات المتعلقة به بوقت سريع، وهذا يعني عدم تحقيق الهدف المرجو من التقرير فيما لو كان سريعا، كون الجمهور المستهدف –بطبيعته- لا يحب السرعة، وهو الأمر الذي –ربما- جعل التقارير ذات مدة زمنية طويلة.

ثانيا: نتائج الدراسة المسحية المتعلقة بجمهور إذاعة "مرايا".

جدول رقم (8)

توصيف مجتمع الدراسة

المتغير	الفئة	التكرار	النسبة المئوية
النوع الاجتماعي	ذكر	220	%55.0
	أنثى	180	%45.0
المجموع		400	%100
	أقل من 18 سنة	45	% 11.3

الفئات العمرية	18 - 25 سنة	47	% 11.8
	26 - 33 سنة	168	% 42.0
	34 – 41 سنه	76	% 19.0
	42 - 49 سنة	51	% 12.8
	أكثر من 49 سنه	13	% 3.3
المجموع		400	%100
دخل الفرد	أقل من 250 جنية سوداني	103	%25.8
	250 - 500 جنية سوداني	143	%35.8
	501 – 750 جنيه سوداني	114	%28.5
	751 – 1000 جنيه سوداني	23	%5.8
	أكثر من 1000 جنيه سوداني	17	%4.3
المجموع		400	%100
المستوى التعليمي	أُمي (لا اقرأ ولا اكتب)	121	% 30.3
	الثانوية العامة فما دون	146	% 36.5
	دبلوم متوسط (كلية مجتمع)	62	% 15.5
	بكالوريوس	50	% 12.5
	دراسات عليا	21	% 5.3
المجموع		400	%100

ويـشتمل هـذا التوصـيف عـلى النـوع الاجتماعـي، والعمـر، ودخـل الفـرد، والمـستوى التعليمـي للمبحوثين.

وتشير بيانات الجدول رقم (8) إلى أن نسبة الذكور من أفراد العينة المبحوثـة بلغـت (55.0%) أمـا الإناث، فبلغت نسبتهن (45.0%). وفيما يتعلـق بالفئـات العمريـة لأفـراد العينـة المبحوثـة فتـشير بيانـات الجدول إلى أن من تقع أعمارهـم بـين (26-33) سـنة جـاءوا في المرتبـة الأولى، بنـسبة مقـدارها (% 42.0)، وجاء في المرتبة الثانية أولئك الذين تقع أعمارهم بين (34 –41) سـنه بنـسبة مقـدارها (19.0%)، وجـاء في المرتبة الثالثة من تقـع أعمارهـم بـين (42- 49) سـنه، بنـسبة مقـدارها (12.8%)، في حـين جـاء في المرتبـة الرابعة الذين تقع أعمارهم بين (18–25) سنة، بنسبة مقدارها (11.8%)، وجاء في المرتبة الخامـسة الأفـراد الذين تقل أعمارهم عن (18) سنه، بنسبة مقدارها (11.3%)، أما المرتبـة الاخـيرة فقـد احتلهـا مـن تزيـد أعمارهم عن (49) سنه بنسبة مقدارها (3.3%).

وفيما يتصل بدخل أفراد العينة المبحوثة، تشير البيانات إلى أن الأفراد ممن تتراوح دخولهم مابين (250 - 500) جنيه سوداني جاؤوا في المرتبة الأولى، بنسبة مقدارها (35.8%)، وجاء في المرتبة الثانية أولئـك الذين تتراوح دخولهم مابين (501 – 750) جنيه سوداني، بنسبة مقدارها (28.5 %)، وأما في المرتبـة الثالثـة فكانت لأولئك الذين تقل دخـولهم عـن 250 جنيـه سـوداني، بنـسبة مقـدارها (25.8%)، والمرتبـة الرابعـة لأولئك الذين تكون دخولهم بين (751 - 1000) جنيه سوداني، بنسبة مقدارها (5.8 %). أما المرتبة الاخيرة، فقد احتلها من تزيد دخولهم عن (1000) جنيه سوداني، بنسبة مقدارها (4.3 %).

وبخصوص المستوى التعليمي، جاء من يحملون شهادة الثانوية العامة فما دون في المرتبة الأولى، بنسبة مقدارها (36.5%)، أما المرتبة الثانية فقد احتلهـا الأميـون (لا يقـرأ ولا يكتب) بنسبة مقدارها (30.3%)، والمرتبة الثالثـة احتلهـا مـن يحملـون الـدبلوم المتوسـط (كلية مجتمع)، بنسبة (15.5%)، في حين احتـل مـن يحملـون درجـة البكـالوريوس المرتبـة

الرابعة بنسبة (12.5%)، وجاء في المرتبة الأخيرة من يحملون مؤهل الدراسات العليا، بنسبة بلغت (5.3%).

وبالنظر إلى هذه النتائج يمكن القول إن أغلب أفراد العينة المبحوثة من الذكور، تتراوح اعمارهم بين (26-33) سنة، وتتراوح دخولهم بين (250-500) جنيه سوداني، وهم من الأميين أو الذين يحملون شهادة الثانوية العامة أو أقل، أي أن المجتمع في دولة جنوب السودان مجتمع شاب، وفقير، ويتصف بنسبة تعليم متدنية.

جدول رقم (9)

الاستماع إلى إذاعة "مرايا" في دولة جنوب السودان

النسب والتكرارات / الخيارات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	351	%87.8
لا	49	%12.2
المجموع	400	%100

تشير بيانات الجدول رقم (9) إلى أن الغالبية العظمى من المبحوثين في دولة جنوب السودان يستمعون إلى إذاعة مرايا، حيث بلغت نسبة الذين يستمعون إليها (87.8%)، مقارنة مع ما نسبته (12.2%) لا يستمعون إلى الإذاعة، الأمر الذي يؤكد جماهيرية هذه الإذاعة، وقدرتها على استقطاب الجماهير من مكونات مجتمع جنوب السودان، وذلك من خلال ما تقدمه من برامج متنوعة خلال دورتها البرامجية المدروسة.

جدول رقم (10)

أسباب عدم الاستماع إلى إذاعة "مرايا "

النسب والتكرارات / الاسباب	التكرار	النسبة المئوية
لأنني لا أحب الاستماع إلى الإذاعات عموماً	29	% 40.8
لأنني أفضل وسائل الإعلام الأخرى عليها	12	% 16.9
لا يوجد لدي وقت	13	% 18.3
لأن موضوعاتها خفيفة وغير جادة	3	% 4.2
لعدم كفاءة المذيعين فيها	4	% 5.6
صعوبة التقاط الموجة التي تبث عليها الإذاعة	10	% 14.1
المجموع	71	% 100

* يمكن للمبحوث اختيار أكثر من بديل

يوضح الجدول رقم (10) أسباب عدم الاستماع إلى إذاعة مرايا، والتي أدلى بها (49) مفردة من إجمالي العينة. فقد أجمع معظم أفراد العينة، بما نسبته (40.8%) من مجموع إجابات المبحوثين، على أنهم لا يحبون الاستماع إلى الإذاعات عموماً، وأن ما نسبتهم (18.3%) ليس لديهم وقت للاستماع إلى البرامج المدروسة في حين يرى ما نسبتهم (16.9%) من المبحوثين أنهم يفضلون وسائل الإعلام الأخرى، وبين ما نسبتهم (14.1%) أن صعوبة التقاط الموجة التي تبث عليها الإذاعة وقفت حائلا دون استماعهم إليها، وأشار ما نسبتهم (5.6%) من مجموع إجابات المبحوثين، إلى ان عدم كفاءة المذيعين فيها هو السبب في عدم الاستماع إلى الإذاعة، في حين يرى ما نسبتهم (4.2%) من المبحوثين أن الموضوعات التي تقدمها الإذاعة غير جادة، ولا تعالج القضايا التي تمس

مصالح الناس، ولذلك فانهم لايستمعون إليها.

ويتضح من هذه النتائج أن عدم حب الاستماع إلى الإذاعات عموماً يعتبر هو السبب الرئيس للانصراف عن الاستماع إلى إذاعة "مرايا"، وليس لأسباب خاصة تتصل بالمضمون. كما أنّ المنافسة بين إذاعة مرايا ووسائل الإعلام الأخرى، من تلفزيون وصحف وغيرها تلعب دورا لا بأس به في عدم الاستماع إلى "مرايا"، علاوة على ضيق الوقت لدى بعض المبحوثين، ثمّ أنّ صعوبة التقاط الموجة التي تبث عليها الإذاعة، يحول دون استماع بعض المبحوثين إلى برامج إذاعة "مرايا".

جدول رقم (11)

أسباب الاستماع إلى إذاعة " مرايا "

النسب والتكرارات / الاسباب	التكرار	النسبة المئوية
لأن البرامج التي تقدمها مميزة	193	% 14.6
لأنني أحب سماع الأغاني التي تقدمها	151	% 11.4
للتسلية وقضاء وقت الفراغ	50	% 3.8
لأنها تعرض القضايا أفضل من غيرها	181	% 13.7
لأنها تلبي كثيراً من رغباتي في التعرف على الموضوعات المتعلقة بالتنمية و السلام	258	% 19.5
لأن القضايا التنموية التي تقدمها لا توفرها وسيلة أخرى	251	% 18.5
للتعرف على المشكلات والاحتياجات التي يعاني منها المواطن	172	% 13.0
لأن المذيعين فيها لديهم قدرة عالية في جذب المستمعين إليهم	70	% 5.3
المجموع	1326	% 100

* يمكن للمبحوث اختيار اكثر من بديل

تُظهر نتائج الجدول رقم (11) الأسباب التي تدعو المبحوثين إلى الاستماع إلى إذاعة "مرايا". حيث أكّد ما نسبتهم (19.5%) من مجموع إجابات المبحوثين أنهم يستمعون إلى الإذاعة لأنها تلبي كثيرا من رغباتهم في التعرف على الموضوعات المتصلة بالسلام والتنمية، تلاه في المرتبة الثانية دافع الاستماع " لأن القضايا التنموية التي تقدمها لا توفرها وسيلة أخرى" بما نسبتة (18.5%) من مجموع اجابات المبحوثين. ويرى ما نسبتهم (14.6%) أن السبب في الاستماع يعود إلى أن البرامج التي تقدمها الإذاعة تُعدُّ مميزة، في حين كانت نسبة من يرى أنها تعرض القضايا أفضل من غيرها (13.7%) من مجموع إجابات المبحوثين. وأشار ما نسبتهم (13.0%) إلى أنهم يستمعون إلى الإذاعة للتعرف على المشكلات والاحتياجات التي يعاني منها المواطن. تلاها دافع " الاستماع للأغاني التي تقدمها" بنسبة مقدارها (11.4%) من مجموع إجابات المبحوثين، ثم جاء سبب الاستماع إلى الإذاعة لأنّ المذيعين فيها لديهم قدرة عالية على جذب المستمعين إليهم بنسبة مقدارها (5.3%) من مجموع إجابات المبحوثين في المرتبة قبل الأخيرة، في حين حلّ "دافع التسلية وقضاء وقت الفراغ" في المرتبة الأخيرة، وبما نسبته (3.8%) من مجموع إجابات المبحوثين.

وبالنظر إلى هذه النتائج يمكن القول إن سبب الاستماع إلى الإذاعة المتمثّل بأنّها تلبي كثيرا من رغبات الجمهور في التعرف على الموضوعات المتعلقة بالسلام والتنمية، هو من أهم أسباب الاستماع إلى إذاعة مرايا؛ نظرا لما تحققه هذه الإذاعة من إشباع لرغبات جمهور العينة في جوانب السلام والتنمية، الذي هم بحاجة اليها جراء ما خلفته الحروب في دولتهم، كما أنّ تفّرد إذاعة مرايا في تقديمها لقضايا التنمية بين وسائل الإعلام الأخرى، ربما يعود إلى رسالة هذه الإذاعة التي وجدت في جنوب السودان أصلاً، لهدف نشر ثقافتيّ السلام والتنمية بين أفراد المجتمع السوداني، وإن اعتقاد المستمعين من أفراد العينة المبحوثة أنّ ما تبثة "مرايا" من برامج يُعدُّ متميزاً، ربما يعود إلى حاجتهم الماسة إلى

مثل هذه البرامج التي تعنى بالسلام والتنمية، والانتقال بالمجتمع السوداني من مجتمع متحارب إلى مجتمع محب للسلم والتنمية.

جدول رقم (12)

مدة الاستماع لإذاعة " مرايا "

التكرارات والنسب / مدة الاستماع	التكرار	النسبة المئوية
أقل من نصف ساعة	8	% 2.3
من نصف ساعة إلى أقل من ساعة	20	% 5.7
من ساعة إلى أقل من ساعة ونصف	15	% 4.3
من ساعة ونصف إلى أقل من ساعتين	55	% 15.7
ساعتان فأكثر	253	% 72.1
المجموع	351	% 100

تشير بيانات الجدول رقم (12) إلى أن من يقضون أكثر من ساعتين في الاستماع إلى الإذاعة، جاءوا في المرتبة الأولى، بنسبة بلغت (72.1%)، في حين جاء من يستمع من ساعة ونصف إلى أقل من ساعتين في المرتبه الثانية، بنسبة بلغت (15.7%)، وحلّ من يستمع من نصف ساعة إلى أقل من ساعة في المرتبة الثالثة بنسبة بلغت (5.7%)، ومن يستمع من ساعة إلى أقل من ساعة ونصف في المرتبة الرابعة، بنسبة بلغت (4.3%)، وقد احتلت فترة الاستماع المقدّرة بأقل من نصف ساعة المرتبة الاخيرة بنسبة (2.3%).

وبالنظر إلى هذه النتائج يتبيّن أن السبب في ارتفاع مدة الاستماع إلى الإذاعة لأكثر من ساعتين، ربما يعود إلى أنّ الغالبية العظمى من البرامج في الإذاعة مدتها اكثر من

ساعتين، الأمر الذي يعني أن جمهور العينة قد يتابعون برنامجا كاملا على الأقل، أو يستمعون إلى أكثر من برنامج.

جدول رقم (13)

الأوقات المفضلة للاستماع إلى إذاعة مرايا

التكرارات والنسب / الفترات	التكرار	النسبة المئوية
فترة الصباح	161	% 27.2
فترة الظهيرة	129	% 21.8
فترة المساء	181	% 30.6
لا يوجد وقت محدد	120	% 20.3
المجموع	591	% 100

* يمكن للمبحوث اختيار اكثر من بديل

تشير بيانات الجدول رقم (13) إلى أن الفترة المسائية احتلت المرتبة الأولى، كأفضل فترة استماع إلى إذاعة مرايا وبما نسبته (30.6%) من مجموع إجابات المبحوثين، تلتها الفترة الصباحية بما نسبته (27.2%)، أما فترة الظهيرة، فقد جاءت في المرتبة الثالثة، بما نسبته (21.8%)، بينما جاءت فئة "لايوجد وقت محدد" في المرتبة الأخيرة، بما نسبته (20.3%).

وبالنظر إلى هذه النتائج، يمكن القول أن الفترة المسائية هي الأكثر تفضيلاً، ربما لأن الغالبية العظمى من الجمهور يكونون في طريق عودتهم من أعمالهم إلى البيت، مما يتيح لهم فرصة الاستماع، خصوصاً أن إذاعة مرايا تقدم في هذه الفترة برامج تلقى استحسانا لدى هذه الشريحة من المجتمع، كبرنامج "Inside South Soudan"، وهو برنامج

يومي يغطي الشؤون الحالية، إضافة إلى عرضه مجموعة من المواضيع التنموية، وهذا يلبي الرغبة المعرفية لدى جمهور دولة جنوب السودان.

جدول رقم (14)

البرامج المفضلة للاستماع من قبل المبحوثين في إذاعة مرايا**

النسب والتكرارات / البرامج	التكرار	النسبة المئوية
Miraya Breakfast Show	203	% 14.6
Solvers	198	% 14.2
The Beat	124	% 8.9
Tribes	113	% 8.1
Afternoon Mix Dowin	67	% 4.8
Betna	81	% 5.8
Inside South Soudan	253	% 18.2
Round table	139	% 10.0
Shabab Ala Alhawa	215	% 15.4
المجموع	1393	% 100

* يمكن للمبحوث اختيار اكثر من بديل

**قام الباحثان بوضع جميع البرامج التي يتم بثها عبر الإذاعة كبدائل للسؤال

أما عن البرامج التي يفضلها الجمهور عينة الدراسة، فتشير نتائج الجدول رقم (14) إلى أن برنامج " Inside South Soudan " كان الأكثر استماعاً، وجاء في المرتبة الأولى بما نسبته (18.2%) من مجموع إجابات المبحوثين، تلاه برنامج " Shabab Ala Alhawa" في المرتبه الثانية، بنسبة (15.4%) من مجموع إجابات المبحوثين، ثم البرنامج الصباحي "Miraya Breakfast Show " في المرتبة الثالثة، بنسبة (14.6%)، أما برنامج "

Solvers " فجاء في المرتبة الرابعة بنسبة (14.2%) من مجموع الإجابات. أما برنـامج " Round table " فقـد جاء في المرتبة الخامسة، بما نسبته (10.0%) من مجموع اجابـات المبحـوثين، تـلاه برنـامج " The Beat " في المرتبة السادسة، بنسبة (8.9%)، ثم برنامج " Tribes " في المرتبـة الـسابعة، بنـسبة (8.1%)، ثـم برنـامج " Betna " في المرتبة الثامنة، بما نسبتة (5.8%). وأمـا برنـامج " Afternoon Mix Dowin "، فقـد احتـل المرتبـة الأخيرة بما نسبته (4.8%) من مجموع إجابات المبحوثين.

وبالنظر إلى هذه النتائج يمكـن القـول إن برنـامج " Inside South Soudan " جـاء في المرتبـة الأولى، لأنه يتوافق في موعد بثه مع الفترة التي يفضل الجمهور الاستماع فيها إلى الإذاعة؛ ألا وهـي الفترة المسائية، حيث يُبث هذا البرنامج من الساعة الخامسة وحتى السابعة مساءً، كما جاء في الجدول رقـم (13)، إضـافة إلى أنّه برنامج منّوع يغطي الشؤون الحالية، عن طريق أخبار موجزة باللغتين العربية والإنجليزية، ولعرضه معلومات عامة تتعلق في مجملها بالاقتصاد والزراعة.

جدول رقم (15)

أفضل الوسائل التي يحصل الجمهور من خلالها على معلومات عن السلام والتنمية.

الوسيلة	التكرار	النسبة المئوية
إذاعة مرايا	340	% 42.9
الإذاعات الأخرى	110	% 13.9
الصحف	80	% 10.1
التلفزيون	142	% 17.9
الإنترنت	121	% 15.3
وسائل اخرى (تذكر)	0	0
المجموع	793	% 100

يمكن للمبحوث اختيار اكثر من بديل

تظهر بيانات الجدول رقم (15) الوسائل التـي يحـصل مـن خلالهـا الجمهـور عينـة الدراسـة عـلى معلومات عن ثقافتيّ السلام والتنمية. حيث أوضح ما نسبتهم (42.9%) مـن مجمـوع إجابـات المبحـوثين أنهم يحصلون على المعلومات بالدرجة الأولى عن طريـق إذاعـة مرايـا، في حـين جـاء التلفزيـون في المرتبـة الثانية بما نسبته (17.9%)، وجاء الإنترنت في المرتبـة الثالثـة، بمـا نـسبته (15.3%)، فـيما جـاءت الإذاعـات الأخرى (عدا إذاعة مرايا) في المرتبة الرابعة، بما نسبته (13.9%)، وجاء اعتماد الجمهور عينة الدراسـة عـلى الصحف مصدراً للحصول على المعلومات حول السلام والتنمية في المرتبـة الأخـيرة، بنـسبة بلغـت (10.1%) من مجموع إجابات المبحوثين.

وبالنظر إلى هذه النتائج، يتضح أنها تتوافق مع الهدف الذي أنـشئت إذاعـة "مرايـا" مـن أجلـه، وهو تزويد المواطنين في دولة جنوب الـسودان بالمعلومـات، بمـا فيهـا مفـاهيم عـن الـسلام والتنميـة، عـبر دوراتها البرامجية المتنوعة. حيث تشير البيانات إلى أن الجمهـور عينـة البحـث يعتمـد عـلى هـذه الإذاعـة بالدرجة الأولى، مصدراً للحصول على المعلومات حول ثقافتيّ السلام والتنمية، وربما يعـود الـسبب في ذلـك إلى أن هذه الإذاعة تابعة لمنظمة الأمم المتحدة، التي يعد حفظ السلم والأمن الدوليين من أبرز مقاصدها.

كما يلاحظ أيضا اعتماد جمهور المبحوثين في الحصول على معلومـات عـن الـسلام والتنميـة عـن طريق الإذاعات بشكل كبير، سواء أكانت إذاعة مرايا أم الإذاعات الأخرى، وربما يعـود الـسبب في ذلـك إلى أن مجتمع دولة جنوب السودان مجتمع فقير؛ الأمر الذي يجعله يبحث عن وسيلة إعلامية زهيـدة الـثمن لتزويده بالمعلومات، وهذه هي إحدى مزايا أجهزة الراديو.

جدول رقم (16)

درجة ثقة الجمهور في الوسائل الإعلامية

الدرجة والنسبة / الوسيلة الإعلامية	درجة منخفضة	درجة متوسطه	درجة مرتفعة
إذاعة مرايا	% 1.1	% 8.5	% 90.3
الإذاعات الأخرى	% 45.6	% 34.2	% 20.2
الصحف	% 68.4	% 23.1	% 8.5
التلفاز	% 62.4	% 8.3	% 29.3
الإنترنت	% 56.7	% 25.9	% 17.4
وسائل اخرى (تذكر)	% 91.5	% 8.5	صفر

تشير بيانات الجدول رقم (16) إلى ثقة الجمهور- عينة الدراسة- بوسائل الإعلام التي يحصل من خلالها على معلومات عن ثقافتيّ السلام والتنمية، حيث يثق ما نسبتهم (90.3%) من الجمهور بإذاعة مرايا مصدراً للمعلومات بدرجة مرتفعة، وأشار ما نسبتهم (29.3%) إلى ثقتهم بالتلفزيون بدرجة مرتفعة مصدراً للمعلومات، فيما احتلت الإذاعات الأخرى – غير إذاعة مرايا– المرتبة الثالثة، بدرجة مرتفعة؛ بنسبة (20.2%)، ثم جاءت الثقة بالإنترنت بدرجة مرتفعة، في المرتبة الرابعة، بنسبة (17.4%). ثم حلّت الثقة بالصحف بدرجة مرتفعة، في المرتبة الخامسة، بما نسبته (8.5%)، فيما لم يثق الجمهور، بدرجة مرتفعة بوسائل الإعلام الأخرى كمصدر للمعلومات، حول ثقافتيّ السلام والتنمية.

وبالنظر إلى هذه النتائج يتضح أن إذاعة مرايا - مقارنة بالوسائل الإعلامية الأخرى - قادرة على كسب ثقة الجمهور، من خلال المعلومات التي تقدمها، عبر

دوراتها البرامجية التي تعمل على تلبيـة حاجـات الجمهـور، خاصـة فـيما يتعلـق بالأخبـار الدقيقـة، وغـير المنحازة لأية فئة من الفئات المتحاربة.

جدول رقم (17)

درجة تأثُر الجمهور ببعض التأثيرات خلال الاستماع لإذاعة "مرايا".

نـــــوع التأثيرات	البدائل	المتوسط الحسابي*	المتوسط الحسابي لكل ثاثير
وجدانية	ساهمت الإذاعة في تحفيزي للمشاركة في عملية التنمية	7.17	6.73
	الإذاعة جعلتني انبذ الخمول والكسل	6.41	
	الإذاعة جعلتني احترم الحقوق الاساسية للآخرين	6.61	
سلوكية	الإذاعة دفعتني لان أكون منتجا	6.20	6.36
	الإذاعة جعلتني أحافظ على الممتلكات العامة	5.93	
	الإذاعة حفزتني لان أشارك في الأحزاب السياسية	5.28	
	الإذاعة ساعدتني في تهدئة النزاعات القبلية	6.53	
	الإذاعة جعلتني فردا متسامحا انبذ العنف	7.44	
	الإذاعة ساعدتني في عدم الشعور بالعزلة والاندماج مع أفراد المجتمع	6.79	
معرفية	الإذاعة ساعدتني بالتعرف على المجالات التي بحاجة إلى تنميه في البيئة التي اسكن بها	7.66	7.40
	الإذاعة دفعتني نحو المعرفة ومحاربة الأمية	6.93	
	الإذاعة دفعتني لتغيير نمط التفكير الحربي بالاتجاه نحو السلام	7.68	
	الإذاعة جعلتني أسعى لفهم القضايا ومشاركة الجماعات التي انتمي إليها بالنقاش والحوار	7.32	

*الدرجة العليا = 10

تشير بيانات الجدول رقم (17) إلى المتوسط الحسابي لدرجة تأثر الجمهور ببعض المتغيرات خلال الاستماع إلى إذاعة مرايا في دولة جنوب السودان، حيث تم طرح مجموعة من العبارات ذات التأثيرات الوجدانية والسلوكية والمعرفية على الجمهور، وطلب منهم إعطاء درجة التأثر من (10)، حيث تبين أن الإذاعة أثرت في الجمهور معرفيا بالدرجة الأولى، بمتوسط حسابي (7.4) من مجموع إجابات أفراد العينة، أما فيما يتعلق بكل تأثير على حدة، فقد جاء "دفع الإذاعة الجمهور لتغيير نمط التفكير الحربي بالاتجاه نحو السلام" في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي بلغ (7.68) من مجموع الإجابات، يليه "مساعدة الإذاعة الجمهور في التعرف على المجالات التي بحاجة إلى تنميه في البيئة التي يسكن فيها" بمتوسط حسابي بلغ (7.66) من مجموع إجابات أفراد العينة، وجاء بالمرتبة الثالثة "جعل الإذاعة الجمهور يسعى إلى فهم القضايا، ومشاركة الجماعات التي ينتمي إليها بالنقاش والحوار" بمتوسط حسابي بلغ (7.32) من مجموع إجابات أفراد العينة، وقد حلّ في المرتبة الاخيرة "دفع الإذاعة الجمهور إلى التوجه نحو المعرفة ومحاربة الأميّة، بمتوسط حسابي بلغ (6.93) من مجموع إجابات أفراد العينة.

كما تبين أن الإذاعة أثرت في الجمهور وجدانيا بالدرجة الثانية، بمتوسط حسابي مقداره (6.73) من مجموع إجابات أفراد العينة. أما فيما يتعلق بكل تأثير على حدة، فقد أسهمت الإذاعة في تحفيز الجمهور للمشاركة في عملية التنمية في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي بلغ (7.17) من مجموع إجابات أفراد العينة، وجاء "جعل الإذاعة الجمهور يحترم الحقوق الأساسية للآخرين" في المرتبة الثانية، بمتوسط حسابي بلغ (6.61) من مجموع إجابات أفراد العينة، وجاء في المرتبة الأخيرة "جعل الإذاعة الجمهور ينبذ الخمول والكسل"، بمتوسط حسابي بلغ (6.41) من مجموع إجابات أفراد العينة.

أما التأثيرات السلوكية، فقد جاءت في المرتبة الثالثة، بمتوسط حسابي بلغ (6.36) من مجموع إجابات أفراد العينة، أما فيما يتعلق بكل تأثير على حدة، فقد جاء "إسهام الإذاعة في جعل الجمهور متسامحا ينبذ العنف" في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ

(7.44) من مجموع إجابات أفراد العينة، فيما جاء "مساعدة الإذاعة الجمهور في عدم الشعور بالعزلة، والاندماج مع أفراد المجتمع" في المرتبة الثانية، بمتوسط حسابي بلغ (6.79) من مجموع إجابات أفراد العينة، وجاء في المرتبة الثالثة "مساعدة الإذاعة الجمهور في تهدئة النزاعات القبلية"، بمتوسط حسابي بلغ (6.53) من مجموع إجابات أفراد العينة، تلاها "دفع الإذاعة الجمهور إلى أن يكون منتجاً "، بمتوسط حسابي بلغ (6.20) من مجموع إجابات أفراد العينة، وجاء في المرتبة الخامسة " جعل الإذاعة الجمهور يحافظ على الممتلكات العامة" وبمتوسط حسابي بلغ (5.93) من مجموع إجابات أفراد العينة، وجاء في المرتبة الأخيرة " تحفيز الإذاعة للجمهور كي يشارك في الأحزاب السياسية، وبمتوسط حسابي بلغ (5.28) من مجموع إجابات أفراد العينة.

وتبين النتائج السابقة في هذا الجدول، أن إذاعة "مرايا" استطاعت إحداث مجموعة من التأثيرات عند جمهور المستمعين من المبحوثين، لاسيما التأثيرات المعرفية، التي بلغ متوسطها الحسابي الإجمالي (7.4)، وهو متوسط مرتفع إلى حدٍ ما، مما يدلل على أن جمهور المبحوثين يعتمد بدرجة كبيرة على وسائل الإعلام، لاسيما الإذاعة في تزويده بالمعارف المختلفة.

النتائج في ضوء الدراسات السابقة:

1-عند مقارنة النتائج التي توصل إليها الباحثان في هذه الدراسة بشقيها التحليلي والميداني، مع أهم النتائج التي توصل إليها الباحثون في الدراسات السابقة، تبيّن أنه فيما يتصل بالدراسات العربية، فإن ما توصل إليه أبو السعيد و لبد (2009)، من نتيجة مفادها أن المؤسسات الإذاعية والتلفازية الفلسطينية الخاصة لا تسهم في عملية التنمية لانشغالها بالعمل السياسي الدعائي والحزبي، بل تسهم في تأجيج الصراع الحزبي الذي ينعكس سلبيا على التنمية، يتعارض تماما مع ما توصل إليه الباحثان في دراستيهما، من أن غالبية المبحوثين أشاروا وبما نسبته (90.3%)، إلى أنهم يثقون بدرجة مرتفعة بإذاعة مرايا، وسيلةً إعلامية يحصلون

من خلالها على معلومات عن التنمية والسلام.

2-أما ما جاء في دراسة عبد الرسول (2006) من أن أفضل الأوقات التي يُفضل جمهور ولاية الخرطوم الاستماع فيها إلى الإذاعات الولائية (الموالية) هي الفترة المسائية، فإنه يتفق مع ما توصل إليه الباحثان، من أن الفترة المسائية تعد من أكثر الفترات ملائمة للاستماع إلى إذاعة "مرايا"، وذلك بحسب ما أفاد به ما نسبتهم (30.6%) من المبحوثين.

3-أما ما جاء في دراسة عمران (2001) من أن الراديو احتل المركز الأخير من بين الوسائل الإعلامية التي تلعب دورا متميزا في تحفيز المرأة على المشاركة السياسية، بنسبة (18.3%)، وما جاء بدراسة دراسة الظاهري والنعيمي (2005)، التي بينت أن الإعلام المسموع جاء في المرتبة الأخيرة مصدراً تعتمد عليه المرأة الإماراتية في استقاء معلوماتها، فيمكن القول إن هذه النتائج تختلف مع نتيجة الدراسة موضوع البحث، حيث تبين أن ما نسبتهم (90.3%) من الجمهور يثقون بإذاعة "مرايا" مصدراً للمعلومات بدرجة مرتفعة.

4-وفيما يتعلق بدراسة عبد القادر(2005)، التي أوضحت أن الاعتماد على المسؤولين في تزويد الجمهور بالمعلومات جاء في المرتبة الأولى، وبنسبة (44%)، فانه يتعارض مع نتيجة الدراسة موضوع البحث، حيث اعتمدت "مرايا" على مقدم البرنامج مصدراً أساسياً للمادة الإذاعية، وفي المرتبة الأولى مقارنة بالمصادر الأخرى، بنسبة بلغت (39.1%).

5-أما ما يتصل بالدراسات الأجنبية السابقة، فإن ما توصل إليه Patil (2010) من أن إمكانية الترويج للقضايا التنموية، والتوعية من أجل الحفاظ على التنوع الثقافي للمجتمعات موضوع الدراسة، من خلال إشراك الأفراد في برامج الإذاعة التنموية لتحسين مستوياتهم الثقافية، وما جاء في دراسة (center of international media assistance) (2007) بأن من أهم جوانب عمل الإذاعة المحلية، تنمية منطقة جغرافية ما أو مجتمع معين، من خلال ما تبثه من رسائل عبر

دوراتها البرامجية، يتماثل إلى حد ما، مع ما توصل إليه الباحثان بخصوص اهتمام الإذاعة بتدعيم القيم الايجابية عند الجمهور، من خلال الموضوعات التي تقوم بطرحها فيما يخص ثقافتيّ السلام والتنمية في مجتمع جنوب السودان.

اشتملت الدراسة على العديد من النتائج، تمثل أهمها بما يلي:

1-جاءت موضوعات السلام في المرتبة الأولى بين الموضوعات التي تم بثها عبر البرامج -عينة الدراسة- بنسبة بلغت (38.5%)، كما احتلت موضوعات السلام أيضا المرتبة الأولى من حيث المساحة الزمنية التي خصصت للمواضيع عبر البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (49.0%).

2- اهتمت الإذاعة بتدعيم القيم الإيجابية عند الجمهور، من خلال الموضوعات التي تقوم بطرحها فيما يخص ثقافتيّ السلام والتنمية في مجتمع جنوب السودان، حيث احتلت القيم الإيجابية في هذه المضامين المرتبة الأولى في كل البرامج المدروسة، بنسبة بلغت (66.6%)، أما اتجاهات الجمهور نحو المضامين التي حملتها هذه البرامج، فقد احتلت الاتجاهات المؤيدة أعلى نسبة، وبلغت قيمتها (58.8%).

3-جاء المضمون المتعلق بـ " تكريس فكرة الحياة بدون نزاع " في المرتبة الأولى بين المضامين التي تم بثها، بنسبة بلغت (20.1%)، فيما احتل المضمون المتعلق بـ " تحسين صورة المرأة في المجتمع" المرتبة الثانية بين المضامين التي تم بثها عبر البرامج مدار البحث، بنسبة بلغت (15%)، وجاء مضمون الدفع نحو التعليم في المرتبة الثالثة من بين المضامين التي سعت الإذاعة إلى تعزيزها عبر البرامج مدار البحث، بما نسبته (11.8%).

4- استهدفت الإذاعة من خلال مضامين الرسائل التي بثتها عبر البرامج المدروسة فئة (الجمهور العام) في المرتبة الأولى، بنسبة بلغت (79.3%)، فيما احتلت المرأة المرتبة الثانية من بين الجماهير المستهدفة، بنسبة بلغت (6.3%)، مما

يوضح سعي الإذاعة إلى تحسين أوضاع المرأة، وتقليل معاناتها، والمساواة بينها وبين الرجل؛ لتحقيق التحول الديمقراطي والحكم الراشد.

5- احتلت المؤثرات الصناعية المرتبة الأولى بين وسائل إبراز المادة الإذاعية، بنسبة بلغت (45.8%)، أما "استخدام الحوار" فقد جاء في المرتبة الثانية من بين وسائل إبراز المادة الاذاعية في البرامج الثلاثة، وبنسبة (37.1%)، فيما لم تستخدم الإذاعة "المؤثرات الطبيعية" وسيلةً لإبراز المادة الإذاعية في البرامج الثلاثة.

6- اعتمدت الإذاعة على مقدم البرنامج مصدراً أساسياً للمادة الاذاعية مقارنة بالمصادر الأخرى، بنسبة بلغت (39.1%)، أما "اتصالات المشاركين"، فقد جاءت في المرتبة الثانية، بنسبة بلغت (32.9 %).

7-أن الغالبية العظمى من المبحوثين في دولة جنوب السودان يستمعون إلى إذاعة مرايا، وبما نسبته (87.8%)، لأنها تلبي كثيرا من رغباتهم في التعرف على الموضوعات المتعلقة بالسلام والتنمية، أما من لا يستمعون إلى الإذاعة، ونسبتهم (12.2%)، فقالوا إن السبب في ذلك يعود إلى أنهم لا يحبون الاستماع إلى الإذاعات عموماً، وليس لأسباب خاصة تتعلق بالمضمون.

8- إن ارتفاع مدة الاستماع إلى الإذاعة لأكثر من ساعتين، بنسبة بلغت (72.1%) من مجموع إجابات المبحوثين، ربما يعود إلى أن الغالبية العظمى من البرامج في الإذاعة مدتها أكثر من ساعتين، الأمر الذي يعني أن الجمهور -عينة الدراسة- قد يتابعون برنامجا كاملا على الأقل، أو يستمعون إلى أكثر من برنامج. وتعتبر الفترة المسائية من أكثر الفترات الملائمة إلى الاستماع لإذاعة "مرايا"، بحسب ما أفاد به ما نسبتهم (30.6 %) من مجموع إجابات المبحوثين.

9- يفضل الجمهور عينة الدراسة، الاستماع إلى برنامج "Inside South Soudan" بما نسبته (18.2%) من مجموع إجابات المبحوثين، تلاه برنامج " Shabab Ala

Alhawa" في المرتبة الثانية، بنسبة (15.4%) من مجموع إجابات المبحوثين، ثم البرنامج الصباحي "Miraya Breakfast Show" في المرتبة الثالثة، بنسبة (14.6 %) من مجموع إجابات المبحوثين، أما برنامج "Solvers" فجاء في المرتبة الرابعة بنسبة (14.2%) من مجموع إجابات المبحوثين، ما يعني أن البرامج الثلاثة المدروسة تعد من أكثر البرامج استماعاً عند عينة المبحوثين.

10- أشار ما نسبتهم (90.3%) من الجمهور –عينة الدراسة - إلى أنهم يثقون بدرجة مرتفعة بإذاعة "مرايا" كأحد وسائل الإعلام التي يحصلون من خلالها على معلومات عن التنمية والسلام، كما استطاعت إذاعة "مرايا" إحداث مجموعة من التأثيرات عند جمهور المستمعين من المبحوثين، لاسيما التأثيرات المعرفية، التي بلغ متوسطها الحسابي الإجمالي (7.4)، وهو متوسط مرتفع إلى حدٍ ما، مما يدلل على أن جمهور المبحوثين يعتمد بدرجة كبيرة على وسائل الإعلام، لاسيما الإذاعة في تزويده بالمعارف المختلفة.

بعد مراجعة نتائج الدراسة، فإن الباحثيِن يُضمّنان دراستيهما التوصيات الآتية:

1-الاستمرار في إعطاء الأولوية لموضوع ثقافة السلام، الذي يحمي مناخ التنمية، ويضمن له الاستمرار والازدهار، حيث شهد السودان -قبل الانفصال- حربا أهلية امتدت حوالي (50) عاما، وانتهت عبر توقيع اتفاق السلام الشامل بين شطري السودان، لكن بعض القضايا ظلت عالقة مثل الحدود والموارد، الأمر الذي قد ينذر بعودة الحرب مرّة أخرى إلى دولة جنوب السودان، بالرغم من تحقّق الانفصال.

2-قيام الإذاعة على تحفيز مجتمع دولة جنوب السودان، من خلال برامجها، لوضع الأطر السليمة لحقوق الإنسان، التي من شأنها أن تعود بالفائدة على جميع المواطنين حاضراً ومستقبلاً، وتأسيس قواعد حقوق الإنسان، بما فيها المتعلقة بالقوانين والمؤسسات.

3-نظرا إلى النتائج المستقاة من البحث الميداني، يجب التفكير جدياً في استمرار بث الإذاعة، حتى بعد انتهاء عمل بعثة الأمم المتحدة في دولة جنوب السودان، نظرا لحيادها في بث الأخبار ونشر معلومات حول ثقافتيّ السلام والتنمية، اللتين يحتاجهما المواطنون في هذا البلد حديث النشأة.

4-المحافظة على البنية التحتية لإذاعة مرايا (أي على المرسلات) في مختلف أنحاء دولة جنوب السودان، والاستثمار في هذا المجال من قبل المنظمة الأممية لتوسيع نطاق بث هذه الإذاعة في دولة جنوب السودان قدر الإمكان.

5-ضرورة تفكير القائمين على الإذاعة بابتكار أساليب متجددة لتكريس المفاهيم الإيجابية التي غرستها لدى جمهور المستمعين، والحفاظ على خدمة الجمهور العام من خلال تقديم المعلومات بحيادية وموضوعية، وما يعكس آراء غالبية المواطنين وأفكارهم في دولة جنوب السودان، لاستمرار مشروعية وجود هذه الإذاعة لدى الجمهور.

6-اهتمام إدارة إذاعة مرايا بتأهيل الكادر البشري العامل في الإذاعة على نحو جيد، ذلك أن نتائج الدراسة الميدانية أشارت إلى انخفاض نسبة من لا يستمعون إلى الإذاعة بسبب ضعف كفاءة بعض المذيعين فيها، حيث إن عدم الاستمرارية في تأهيل المذيعين قد يؤثر على مستوى الإذاعة بشكل عام على المدى البعيد.

7-التفكير بزيادة عدد البرامج المطروحة في الدورة البرامجية للإذاعة، لمواكبة احتياجات المستمعين والتي ستتطور حتما مع مرور الزمن.

8-ضرورة استمرار إذاعة مرايا في النأي بنفسها عن الصراعات السياسية، لتحافظ على حياديتها وجماهيريتها لدى المستمعين في دولة جنوب السودان.

الفصل الخامس

الإرهاب والحروب الإعلامية الأولى

الفصل الخامس

الإرهاب والحروب الإعلامية الأولى

كلما كانت حرب فثمة إعلام، وكلما كان إعلام فثمة قبليا معلومات ومعطيات وبيانات.

هذه، كما تلك، من البديهيات في القدم كما في الوقت الحاضر، في أزمنة الحرب المعلنة كما في فترات الأزمات المضمرة والتوترات الخفية لم تشد عليها الدول والحكومات (قديما كما في الزمن الراهن) إلا فيما ندر.

قد لا يبدو الأمر أعلاه عصيا على الفهم، فالمعلومات (بما هي مادة الإعلام وأداته) كانت ولا تزال عصب الحرب، وكانت وستبقى إحدى أقوى عناصر الترتيب لهذه الأخيرة وإحدى أهم العوامل للحسم في مسارها وتوجهاتها.

وبقدر ما كان (ولا يزال) للحرب خبراءها وصناعها، بقدر ما كان أيضا، وبالمثل، للإعلام صناعه وخبراءه يفعلون في الرأي العام (إخبارا أو تجنيدا) كما يفعل صناع الحرب وخبراءها على التأثير في ذات الرأي العام بجهة التجنيد تارات وبجهة التوظيف تارات أخرى.

ليس من الوارد هنا التأريخ لبدايات وتطور العلاقة بين الحرب والإعلام (وهي قديمة قدم الحرب والإعلام ذاتهما) ولا مقاربة درجات الارتباط والتنابذ التي ميزت لعصور طويلة العلاقة إياها، بقدر ما نبتغي تفكيك ذات العلاقة احتكاما إلى أحداث كبرى لربما كانت المحك الأقوى لطبيعة هذه العلاقة وصيرورتها.

هناك، فيما يتراءى لنا، ثلاث حقائق كبرى تجعل من العلاقة بين الحرب والإعلام علاقة ترادفية زمن الأزمات كما زمن السلم سواء بسواء:

الحقيقة الأولى ومفادها أن معظم التقنيات والأدوات المعلوماتية والإعلامية هي بالأساس من صنيعة المؤسسة العسكرية أو تم التفكير فيها وتصميمها من داخل مختبرات المؤسسة إياها أو تم (في تقنيات قليلة محددة) التقاطها من مؤسسات البحث المدنية واحتكارها.

لا يتعلق الأمر هنا بتقنيات التلغراف والتلكس والهاتف والراديو والتلفزة فحسب، بل أيضا بما أفرزته البحوث حول الأقمار الصناعية والمحطات الأرضية والشبكات الإلكترونية وغيرها.

بالتالي، فمعظم تكنولوجيا المعلومات والإعلام والاتصال هي (بشكل من الأشكال) وليدة "المؤسسة الحربية" وجاءت (أعني التكنولوجيا) في صيغها الأولى وتصميماتها الأولية، كإفراز لحاجة المؤسسة إياها لا بحكم أغراض أخرى.

من هنا فمختبرات الحرب ومصانعها خدمت (عن دراية في حالات وعن تغافل في حالات أخرى) "المؤسسة الإعلامية" بما هي مجمع المعلومات وموزعها ومروجها.

ليس من الشذوذ في شيء إذن إذا كانت المؤسسة العسكرية تدعي لنفسها منذ القدم ما يشبه "الأبوية" على المؤسسة الإعلامية وأن تعترف هذه الأخيرة بمدى ما لها من دين إزاء الأولى.

الحقيقة الثانية ومؤداها أن التطورات التكنولوجية والمؤسساتية التي طالت " فنون الحرب"، وأساليب التخطيط لها والتنفيذ، لم تستثن من تيارها المؤسسات الإعلامية والاتصالية تقنيات وترتيب وتخزين وتزويج للمعلومات.

فبمثل ما تتوفر المؤسسة العسكرية على أقمار للاستطلاع وأخرى للاستشعار عن بعد وثالثة للتجسس، فإن للإعلام أيضا أقماره الصناعية وبنوكه للمعطيات والصور ومحطاته للبث على المستوى الكوني.

وبقـدر مـا يلجـأ الإعـلام للمؤسـسة العـسكرية (زمـن الحـرب بالأسـاس) لتـأمين مادتـه الإخباريـة والتحليلية، فإن المؤسسة إياها لا تجد بدا من اللجوء إلى وسائل الإعلام لإيصال خطابها وإشاعته عـلى أكـثر من مستوى.

بالتالي فالعلاقة بينهما على هذا المستوى هي إلى التكاملية أقرب منها إلى الترادف.

الحقيقة الثالثة ومضمونها كامن في العلاقة التلاحمية بين الحرب والإعـلام لدرجـة الانـصهار والتـي غالبا ما يترجمها بعمق مصطلح حرب المعلومات.

لـيس المقـصود بحـرب المعلومـات هنـا مـا يـتم (زمـن الـسلم) مـن عمليـات تجـسس اقتـصادية وتكنولوجية وتجارية وغيرها، ولكن بالأساس "تطويع" المعلومات بغرض توظيفها لأغراض عسكرية (وقتالية تحديدا).

يقول الجنرال كولن باول (رئيس الأركان المشتركة في حرب الخلـيج الثانيـة): إن " حـرب المعلومـات هي كل الإجراءات التي تؤدي إلى تحقيق الـسيطرة المعلوماتيـة عـن طريـق التـأثير في معلومـات الخـصم، والعمليات المعتمدة على المعلومـات ونظـم المعلومـات وشـبكات الحواسـيب مـع حمايـة مـا يخـصنا مـن معلومات".

لم تصبح المعلومات، على هذا الأساس، وسيلة تـأثير عـلى الخـصم أو"المزايـدة" عليـه فحـسب، بـل أضحت كذلك جزءا مما يسمى منـذ مـدة بعمليـات "القيـادة والـسيطرة" والتـي تـشمل "أمـن العمليـات والعمليات النفسية والخداع والحرب الإلكترونية وتدمير النظم وغيرها".

هنـاك إذن، بالمحـصلة النهائيـة لهـذه الحقـائق الـثلاث، تـرادف في التقنيـات وتكامـل في الأدوات وانصهار (لدرجة التماهي) في الوظائف.

هي الحقائق ذاتها التي تكرست على أرض الواقع أثناء حرب الخليج الثانية وتتكرس اليـوم بامتيـاز في حملة "الحرب ضد الإرهاب" التي لا يعتبر ضرب أفغانـستان والإجهـاز عـلى إمـارة طالبـان إلا مقـدمتها وعنوانها الأبرز.

ليس من المبالغ فيه البتة إذن الاعتقاد بأن الحروب ضد العراق وضد أفغانستان (وقبلهما وفي خضمهما ضد السودان وليبيا والفلسطينيين) إنما هي بداية الحروب الإعلامية الأولى التي تندغم في صلبها فنون الحرب بحرب المعلومات.

يقول الجنرال باول في يوليوز 1992: لقد "كانت معركة الخليج بمثابة فجر لعصر المعلومات بالنسبة للقوات المسلحة الأمريكية. الجندي الذي يحمل في يده بندقية وفي الأخرى حاسوبا صغيرا لم يعد بعد تلك الحرب يثير دهشة أحد، لقد أصبحت نظم المعلومات مكونا أساسيا لنجاح العملية القتالية في معركة اليوم".

ولما كانت نظم المعلومات كذلك، فإن مراكز الأبحاث العسكرية (بالولايات المتحدة الأمريكية أساسا) لا تتوانى في خلق أجواء "حرب افتراضية" (داخل المختبرات) وتطويع الاكتشافات بجهة اختراع الأسلحة المناسبة " لساحة" الحرب الحقيقية.

ستكون إذن حروبا تكنولوجية بامتياز تسخر فيها تقنيات المعلومات لبلوغ أهداف قتالية دونما حاجة تذكر لمقاتلين على أرض المعركة...كيف لا والمواقع المستهدفة محددة بدقة وسبل ضربها مبرمجة عن بعد وحظوظ تدميرها مضمونة بنسبة عالية؟

وستكون كذلك "حروبا نقية" لا ضحايا بشرية للمتفوق فيها تذكر و لا خسائر مادية واردة لديه.

وستكون حروبا عن بعد لا تنطلق أداة التدمير فيها من الطائرات والمدافع، بل وبالأساس من البوارج البعيدة والقواعد المحصنة.

وستكون حروبا لن يرى منها المشاهد إلا ما أرادته له القيادة العسكرية وارتضته، والمرجح أنه لن يرى إلا آثار التدمير المستشرية دون ما يترتب عن ذلك من تنكيل التكنولوجيا بالبشر والحجر.

وستكون، فضلا عن هذا وذاك، حربا مضمونة النتائج ومتحكم في عواقبها من الناحية العسكرية والنفسية والاقتصادية والجيوسياسية كما كان الشأن في حرب الخليج الثانية وكما سيكون عليه الشأن وأكثر في "الحملة ضد الإرهاب".

لن يكون بإمكان الإعلام أن يخرج صحيحا معافى من حروب تشن (وستشن أكثر باسمه مستقبلا) وعلى خلفية من تقنياته ومعلوماته ومستويات تغطيته.

ولن يكون بمستطاعه، بعد حرب الخليج الثانية والحرب على أفغانستان، استرجاع القوة والهيبة التي مكنته إياهما حرب الفيتنام أو مستنقع الصومال:

- "فحياده" وضع في الميزان بما لا يدع مجالا للشك ليس فقط لأنه استلب استقلاليته "كسلطة رابعة"، ولكن أيضا لأنه تماهى مع المخطط العسكري دونما رد فعل أو احتجاج يذكران.

- و "موضوعيته" أصبحت محط طعن وتشكيك وإلا فما السر في عمليات التحريض الذي سلكته معظم وسائل الإعلام (عقب ما حدث يوم 11 شتنبر) لربط الانفجارات بالعرب وبالإسلام واعتبارهما "مصدر إرهاب" وترهيب لأمم وشعوب العالم، متمشية في ذلك (وأكثر) مع ما اعتمدته الحكومات واعتبرته الحقيقة؟

- و "مصداقيته" أضحت في المحك لا على اعتبار ما أصبح الإعلام يمارسه عبر التعتيم على الأخبار وتقديم "مادة المؤسسة العسكرية" دونما إمكانية للتمحيص، ولكن أيضا على اعتبار إقصاء وتهميش كل ما من شأنه مناقشة المادة إياها أو الطعن في واضعيها.

بالتالي، فقد لا يكون من المجازفة في شيء القول بأن "الحملة على الإرهاب" (أكثر مما عايناه طيلة حرب الخليج الثانية) إنما هي الفيصل البارز بين إعلام الحرب (الذي يتغيأ تغطية الأحداث دونما إكراهات أو ضغوط كبرى كما في حالة فيتنام) وبين حرب الإعلام

الذي أصبحت المعلومات بموجبها مكون "وحدة وطنية وراء الرئيس" وعنصر نصر على أرض المعركة (بالمعنى الافتراضي للكلمة).

هناك إذن، بالمحصلة النهائية، هيمنة شبه مطلقة (في "الحرب على الإرهاب" بالأساس) للمؤسسة العسكرية الأمريكية على وسائلها في الإعلام والاتصال وهيمنة لهذه الأخيرة على ما سواها من وسائل إعلام.

لقائل يقول: أو لم تفسد قناة الجزيرة مثلا (في هذه الحملة بالتحديد) جزءا من المخطط الأمريكي حينما استفرد مراسلوها بنقل عمليات قصف أفغانستان في أدق تفاصيلها وفتحوا لأسامة بن لادن وتنظيمه باب الشهرة والتعاطف؟

وهذا صحيح...إذ لم تنعم قناة س.ن.ن مثلا بالتغطية الحية لأحداث الضربة على أفغانستان كما تسنى لها ذلك أثناء حرب الخليج الثانية، والسبب في ذلك لا يرجع فقط إلى وعورة الجغرافيا الأفغانية وسيطرة طالبان عليها، ولكن أيضا بسبب خشية المؤسسة العسكرية من تجاوزات عمل إعلامي قد ينجر وراء مبدأ " نسبة المشاهدة" (عن غير قصد) دون سواه من المبادئ.

لكن قناة الجزيرة لم تسلم بالمقابل (وإن في جنوحها المستمر للحياد والموضوعية) من أذى المؤسسة العسكرية والسياسية الأمريكية، إذ سرعان ما تحولت الإكراهات والضغوطات الخفية إلى التهديد بضرب مكاتبها وتدمير مقرها المركزي ولربما أيضا متابعة طاقم مراسليها تحت مسوغة " تقديم الدعم لعناصر إرهابية".

من هنا (ربما) استنباط الآية من انتقالها إلى البث الرقمي مجبرة في ذلك على "مغادرة" عشرات الملايين من مشاهديها الذين لا قدرة لهم على تغيير لاقطاتهم التشابهية.

لمتسائل يستفهم: كيف لحروب المستقبل ذات الطبيعة الإعلامية المتزايدة والمستوظفة لأعتى تقنيات التجسس وأضخم ترسانات التنصت وأكثرها توظيفا للعامل النفسي، كيف لها أن تنتصر على "عدو" كالإرهاب لا مرجعية ترابية محددة له ولا إطارا

جغرافيـــا قـــارا ولا مـــستقر ثابـــت... هـــو إلى الافـــتراضي (أو يكـــاد) أقـــرب منـــه إلى الحقيقـــي أو الواقعي؟

لربمـا يكـون عنـصر الجـواب كامنـا في الاسـتفهام ذاتـه، إذ الحـرب الإعلاميـة (المرتكـزة عـلى بنـى للمعلومات متقدمة ومعطيات مؤمنة) هي، فيما نتصور، أقوى حروب القرن المتـوفرة حـالا وفي المـستقبل. بمعنى أنها مطالبة لأن تكون بدورها افتراضية حتى يتسنى لها محاربة الإرهاب بأدواته وفي عقـر داره كـما يقال...وهو ما تعمل مختبرات البحث العسكري على صياغته وتطويره.

قـد لا يقتـصر الأمـر، فـيما أسـميناه بـالحروب الإعلاميـة الأولى، عـلى قـضية "القـضاء عـلى جـذور الإرهاب" التي أفرزتها تفجيرات 11 شتنبر بقدر ما سيتعداه إلى شرعنة إرهاب الدولة الذي تعمل الولايـات المتحدة (بتنسيق ندر مثيله) مع إسرائيل وباقي حلفائها على تأسيسه:

فإسرائيـل (بـدعم مـن الولايـات المتحـدة) ضـاعفت منـذ 11 شـتنبر مـن إرهابهـا المـمارس عـلى الفلسطينيين...على أرضـهم وأشـجارهم وهـويتهم ومعـالمهم الحـضارية العربيـة الإسـلامية والمـسيحية...في الوقـت الـذي تكفلـت فيـه لوبياتهـا الإعلاميـة بأمريكـا وبـالغرب عمومـا بتكـريس "الـصورة الإرهابيـة" للفلسطيني الأعزل.

إنها حرب إعلامية منسية لأنها مكمن تعتيم وتضليل وتحريف. وحرب إعلامية "جانبيـة" لا تتـوانى إسرائيل في توظيفها لتبرئ ذمة الذين يمارسون الإرهاب باسم الدولة ويمعنون في اللجوء إليه.

والولايات المتحدة الأمريكية لم تتوقف يومـا (منـذ بدايـة التـسعينات) في إيـذاء العـراق وحـصاره وتجويع شعبه وتدمير مكامن حضارته وعمرانه، في "غفلة" مقصودة من لدن وسائل إعلامها ووسائل إعـلام حلفائها.

ألسنا في الحالتين معا (كما في أفغانستان وليبيا والسودان وغيرها) بإزاء حروب إعلامية تستهدف في شكلها "استئصال جذور الإرهاب" بينما هي، في التصور كما في الجوهر، حروب حضارية بامتياز؟

لا يساورنا أدنى شك في ذلك...تماما كما لا يساورنا الشك في الالتباس المتزايد لمفهوم الحضارة ذاته لدى الغرب.

الفصل السادس

دور الإعلام في تربية الأطفال

الفصل السادس

دور الإعلام في تربية الأطفال

في الوقت الذي حرص فيه الإسلام على الاهتمام بالطفولة ورعاية الصغار وشرع لهم من الحقوق ما يضمن لهم تربية متوازنة وصحة مستقرة، فان واقع الطفولة في البلدان العربية والإسلامية مازال في ذيل قائمة الاهتمامات.

المشكلة تنبع من ضعف الوعي بالقضية وما ترتب عليها من عدم توفير الموارد البشرية والمالية اللازمة. نعم تم توفير التعليم للصغار لكن أساليب التعليم متخلفة وأدواته مفتقده ومعلموه هم أضعف الفئات. وشأن الطفولة ليس قاصرا على التعليم - رغم أهميته القصوى - لكنه يشمل رعاية شاملة عقلية ونفسية واجتماعية وثقافية وصحية وتربوية بحيث يشب الطفل سويا واعيا لدوره متحملا مسؤولية نفسه.

كنت أعتزم إصدار مجلة للأطفال بعد إصدارنا لمجلة الأسرة (المرأة على وجه الخصوص) لقناعتي بأهمية مجلة الطفل ودورها الثقافي والتربوي وحتى الترفيهي عندما عرضت الامر لأحد المسؤولين بالمؤسسة ذات العلاقة بالمجلة منتظرا دعمه وتأييده فاجأني – وهو المثقف الواعي وذو الخلفية الاسلامية – بقولة: بدل من أن نتطور ونصدر مجلة فكرية ودعوية مثل المجلة الفلانية تريدنا أن ننزل للأسفل ونصدر مجلة للأطفال؟!! لقد زلزلني الرد، ليست المشكلة في اختلاف الآراء حول قضية أو مشروع لكن الطامة أن بعض مسؤولي المؤسسات الدعوية والخيرية يفتقدون الوعي بأهمية الطفولة ودور الاعلام في تربية الناشئة والذين هم رجال ونساء الغد.

"لقد وعت الأمم المتقدمة في عصرنا الحديث، ما للطفولة من مكانة سامية، لأنّ المستقبل لا يقوم إلا على أكتاف صغار الحاضر، عندما يكبرون ويتقلّدون دفة الحياة ومقاليدها. وهذا الوعي واضح بيّن، ترشد إليه غزارة الإنتاج الموجّه للطفل أو المتعلق

بالطفل من أحد الجوانب، لا سيما في مجال التربية التي تصب حتماً في خانة أهداف تلك الأمم وما تـسعى إليه.

"أما الأطفال فهم شريحة متحركة، متغيرة، نامية، متفاوتـة الأعـمال والشخـصيات والملامـح، كانـت النظرة لهم فيما مضى أنهم (الرجال الصغار) و (نساء صغيرات)... وقد أفسد ذلك المفهوم أمـورا كثـيرة في مجال تربيتهم وتثقيفهم.لذا كان الاعتراف بوجود (الطفل) انجازا كبيرا. وعندما تنبه النـاس الى خطـأ ذلـك، وان الاطفال ينتمون الى عالم اخر غير عالم الكبار، بدا الاهتمام بادب الطفل وفنه وحقوقه وتربيته، ومـا الى ذلك، وادركنا ان للطفل لغة خاصة به، وسلوكا معينا له، يتصرف به من خلال قدراته"

الطفولة

تعريفها:

هي المرحلة من الولادة حتى البلوغ ، قال تعالى: (الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء) وقال: (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) .

أهميتها:

- مرحلة غرز المفاهيم والمبادئ والثقافات الأساسية
- الحاجة للعناية والاهتمام كي يشب الطفل سويا
- مرحلة الضعف والاعتماد على الكبير
- الطفولة مرحلة البناء الأساسية

مراحلها:

- المهد: من الولادة حتى الفطام
- المبكرة: 3-5 سنوات
- المتوسطة: 6-11 سنة (التمييز)
- المتأخرة: 12-15 سنة (البلوغ)

الإسلام والطفولة:

اهتم الاسلام بالطفولة وشرع الاحكام التي تضمن حقوقهم ومنها:

أ- حق الطفل بالحياة

- تحريم قتل المولود (تحريم الإجهاض)
- تأخير حد القتل أو الرجم في الزانية حتى تضع حملها
- احتضان اللقطاء

ب- الجنة لمن مات له ولد وصبر واحتسب

ت- زيادة الحسنات للوالدين بعد موتهما بدعاء الولد

ث- استحباب الإنجاب "تزوجوا الودود الولود"

ج- البنات ستر من النار إذا أحسن لهن الولدين

ح- ربطه بالتوصية منذ الولادة "الأذان في أذن المولود"

خ- التسمية المحببة الجميلة

د- العقيقة عند الولادة

ذ- الختان للصحة الجنسية

ر- وجوب التأديب والحض على التعليم

ز- كفل حقه بالحضانة والإرضاع (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ).

س- أوجب له النفقة والسكن والكسوة (وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ).

ش- جعل الأبناء من أسباب السعادة (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ).

ص- كفل لهم حق الترويح والمرح

ض- اهتم المسلمون بالطفل والتزموا أوامر الله فيه فعلموه القراءة في الكتاب وحفظوه القرآن في المسجد ثم أقاموا المدارس النظامية وأوقفوا عليها الأموال لتعليم الصبيان

المؤثرات (التربوية) على الطفل

المنزل

يلعب المنزل دورا رئيسيا في تربية الطفل حيث الدين يتم تلقينه من الاسرة (الوالدين بشكل خاص) كما قال صلى الله عليه وسلم " فأبواه يهودانه أو ينصرانه " لذا تلعب ثقافة الوالدين وتربيتهما المسبقة وخبرتهما في الحياة دورا رئيسيا في توجيه الطفل. ان الكثير من العادات والأخلاق والمفاهيم والأفكار يكتسبها الطفل من والديه. بالطبع هناك عوامل اخرى ذات صله في نوعية الثقافة التي يتلقاها الطفل من والديه مثل حجم الأسرة والوقت الذي يقضيه الوالدان مع الطفل ومدى المتابعة والرقابه لأنشطته اضافة الى الوالدين فان الأخوة وباقي أفراد العائلة – ان وجدوا – لهم تأثير أيضا على الطفل.

وكلما كبر الطفل واحتك بالمجتمع حوله فان تأثير الأسرة يقل الى درجة الاضمحلال عندما يتجاوز مرحلة المراهقة، ورغم ان عملية التلقين للطفل والتأثير عليه من الوالدين عادة ما تكون سلسلة مباشرة ومن خلال التقليد أحيانا الا أنه قد تكون العملية تفاعلية فقد يعترض الطفل ويناقش حتى يصل لمرحلة الاستسلام والقناعة وهي ليست صعبه.

ويمكن تصنيف التأثير المنزلي على الطفل بأنه يتفاوت بين المتوسط والعالي بحسب العوامل المذكورة سابقا.

"الأسرة أول المؤسسة يتعامل معها الطفل من مؤسسات المجتمع، وهي البيئة الثقافية التي يكتسب منها الطفل لغته وقيمه، وتؤثر في تكوينه الجسمي والنفسي والاجتماعي والعقائدي، فالأسرة مسئولة عن حفظ النوع الإنساني، وتوفير الأمن والطمأنينة للطفل، وتنشئته تنشئة ثقافية تتلاءم مع مجتمعه وتحقق له التكييف الاجتماعي.

وتقوم الأسرة بغرس آداب السلوك المرغوب فيه وتعويد الطفل على السلوك وفق أخلاقيات المجتمع، أي أن الأسرة تقوم بعملية التطبع الاجتماعي للطفل باعتبارها ـ كمؤسسة اجتماعية ـ تمثل الجماعة الأولى للفرد، فهي أول جماعة يعيش فيها الطفل ويشعر بالانتماء إليها وبذلك يكتسب أول عضوية له في جماعة يتعلم فيها كيف يتعامل مع الآخرين في سعيه لإشباع حاجاته وتحقيق مصالحه من خلال تفاعله مع أعضائها.

ويرى علماء النفس والتربية أن مرحلة الطفولة المبكرة من أهم مراحل حياة الإنسان، إذا تعتمد عليها مراحل النمو التالية في حياته، بل إن بعض المربيين يرى أن أثر الأسرة ترجح كفته عن أثر عوامل التربية الأخرى في المجتمع، وأن آثارها تتوقف على الأسرة فبصلاح الأسرة تصلح آثار العوامل والوسائط التربوية الأخرى وبفسادها وانحرافها تذهب مجهودات المؤسسات الأخرى هباء.

المدرسة

تطور مفهوم المدرسة في العالم العربي من التعليم إلى التعليم والتربية بمعنى أن تكون المدرسة مصدر مفاهيم وقيم وثقافة عامة إضافة إلى دورها التعليمي العادي، لكن هذا المفهوم لم يتحقق بصورة جيدة،بل كان متعثرا في كثير من الأحيان إما لأسباب تتعلق بالرؤية الثقافية والتربوية المفترضة للمدرسة أو لأسباب مادية كقلة الإمكانيات أو ضعفها أو لأسباب فنية وإدارية كنوعية المدرس ومستواه وأدواته التعليمية.

الحصيلة العامة لتأثير المدرسة في الجانب الثقافي محدود وهو في مجمله ينحصر في الجانب المعرفي التعليمي.

إن التعليم في العالم العربي يعتمد إجمالا أسلوب التلقين والذي يقتل ملكة الإبداع والتفكير العلمي الصحيح فضلا عن إضعافه لقدرة التعلم الذاتي للطفل.

ان تأثير المدرسة يرتبط بشكل كبير بالمدرس وشخصيته وثقافته ومدى تفاعلة مع الصغار وانقيادهم له. بالطبع للمنهج دور في تربية الطفل لكنه غالبا مايرتبط ببيئة المدرسة والمدرسون بشكل خاص لأن العملية قد تقتصر على حفظ متون أو ترديد كلمات دون استيعاب حقيقي وتقبل ذاتي وممارسة واقعية. ويمكن تصنيف تأثير المدرسة على الطفل بأنه يتفاوت بين المتدني والمتوسط.

الشارع

يكاد يكون تأثير الشارع يفوق تأثير المدرسة والشارع هو الأصدقاء والجيران (خصوصا بالنسبة للمراهقين ومن يقاربون هذه المرحلة) والتأثير عادة يكون في السلوكيات والتي سرعان ما تنتقل بين الصغار. أما التأثير بالجانب المعرفي فهو محدود ويقتصر غالبا على ما ينقله الصغار من المصادر الأخرى كوسائل الإعلام أو المنزل. بالطبع نوعية الشارع له تأثير كبير وثقافة أبناء الجيران وتربيتهم المسبقة تنعكس على من يخالطونهم. في البيئات الفقيرة يكون الشارع مصدر أساسي ومعرفي وثقافي وذلك لأن

الوقت الذي يقضيه الطفل مع اصدقائه وابناء الشارع اكثر من المنزل وقد تتهيأ له تجربة أشياء محظورة في المنزل وقد يطلع على معلومات تصنف سرية بالمنزل.

وعموما يتفاوت تأثير الشارع بين المتوسط والمرتفع.

المجتمع

المجتمع هو الأسرة الأكبر وهم الأقارب والمعارف، وهم الذين يزورهم الطفل مع اسرته سواء أقارب أو اصدقاء. تأثير هذا المحيط يعتمد على نوعية المخالطين للطفل وثقافة الاقارب والاصدقاء وخلفيتهم الدينية وتنشأتهم لأطفالهم.

مع تغير نمط الحياة المعاصرة قلت الخلطة مع الآخرين وأصبحت الزيارات متباعدة واللقاءات محدودة (بمن فيهم الأطفال). التأثير العام بالتالي للمجتمع على الطفل محدود ولا يقارن بالتأثيرات الاخرى ويمكن ان يصنف بالمتدني عموما.

وسائل الإعلام

هي ادوات التواصل الجماهيرية بين الطفل والعالم الخارجي وقد تطورت بصورة مذهلة في السنوات الأخيرة - خصوصا في الجانب المرئي- وتوفرت العديد من الخيارات، لدرجة أن نجد بعض الاطفال لايعرف الشارع، ولا يتفاعل مع المدرسة، ولا يخالط اسرته وجل مادته المعرفية وثقافته الشخصية مصدرها وسائل الاعلام.لذلك يمكن تصنيف وسائل الاعلام بأنها المؤثر الأول والأقوى على الطفل.

"الإعلام المشاهد والمقروء والمسموع مؤثر هائل في تكوين الأبناء، لما يتمتع به من حضور وجاذبية واتقان... والمشكل اليوم أن الأطفال لا يتعرضون لتأثير إعلام واحد صادر عن جهة واحدة، يمكن التفاهم معها من أجل التقريب بين مفردات الرسائل التي يوجهها للأطفال، ومفردات الرسائل التي توجهها الأسر والمدارس. إن الوسائل الإعلامية تنتمي إلى أكثر من (130) بلدًا في العالم، وهي تعكس ثقافات وديانات

وتطلّعات متباينة أشدّ التباين. وإن نسبة غير قليلة من الناس قد أسلمت أبناءها للفضائيات من غير قيود تُذكر، ولهذا فإن ما يقوله الأبوان بات يُفهم لدى هؤلاء الأبناء في ضوء الخلفية الثقافية العميقة والمتماسكة التي بناها الإعلام بشتى صوره ومكوّناته، وبهذا فعلاً يصبح ما يقوله الأبوان جزءًا مرتهنًا للكل أكثر من أن يكون بعضًا منه."

"لقد أصبحت المادة الإعلامية الموجهة للأطفال من أخطر الصناعات الإعلامية في العصر الحالي، ومن أكثر الصناعات التي تشهد إقبالا من طرف المستثمرين وشركات الانتاج العالمية، نظرا لما تدره من أرباح سنوية تقدر بملايين الملايين من الدولارات بسبب استهدافها شريحة واسعة تتسع دائرتها باستمرار, وهي شريحة الاطفال والشباب واليافعين وبفضل انتشار الصحون الفضائية وتعدد القنوات الإعلامية وظهور شبكة الانترنت وعولمة الصوت والصورة أصبح إعلام الطفل يشهد تناميا ملحوظا، وصار أكثر قربا من الطفل داخل البيت، وقد حمل هذا الانتشار السريع معه أساليب جديدة وأكثر تطورا لاستمالة الطفل والسيطرة على عقله وسلوكياته ودفعه الى الإدمان على ذلك الصندوق السحري العجيب كما كان يسميه آباؤنا وأجدادنا ولاشك ان هذا التوسع المذهل في تجارة التسلية الموجهة للاطفال يخفي الكثير من المخاطر والسلبيات، فجل الشركات المنتجة والعاملة في هذا القطاع هي شركات غربية توجه نشاطها ثقافة غربية وفهم غربي لمعاني التسلية واللعب والترفيه والتربية، ومتجذرة في ممارسات وعادات المجتمعات الغربية التي تتعامل مع إعلام الطفل بمنطق السوق والجري وراء الربح والكسب دون اهتمام بالقيم والعادات والاعراف وفي حالة التعارض بين هدفي الكسب وزرع القيم فإن الغلبة تكون للأولى على حساب الثانية"

"تشير الدراسات العلمية في هذا الصدد إلى أن أجهزة الإعلام تلقي بظلالها على الطفل المعاصر إيجاباً أو سلباً، حتى أنه يصعب عليه أن يفلت من أسارها، فهي تحيط به إحاطة السوار بالمعصم وتحاصره من مختلف الجهات، وبمختلف اللغات، ليلاً ونهاراً...وتحاول أن ترسم له طريقاً جديداً لحياته، وأسلوباً معاصراً لنشاطه وعلاقاته،

ومن ثم فهي قادرة على الإسهام بفاعلية في تثقيفه وتعليمه، وتوجيهه، والأخذ بيده إلى آفاق الحياة الرحبة....

وتأتي وسائل الإعلام المعاصرة في مقدمة قنوات الاتصال التي ترفد الطفل بالأفكار والمعلومات والأنباء وتحقق له التسلية والمتعة، ولو لم يَسْعَ الطفل إلى وسائل الإعلام فإن هذه الوسائل سوف تسعى هي إليه لتقدم له ما يدور حوله من أحداث، وما أفرزته الأدمغة البشرية من اكتشافات ومعارف، لاسيما بعد أن فرضت التقنيات المعاصرة وثورة المعلومات نفسها عليه، فأصبح طفل اليوم أسيراً لهذه الوسائل تحاصره في كل وقت وفي كل زمان، فلا يستطيع الفكاك منها أو الحياة بدونها."

كيفية تأثير وسائل الإعلام على الطفل

أ) التأثير الآني:

وهو التأثير المباشر في نفس الطفل ويتكون عندما تكون الرسالة جديدة كلياً عليه او تحوي كم كبير من الإثارة والتشويق.

ب) التأثير التراكمي

وهو الأشهر والأعم وذو الأثر البعيد لنفس الطفل حين يتعرض الطفل لرسائل متقاربة في أزمنة مختلفة وبشكل متدرج ومن خلال أكثر من صورة وطريقة مما يرسخ في نفسه تماماً الأفعال والأقوال التي ذكرت له، خصوصاً مع كثرة إثارة الرسالة وتناولها بين الأطفال أنفسهم "هل شاهدت البرنامج الفلاني؟" "ما أطرف الشخص الفلاني" "لقد أعجبني البطل الفلاني" وهكذا تتأصل الرسالة من خلال التناول الجماعي لها قبل الأطفال.

مدى تأثير الإعلام على الطفل

تؤثر وسائل الإعلام على الطفل بحسب اربعة عوامل:

1) نوعية الوسيلة وقوتها ومدى انجذاب الطفل إليها وهي مرتبة بحسب نسبة تأثيرها الآتي:

أ. السمعية البصرية (التلفاز - السينما - الفيديو)

وهي تمثل اعلى ثقل (60-70%)

ب. التفاعلية (العاب الكمبيوتر)

وهي تمثقل ثقل متوسط(20-30%)

ت. السمعية (الإذاعة - الكاسيت)

وهي تمثقل ثقل متوسط(10-20%)

ث. البصرية (المقروءة) (المجلات - الكتب - القصص)

وهي تمثقل ثقل متوسط(10-20%)

2) عمر الطفل وخلفيته الثقافية وبيئته الاجتماعية

وهل لدى الطفل حصانة ثقافية؟ وهل البيئة مشجعة؟ وهل الوسيلة منتشرة؟

3) نوعية الرسالة للطفل من خلال المادة الإعلامية المقدمة

و تعتبرهذه أهم قضية فالطفل - بالجملة- مستقبل جيد لكل ما يرسل له خصوصاً إذا صاحب المادة تشويق وإثارة للطفل.

4)الوقت الذي يقضيه مع وسائل الاعلام

يمكن تقدير توزيع اوقات الطفل كالتالي:

1- نوم 8-10 ساعات

2- مدرسة 6-7 ساعات

3- لعب / طعام / أنشطة حرة / 4-5 ساعات

4- إعلام 5-6 ساعات

بتحليل - رياضي- بسيط نستطيع أن نؤكد أن تأثير الإعلام - تربوياً- على الطفل يشكل نسبة تقارب 35-40%

نتيجة:

ما يقارب 4 من المفاهيم التربوية والأخلاق والسلوك والاعتقادات مصدرها الإعلام بينما 6 مصدرها المدرسة / المنزل / الجيران / المجتمع

الإعلام والتربية

"لقد اتّسمت العلاقات القائمة بين المؤسسة التربويّة ووسائل الاتصال بشيء من التصادم. ولم يكن أغلب رجال التربية ينظرون بعين راضية إلى تعامل التلميذ مع وسائل الإعلام. ولم تكن أغلب الأنظمة التربويّة تسمح بدخول الصحيفة أو المادة الإعلامية السمعية البصرية الى المدرسة، كما كانت صورة الثقافة التي تروّجها وسائل الإعلام سلبيّة بالنسبة لأغلب المربين الذين يعتبرون هذه الثقافة سطحية وفسيفسائية ومبتذلة وغالبا ما تبدو المدرسة منغلقة على ذاتها.

ان دور المؤسسة الإعلامية لا يقلّ قيمة عن دور المؤسسة التربوية في التنشئة الاجتماعية للفرد، إلى جانب المؤسسة العائلية. كما أن الوقت الذي يقضيه الطفل أو الشاب في تعامله مع وسائل الإعلام لا يقلّ أهمية عن الوقت الذي يقضيه في المدرسة. وتساهم وسائل الإعلام في ضمان ديمقراطية المعرفة مثلما ترنو إليه المدرسة العصريّة بل إنّ الوسائل الإعلامية السمعيّة البصريّة تؤدي وظيفة ثقافيّة وتربويّة حتى بالنسبة إلى من يجهل الكتابة والقراءة ولمن لم يتعلّم في المدرسة، كما أن التعلّم عبر وسائل الإعلام يقوم في جوهره على ترابط عضوي بين التعلّم والترويح عن النفس. لذلك فإنّ المدرسة ووسائل الإعلام يخدمان نفس الأغراض التربويّة. وبالرغم من هذه الاستعمالات المتعدّدة والمتنوّعة لوسائل الإعلام في خدمة أغراض تربويّة، فإنّ الجدل بقي قائما بين المربين والدارسين حول الجدوى الفعلية لوسائل الإعلام في العملية التربويّة. "

مقومات إعلام الطفل (التربوي) من الجانب الإسلامي

- يهدف الى بناء الشخصية المتكاملة للطفل
- الإسلام مرجعية كاملة في كل الأعمال
- معالجة قضايا الغيب بطريقة مناسبة لعقل الطفل دون اهمال او ايغال
- غرس مفهوم الخير والشر واثارهما على الانسان باسلوب سهل
- تبسيط المفاهيم الإسلامية والاهتمام بطرق عرضها
- الاقتصار على الاساسيات في العلم الشرعي
- مخاطبة العاطفة و احترام العقل
- التدرج في المفاهيم والمعارف
- استخدام القصص
- عرض الشخصيات الإسلامية وسير الأنبياء والصالحين
- إثراء الخيال بالأشياء الإيجابية
- مسؤولية كاملة على من يصدر أو ينشئ وسائل إعلام للطفل
- المحافظة على اللغة العربية

المحتوى التربوي في الإعلام

يمكن ان يصاغ المحتوى التربوي من خلال:

- القصة: المحكية – المقروءة – المصورة
- التوجيهات المختصرة المباشرة
- الدراما

o الالعاب

o المواقف التمثيلية

o الأناشيد

o الألعاب (الكمبيوتر)

كيف تستفيد من الإعلام في خدمة الجانب التربوي لدى الطفل

يمكن ان يتم ذلك من خلال:

- تحديد الرسالة
- اختيار القنوات المناسبة للعرض
- المواءمة مع البرامج التربوية في المدرسة
- أوقات / زمن الاستقبال الإعلامي المناسب للطفل
- حماية الطفل من الإعلام السلبي ما امكن ذلك
- تطوير برامج إعلامية (متلفزة) لخدمة الجانب التربوي
- التنويع في المواد الإعلامية المقدمة للطفل
- الاهتمام بالمستوى الفني وطرائق العرض للمواد الإعلامية
- صياغة بعض البرامج الإعلامية داخل المؤسسات التعليمية والتربوية

الطفل والتلفزيون

"يؤكد علماء النفس انه كلما ازداد عدد الحواس التي يمكن استخدامها في تلقي فكرة معينة ادى ذلك الى دعمها وتقويتها وتثبيتها في ذهن المتلقي، وتشير بعض نتائج البحوث الى ان 98 في المئة من معرفتنا نكتسبها عن طريق حاستي البصر والسمع وان

استيعاب الفرد للمعلومات يزداد بنسبة 35 في المئة عند استخدام الصورة والصوت، وان مدة احتفاظه بهذه المعلومات تزداد بنسبة 55 في المئة.

يقول علماء النفس ان التلفزيون يأتي في علم التربية الحديثة بعد الأم والأب مباشرة وبات من المؤكد تأثير التلفزيون على سلوكيات الأطفال طبقاً لجميع الابحاث العلمية في هذا المجال، واصبح من المستحيل الاعتماد على الوسائل القديمة في التربية والتنشئة والتوجيه، ولم يعد ممكنا منع الأطفال من مشاهدة التلفزيون او هذا الكم الهائل من البرامج والأفلام التي تشكل الآن احد المراجع الاساسية في سلوك وتفكير وتربية وتعليم الطفل، ولأننا نعرف ان الطفل مبدع بطبيعته وبتلقائيته ولهذا كثيراً ما تلاحظ الأم طفلها يؤدي حركات معبرة ويحادث نفسه مثلاً امام المرآة حيث يقوم بتمثيل الاشياء والمواقف والاشخاص الذين يتعامل معهم في حياته، فمثلاً يقوم الأطفال بتمثيل أدوار المدرسين والتلاميذ مستخدمين في ذلك تفكيرهم وخيالهم وخبراتهم القليلة التلقائية."

"لاشك ان للتلفزيون اثار سلبية واخرى ايجابية في حياة الطفل، حيث ان الافلام التي تعرض في التلفزيون تنقل الاطفال الى دنيا بديلة وقد تكون قريبة من دنيا الطفل بعض القرب، وقد تكون بعيدة عنها، وقد يحيا الطفل بعض الوقت أو يحلم بها او ينفر منها او يخافها، وقد أشارت الكثير من الدراسات والبحوث التي تربط بين بعض "جرائم" الأطفال وبين بعض الافلام التلفزيونية الى ان للأفلام دورا مباشرا في تلك الجرائم، اذ انها تساعد على بلورة بعض الميول الاجرامية لدى الأطفال، بالاضافة الى ذلك فان الأفلام التي تستخدم حيلا ومؤثرات صوتية وصورية تثير الاطفال وتجذبهم إلا أنها في نفس الوقت أداه لصرف الأطفال عن واجباتهم، وايضا لا تقدم لهم القيم والمفاهيم التي نريد، حتى لو تضمنت جوانب ثقافية فقد لا تكون هي الجوانب التي نريدها لأطفالنا."

"ان اثر التلفزيون في الأطفال اشد واسرع واقوى من تأثيره على الكبار لذا نرى الاطفال يجتمعون قبالته تاركين مقاعدهم عند عرض مادة مثيرة ويجلسون على الأرض

قريباً منه متجاوبين مع حوادثه متفحصين الشخصيات التي يعرضها ومقلدين لكثير من الحركات التي يشاهدونها.

ويؤثر التلفزيون في الأطفال عبر اكثر من طريقة:

- يكسب الأطفال انماطاً في السلوك الاجتماعي في حياتهم الاعتيادية وبيئتهم المادية كما انه يؤثر سلباً او ايجاباً في عملية التكيف الاجتماعي التي تسهم فيها الاجهزة الاخرى كالأسرة والمجتمع والبيئة.

- يسهم التلفزيون في بلورة وتغيير الاتجاهات من خلال اثارة ردود افعال عاطفية لدى الأطفال عن طريق تقديم مشهد درامي ذكي مع العلم ان لكل طفل قابلية خاصة للتأثر بالتلفزيون.

- يجعل التلفزيون الأطفال يتعرفون الى اشياء كثيرة منذ صغرهم ومنها ما هي في محيطهم ومنها ما هي بعيدة عنهم، فالطفل الذي لم تتح له الفرصة لمشاهدة حياة الحيوان في غابة كثيفة او سفينة ضخمة تشق عباب البحر او مسابقة سيارات يمكن ان يشاهدها من خلال الشاشة الصغيرة.

والتلفزيون ببرامجه وافلامه يزود الطفل بخبرات واقعية كما ان برامج الخيال تشبع كثيراً من رغباته، اي ان التلفزيون ليس وسيلة تزود الطفل بالمعلومات والأفكار والقيم فحسب، بل هو الى جانب ذلك يسهم في تشكيل لون من ألوان السلوك."

"وإذا كان الطفل في بيئة منزلية أو اجتماعية لا تخلو من الأخطاء السلوكية فإن وسائل الإعلام ومنها التلفاز هي لا يمكن إعفاؤها من المسئولية ولقد أثبتت الدراسات أن التلفاز له أكبر الأثر على تصورات وسلوكيات الأطفال بسبب عدم تكون معايير القبول والرفض لديهم بحكم قلة معرفتهم وخبرتهم."

"يقول الباحث الإنجليزي هال بيكر المتخصص في غسيل الأدمغة عن طريق التلفزيون أن غسل الأدمغة يجري عن طريق (سوفت باور) (Power Soft) أي قوة

الأفكار والصور والتأثيرات التلفزيونية والالكترونية. وفن غسل الأدمغة بواسطة التلفزيون يجري من خلال قوة «الإيحاء» وتلعب قوة الاعتياد عليه بشكل تدريجي بعد تواصل الإدمان عليه قابلية لدى الجمهور في تقبل ما يعرض من صور وأخيلة كواقع. فما يوحي به التلفزيون على أنه «الواقع» يتحول إلى واقع في أذهان المدمنين المتلقين.

لقد بات التلفزيون عنصراً شديد التأثير في تحديد عناصر خيال الطفل وقيمه حيث أن الوالدان لا يستطيعان إبعاد تأثير التلفزيون عن أطفالهم لأنهم بأنفسهم أصبحوا متعلقين بهذا الصندوق المشع بالصور الذي يمضي أبناؤهم أوقات أكثر مما يمضي الوالدين."

"ان الصورة المتحركة المصحوبة بالصوت في المراحل المبكرة للطفل تتجاوب مع الوعي الحسي والحركي لديه، وتحدث استجابات معينة في ادراكه، تساهم فيما بعد في تشكيل وعيه وتصوره للأشياء من حوله، لأنه يختزنها وتصبح رصيده الثقافي والوجداني والشعوري".

ان سحر التلفزيون (والفيديو بطبيعة الحال) يفوق تأثير أي اداة اعلامية أخرى خصوصا مع التطور في فنون العرض واستخدام المؤثرات السينمائية وهاهي أفلام 3D الحديثة التي سيطرت على عقول الأطفال حيث الاتقان الفني والابهار البصري والشخصيات الجديدة المذهله. ان التأثير التربوي للتلفزيون على الطفل يعتمد على نوعية المادة التي يشاهدها الطفل والرسالة الضمنية فيها ومدى تفاعل الأطفال معها وحديثهم عن شخصياتها. ان الابهار البصري يتحول مع الوقت الى إبهار معرفي وثقافي يجعل الطفل يتقبل جل ما يصاحب المادة التلفزيونية من توجيهات وسلوكيات.

وسائل اعلام الطفل في المنطقة العربية

"إن واقع إعلام الطفل العربي ليس على المستوى الذي يمكنه من القيام بدوره في تربية وإعداد الطفل العربي، وتثقيفه، وإن خطورة التقصير في وسائل الإعلام العربية تجاه الطفل العربي تكمن في أنها تفتح الباب أمام وسائل الإعلام والثقافة الغربية التي تغزو

مجـال إعـلام الطفـل العـربي، مـما يكـون لـه أسـوأ الأثـر في تـشكيل شخـصية الأطفـال العـرب وقـيمهم وعقيدتهم.

الكتاب

يتميز كتاب الطفل العربي بالاتي:

- قلة العدد: كل 100 طفل يشتركون في نسخة واحدة مـن كتـاب واحـد في الـسنة_ أي أن نـصيب الطفل الواحد لايزيد عن بضعة أسطر_ سنويا
- ارتفاع السعر (لجمهور القراء)
- غياب المتخصصين في الكتابة للاطفال
- ندرة الدور المتخصصة بنشر كتاب الطفل
- سيطرة قصص الجن والسحرة والخوارق وكذلك قصص الجريمة والعنف
- ضعف الإخراج الفني
- الكتب المترجمة الغير محررة
- عدم التمييز بين المستويات العمرية للأطفال
- ضعف الاهتمام الموضوعي بقضايا الطفل العربي
- ندرة معارض الكتاب المتخصصة بالطفل
- قلة المكتبات العامة الخاصة بالأطفال (مكتبتان في الرياض لمليون طفل)
- تغييب ثقافة الإبداع والابتكار
- غياب الأهداف التربوية في الكثير من كتب الأطفال

مجلات الأطفال تتميز المجلات العربية ب:

- القلة العددية

مايقارب 80 مليـون طفـل (6-14) سـنة تخـدمهم 15 مجلـة بمتوسـط 20.000 نـسخة (لا تتجـاوز 400.000 نسخة بأي حال: كل 200 طفل يشتركون في نسخة واحدة من عدد واحد من مجلة واحدة!!)

- ضعف المحتوى:

50% مادة ترفيهية بحتة (تختلف من مجلة لأخرى)

25% مادة تعليمية / تربوية (تميل للسوء والانحراف في الكثير من المجلات)

25% مادة محايدة ثقافية عامة

- قلة الجيد من المجلات (لا يتجاوز 20% من المتاح في السوق) وبصدور شهري

- قلة المادة التربوية والدينية (لا تزيد عن 10 %) في اغلب المجلات

- غياب التوجيه السلوكي الإسلامي كالفضائل والسنن

- تقديم القدوات السيئة - كالممثلين والمغنيين

- إهـمال المـستوى العقـلي والنفـسي فـالكثير مـن القـصص والمغـامرات تتجـاوز مـستوى الأطفـال وأعمارهم

- كثرة المواد المترجمة من مجلات أجنبية اضافة الى المجلات الأجنبيـة المعربـة (مـيكي، سـوبر مـان، الوطواط)

- عدم التكامل مع برامج المدرسة التعليمية

- قلة المتخصصين في ميدان الكتابة والرسوم الفنية

- عدم تبني الجهات الإسلامية إصدار مجلات للأطفال عكس الكنائس والمؤسسات التنـصيرية التـي تصدر الكثير من المجلات

- إهمال قضايا العقيدة وعرض بعض البدع أحيانا على أساس أنها من الدين

- التشجيع - أحيانا- على بعض السلوكيات الخاطئة كالرقص والغناء ومصادقة الجنسين (عندما تسمعين الى الراديو تنظربن الى صورة جميلة.. تشعرين برغبة في الرقص، أليس كذلك؟ يحدث هذا لنا جميعاً.. تعالي نتابع هالة وهي ترق في غرفتها ويحسن ان تكون نافذتك مفتوحة وأنت ترقصين لأن الهواء المتجدد يساعدك) سمير العدد 1244

- سيطرة المادة الترفيهية على صفحات المجلة

- عدم تقديم القدوات الصالحة وبطريقة مناسبة

- عرض بعض الشخصيات الخارقة - أحيانا- والتي تضعف معالم القدوة الحسنة

"سوبرمان نموذج.... حيث يبلغ هذا الرجل ذروة القوة في المسلسلات والهزليات الأمريكية فيصبح نصف اله يخور ويثور ويضرب وينتصر باستمرار ولا يموت بتاتاً وهو محصن ضد الأمراض وضد الأخطار ويتغلب على كل المصاعب.

التلفزيون

ما يقارب خمسين قناة تلفزيونية للأطفال في أوربا مقابل خمسة في العالم العربي، إحداهما غربية بالكامل وثانية كرتون ياباني مدبلج (في الغالب) وثالثة منوعات سطحية ورابعة ذات مهنية عالية لكن مع غياب المضمون التربوي وخامسة محافظة (مشفرة) (المجد) لكنها متواضعة فنيا ومهنيا.

"يقلل البعض من الاثار السلبية للقنوات الفضائية العربية على الاطفال ويتهمون من يتحدثون عن هذه الاثار بالمبالغة والتخويف اللذين لا مسوغ لهما ! وهؤلاء – في نظري – مخطئون، فالاثار المحسوسة للبث التلفزيوني بعامة على الاطفال لم تعد مجال للشك.

هل العلاج اذا ان نمنع بث القنوات الفضائية ونقفل ابوابنا دونه ربما كان هذا علاجا ناجحا للبعض، ولكنه علاج محدود لأن القادرين على تنفيذه قلة وسيواجهون عقبات كثيرة. ومع مرور الزمن يصبح مثل هذا العلاج غير ذي جدوى فالتقنيات تتطور حتى تستعصي على المنع، والسيل ينهمر تباعا حتى لا تنفع معه سدود. وتلك حقيقة واقعية وقد لا نرضى بها، ولكن لابد من التعامل معها حتى نحسن المواجهة ونقلل من آثار الشر على أطفالنا."

لقد وجدت دراسة مصرية أن أطفال مدينة القاهرة يشاهدون التلفزيون 28 ساعة في الأسبوع.

أما نسبة الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون بلغت 99% للأطفال بين سن الثامنة وال15 عاماً.

وذكرت الدراسة أن نحو 97 في المئة من أفلام الرسوم المتحركة الواردة من الخارج تحوي كماً كبيراً من مشاهد وأفكار العنف. علما بانه لايتوجه للأطفال سوى 7 % من البرامج.

يوسف كريم (8 سنوات) طفل نجح في امتحان النقل من العام الثاني إلى الثالث الابتدائي أهداه والده جهاز تلفزيون يضعه في غرفته. تلفزيون يوسف متصل بشبكة قنوات فضائية ما يعني أنه لا "يضطر" أن يبرح غرفته لمشاهدة التلفزيون في غرفة الجلوس. يقول: " أحب مشاهدة "كارتون نتوورك " و" سبيس تونز "، وأحياناً لا أغلق التلفزيون أثناء المذاكرة كي لا يفوتني شيء.

إنّ الغصون إذا قوّمتها اعتدلتْ   ولا يلين إذا قوّمته الخشبُ

واقع برامج الاطفال في القنوات العربية

- ندرة المادة الكرتونية الهادفة المناسبة للأطفال (تعد على اليدين)

- ندرة المسرحيات والمنوعات الهادفة والتربوية للأطفال، وأفضل ما قدم لنا (رغم سلبياته الكثيرة) برنامج افتح ياسمسم وهو غربي معرّب

- القلة العددية من حيث الساعات

- اعتماد البرامج المستوردة (أكثر من 50%)

- اعتماد التوجيه المباشر في الغالب

- التركيز على التصوير داخل الأستوديو

- قلة التشويق واعتماد النمطية

- الاعتماد واسع النطاق على أفلام الكرتون وكأن هناك معادلة خاصة بهذا الجانب: تلفزيون + طفل = أفلام كرتون

- احتواء الكثير من الأفلام الغربية على مشاهد لا تليق بالطفل وتؤثر على سلوكه وأخلاقه منذ نعومة أظفاره، وهي عادية جداً لدى الغرب مثل:

❖ الرقص والغناء والموسيقى

❖ القبلات بين الجنسين

❖ العلاقة العاطفية بين الأولاد والبنات

❖ الصراع بين الذكور على فتاة واحدة

- احتواء بعض أفلام الكرتون الغربية على شعوذة وانحرافات عقائدية فيما يتعلق بالخالق عز وجل(افتراض وجود الله فوق السحاب، وصعود البعض إليه، وأحياناً يكون عملاق متوحش وما حدث من مطاردات بين الصغار وهذا العملاق...)

- غياب البعد الأخلاقي في كافة ما يعرض من أفلام الكرتون الغربية وهي في معظمها تشغل وقت الطفل وتسليه دون أدنى فائدة هذا إن خليت من السلبيات المذكورة سابقاً

- انتشار العنف وثقافته في أغلب الكرتون

- في دراسة على عينة من أطفال الرياض حول أفضل برامج الأطفال (مرتبة): كابتن ماجد، سالي، سلاحف النينجا، نساء صغيرات والتي تحوي الكثير من السلوكيات السلبية والأفعال المخالفة للدين (الاحتفال بالكريسماس، ضم اليدين إلى الصدر قبل الأكل).

السينما

هناك شبه انعدام لسينما الأطفال (خلاف واقع سينما الكبار)، معإنتاج محدود على شكل كرتون يقدم على شكل حلقات تلفزيونية، اضافة الى انعدام المسارح الخاصة بسينما الطفل

الإذاعة

الخصائص:

- ندرة برامج الأطفال في الإذاعات العربية
- عدم وجود معدي برامج أطفال متخصصين
- ضعف مستوى برامج الأطفال
- نمطية البرامج واعتمادها غالباً على الأغاني
- الاختيار غير الموفق غالباً لأوقات بث برامج الأطفال

- أنتاج محدد على شكل كاسيت للأطفال يغلب عليه الأناشيد، (هناك بعـض التجـارب الجيـدة مثل تجربة مؤسسة محسن للإنتاج)

مسرح الطفل:

له دور كبير في تنمية التفكير وتطوير مهارات الاتصال وزيادة الحصيلة اللغوية والثقافية.

واقعه:

- عدم وجود مسارح خاصة بالأطفال في الأحياء وأحياناً كثيرة حتى في المدارس
- عدم الاهتمام بفن التمثيل ودوره في تطوير قدرات الطفل المختلفة
- تخلف صناعة الدمى وهي مكملة للمسرح
- هناك جهود محدودة لتكوين فرق مسرحية متنقلة تقدم للأطفال لكن يقدمها الكبار

الكمبيوتر والإنترنت وألعاب الكمبيوتر:

يساعد في تطوير قدرات الطفل الذهنية والعقلية ويساعد في العملية التعليمية بـشكل كبـير. كـما يمكن اضافته للمؤثرات الاعلامية بحكم احتوائه على مواد ذات بعد ثقافي وتربوي.

واقعه:

- الدخول البطيء للكمبيوتر في المدارس
- عدم اعتماد الكمبيوتر كوسيلة ثقافية تعليمية (عدا بعض المدارس الأهلية الراقية)
- ندرة برامج الكمبيوتر العربية الخاصة بالطفل
- انعدام برامج الألعاب الالكترونية العربية (عدا التي أنتجها حزب اللـه)

- أقل من 1 % من مواقع الإنترنت العربية للأطفال 40% من مادتها قصصية وهي تفتقد للتفاعلية وتعتمد في كثير من الأحيان على المواقع الأجنبية

- بعض التجارب الجيدة (حرف) لإنتاج برامج تفاعلية (ملتي ميديا) للأطفال

لعبة فايس سيتي اللاعب (الطفل في كثير من الأحيان) يقود عصابة من الأشرار ويتدرب معهم، يزور المراقص، يدخل بيوت الداعرات، ويقتل اللواتي لا يستجبن لطلباته، يزور الشواطئ الإباحية تدخل عليه النساء - غرف خاصة- بلباس خليع جداً. {منعت اللعبة في استراليا، هناك أصوات في الكونجرس الأمريكي لمنعها}

تقويم المواد الإعلامية بكافة الوسائل المقدمة للأطفال (من الوجهة الإسلامية)

- قلة المواد المقدمة سواء المقروء أو المرئية المسموعة وبما لا يناسب مع عدد الأطفال في العالم العربي

- انخفاض المستوى الفني للكثير من المواد المنتجة إما بسبب التكاليف العالية او قلة الخبرات المتخصصة.

- غياب الأهداف عن الكثير مما يقدم للأطفال والاكتفاء فقط بـ"ماذا يعجبهم؟ ماذا يريدون؟"

- النظرة السطحية لأطفال العالم العربي بأنهم مستهلكون سلبيون بمعنى أنهم لا يقدرون قيمة المنتج الإعلامي والرسالة المتضمنة

- غلبة المواد المترجمة وخصوصاً في أفلام الكرتون (المدبلجة)

- اللغة العربية المقدمة من خلالها المواد المرئية ركيكة في كثير من الأحيان أو متكلفة (عدم استخدام العربية البسيطة والمفردات السهلة الواضحة بعيداً عن التراكيب اللغوية الصعبة والمتقدمة على الطفل)

- غلبة المواد الترفيهية وقلة المواد الجادة

- غياب البرامج التي تعنى بإذكاء عقلية الطفل وتطوير مهاراته العلمية والفنية واليدوية وتحسين ملكة الإبداع والتفكير لديه

- إشغال وقت الطفل قد يكون أفضل تسمية لمواد وبرامج التلفاز العربية (الرسمية)

- غلبة التهريج والإثارة المتكلفة في مواد الأطفال

- التأثر بعقلية الغرب فيما يقدم من إنتاج محلي سواء في الأسلوب أو في حتى المحتوى (استخدام جلود الحيوانات للتعبير عنها)

- اعتماد الرقص - للبنات كجزء من برامج الأطفال

- سيطرة الغناء والموسيقى في كافة برامج الأطفال

- توجيه الطفل لاهتمامات ليست ضمن أولوياته (منجزات البلد - صفات الرئيس القائد...)

- ربط الطفل بخالقه كجزء من العقيدة التي يتربى عليها منعدم تقريباً

- توجيه سلوكيات الطفل والتعامل مع الآخرين بشكل إيجابي نادرة في مواد الطفل.

- ربط الطفل بالمخلوقات والبيئة من حوله كجزء من خلق الله لهذا العالم والتناغم بين جميع مفرداته أيضاً منعدمة تقريبا.

اقتراحات عملية للآباء(من السوق)

- اختيار سلاسل من الكتب القصصية عن السيرة والصحابة والتابعين والسلف، خصوصاً تلك المصالحة بطريقة سلسة وبأسلوب سهل من خلال قالب فني جميل (لوحات معبرة، خطوط مناسبة...)

- اختيار قصص مصورة لسير بعض الشخصيات الإسلامية (صلاح الدين، الظاهر بيبرس،...) ذات التلوين والرسم المناسب وبأسلوب مسلسل.

- اختيار كتب تعليمية متنوعة (اختراعات،جديد العلوم، كيف تصنع...) وخصوصاً المترجمة منها لتميزها العلمي والفني وطريقة العرض المشوقة للصغار.

- كتب المهارات الفنية (التلوين، الرسم، الأشغال، والتي تعتمد مادة تربوية ومفيدة للطفل)

- اقتناء مجلات هادفة دورياً (سنان – فراس...)

- اقتناء كاسيت منوع (أناشيد، قصص وحكايات، مواقف تمثيلية، مثل سلسلة محبوب...)

- اقتناء مواد مرئية فيديو /3D من إنتاج محسن / آلاء...)

- الاشتراك في قنوات الاطفال الهادفة(المجد)

الفصل السابع

الإعلام والعنف الطائفي والديني

الفصل السابع

الإعلام والعنف الطائفي والديني

أولاً: بشأن حقوق الإنسان:

1- أنشأت لجنة حقوق الإنسان ولاية المقرر الخاص المعني بحرية الدين أو المعتقد بموجب قرارها 20/1986، وجددها مجلس حقوق الإنسان في قراراته 37/6 و1/14 و20/22.

2- وقد أدان مجلس حقوق الإنسان، في قراره 12/25، "جميع أشكال العنف والتعصب والتمييز على أساس الدين أو المعتقد أو باسمهما، وانتهاكات حرية الفكر والوجدان والدين أو المعتقد، وأي دعوة إلى الكراهية الدينية تشكل تحريضاً على التمييز أو العداء أو العنف، سواء باستخدام الوسائل المطبوعة أو السمعية - البصرية أو الإلكترونية أو أي وسائل أخرى". ويستند هذا التقرير إلى تلك المعلومة الأساسية ليركز على منع العنف الذي يرتكب باسم الدين، في الفرع ثانياً، ويدرج توصيات محددة موجهة إلى جميع الأطراف الفاعلة ذات الصلة، في الفرع ثالثاً.

ثانياً: منع ارتكاب العنف باسم الدين

ألف- الطبيعة المعقدة للظاهرة

- يتسم العنف الذي يرتكب "باسم الدين"، أي الذي تستند أسسه أو مبرراته المزعومة إلى المعتقدات الدينية لمرتكب الجريمة بأنه ظاهرة ذات طبيعة معقدة في مناطق مختلفة من العالم. وتلجم الوحشية التي تعكسها مظاهر هذا العنف ألسن المراقبين في أحيان كثيرة. ومع أن العنف الذي يرتكب باسم الدين لا يزال يمثل

ظاهرة محلية أو إقليمية في بعض البلدان، فقد تزايدت بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة وتيرة أعمال الإرهاب التي ترتكب عن عمد بغرض توجيه رسائل على الصعيد العالمي. وتكمن السخرية في ذلك السياق، في أن الفظائع التي حدثت في الماضي تبدو في ظاهرها مصطنعة من أجل العرض في وسائط الإعلام الإلكترونية، على نحو يضفي نمطاً آخر من الإذلال على مأساة الضحايا وأسرهم.

- وقد يحدث العنف باسم الدين في شكل اعتداءات تستهدف الأفراد أو الطوائف، أو أعمال عنف طائفي، أو هجمات انتحارية، أو أعمال إرهابية، أو في شكل إرهاب الدولة، أو شكل سياسات رسمية وتشريعات قمعية وتمييزية، وغير ذلك من أنواع السلوك العنيف الأخرى. ويمكن أن يستتر العنف أيضاً في هيئة ممارسات ذات أشكال مختلفة في إطار الوضع السائد في البلد ويبرَّر باسم الدين. وتشمل فئة الجناة عادة أنماطاً مختلفة من الأطراف الفاعلة غير الرسمية، لكنها قد تشمل أيضاً هيئات حكومية، أو تجمع بينهما معاً في أحيان كثيرة جداً. وفي بعض البلدان تتذرع الجماعات المسلحة باسم الدين لتبرر الفظائع التي ترتكبها، مثل عمليات القتل الجماعي التي تستهدف ضحايا محددين، والإعدام خارج نطاق القانون والإعدام التعسفي، والاختفاء القسري، والتعذيب والعنف الجنسي، والاعتداءات العشوائية على المدنيين، وعمليات الطرد الجماعي والاسترقاق أو التدمير المنهجي لطوائف معينة. وفي بلدان أخرى، تمارس أفرقة الحراسة غير الرسمية تخويف الأقليات الدينية من خلال عمليات المضايقة وتدنيس المقابر وأماكن العبادة، وانتزاع ملكية الأراضي أو المقتنيات، والترويع.

- وتنشأ المشكلة الرئيسية في عدد من البلدان عن تقصير الدولة في مكافحة أعمال الإرهاب أو العنف التي ترتكبها الأطراف الفاعلة غير الرسمية، بينما تدعم الهيئات الحكومية أعمال العنف المذكورة بشكل مباشر أو غير مباشر في بلدان

أخرى، من خلال تشجيع مشاعر الكره تجاه لأقليات الدينية أو التغاضي عن ممارسات العنـف، على سبيل المثال، وتنساق من ثم وراء ثقافة الإفلات من العقاب. وقـد تنـشأ انتهاكـات حقـوق الإنسان حتى عن ممارسات أجهـزة الدولـة نفـسها، كـأن تلجـأ الدولـة إلى اسـتخدام ممارسـات قمعية عنيفة من أجل "الدفاع" على الديانـة الرسـمية للدولـة أو عـن سـيادة ديانـة بعينهـا في مواجهة ما تعتبره تهديدات أو أنشطة جهات دينية منافسة أو جماعات منشقة محلية. ولـذلك قد تتخذ مشاركة الدولة في أعمال العنف التي ترتكب باسم الدين أنماطاً متباينة بـشكل واسـع من الممارسات التي تتراوح بين عدم القدرة على فعل شيء والتواطـؤ المبـاشر أو غـير المبـاشر، أو حتى شكل سياسـات تمييـز دينـي متعمـدة، قـد تـصل في بعـض الأحيـان حـد التأييـد الرسـمي لانخراط الدولة في التخطيط لأعمال العنف المنهجية.

- وتستهدف أعمال العنف التي ترتكب باسم الدين بشكل غير متناسب المنشقين والأقليـات الدينيـة، أو الأشخاص الذين يغيرون ديانتهم. ويكون الأشخاص الذين يشتبه في أنهم يشكلون عامل إضعاف لتماسك النسيج الوطني أيضاً هدفاً لأعمال التعصب والعنف المتكررة. ويرجح أيضاً أن ترتفع وتـيرة الاعتداءات في حالة وجود "ديانة رسمية" معترف بها في الدولة أو عند استخدام الدين أداة لتحديـد الهوية الوطنية. وعلاوة على ذلك، تمارس أفرقـة الحراسـة غـير الرسـمية، بـدعم مـن هيئـات إنفـاذ القانون في بعض الأحيان، الاعتداء على الناس، وبخاصة النساء الـلاتي يعـشن أنمـاط حيـاة تعتـبر "لا أخلاقية" من منطلقات مفاهيم دينية متزمتة بشأن السلوك البشري.

- بيد أن العنف الذي يرتكب باسم الدين يؤثر كذلك على أتباع الدين نفسه الذي ترتكب أعمال العنف باسـمه، والـذي قـد يكـون أيـضاً ديانـة الأغلبيـة. وتتزايـد مخاطر أن يتعرض المعتدلون، أو النقاد الذين يعارضون بفعالية إساءة اسـتعمال

اسم الدين لتبرير العنف، لتهم مثل "الخيانة" أو "التجديف"، ولعقوبات بسبيل الانتقام.

- ولا تخفي الصلة بين مسألة العنف الذي يرتكب باسم الدين والتمتع بحرية الدين أو المعتقد، نظراً إلى أن هذا النوع من العنف هو مصدر كثير من انتهاكات حقوق الإنسان الأشد تطرفاً، والتي تترافق عادة مع انتهاكات أخرى لحقوق الإنسان أيضاً. ونظراً إلى أن حرية الدين أو المعتقد ذات صلة بحقوق الإنسان بطبعها، فهي توفر الحماية للبشر أكثر من حمايتها للأديان. ولذلك يجب أن تكون جميع منطلقات تقييم التعددية الدينية أو العقائدية هي نفسها منطلقات الفهم الذاتي للطبيعة البشرية في هذا المضمار، والتي قد تتباين بدرجة كبيرة جداً.

- وينتمي ضحايا العنف إلى جميع أطياف الديانات والمعتقدات. ويدخل في عدادهم أتباع الطوائف "التقليدية" الكبيرة وأعضاء الطوائف الصغيرة أو الحركات الدينية الجديدة، التي كثيراً ما توصم بأنها "فصائل". وعلاوة على ذلك، يتعرض الملحدون واللاأدريون في كثير من البلدان للمعاناة بسبب أجواء الاضطهاد أو العنف. ومن الفئات الأخرى التي تتعرض للإهمال بوتائر متقاربة أتباع المعتقدات الأصلية المختلفة، الذين تستهدفهم أيضاً أعمال العنف التي ترتكبها أجهزة الدولة و/أو الأطراف الفاعلة غير الرسمية.

- وهناك أمثلة لا حصر لها تشير إلى أن العنف الذي يرتكب باسم الدين تكون له عادة أبعاد جنسانية واضحة. وتقع نساء وفتيات كثيرات ضحايا لعمليات القتل "دفاعاً عن الشرف" والاعتداء بالأحماض أو بتر الأعضاء أو الجلد، التي تتم في بعض الأحيان بموجب أحكام قوانين جنائية تستند إلى تشريعات دينية. وتعاني النساء والفتيات أيضاً بصورة غير متناسبة من أعمال العنف الجنسي، مثل الاغتصاب والاختطاف والاسترقاق الجنسي، وتشويه الأعضاء التناسلية، والزواج

القسري الذي يقترن في أحيان كثيرة بتحول لا إرادي عن الدين أو المعتقد، بجانب أنماط أخرى من الفظائع.

- يضاف إلى ذلك أن العنف الناجم عن كره المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية قد يرتكب باسم الدين أيضاً. وقد يتعرض الأفراد من المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية إلى إساءة المعاملة بصورة منهجية، تشمل الاعتداء عليهم من قبل المتطرفين الدينيين أيضاً. وتشمل أعمال العنف ضد المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية عمليات اغتصاب وحشية تحت مسمى "الاغتصاب العلاجي"، وإلى العنف العائلي، بسبب ميولهم أو هويتهم الجنسية. وهناك صلة قوية بين التمييز في القانون والتمييز في الممارسة والتحريض على العنف باسم الدين ومن أجل العنف في حد ذاته. وكثيراً ما تبرَّر أعمال العنف ضد المرأة وضد المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية وتضفى عليها السمة الشرعية من خلال قوانين تمييزية تستند إلى تشريعات دينية أو تحظى بدعم مرجعيات دينية، مثل قوانين تجريم الزنا واللواط أو ارتداء ملابس الجنس الآخر. ولاحظت لجنة حقوق الإنسان مع القلق خطاب الكراهية والتعصب والتحيز الموجه من زعماء دينيين إلى أفراد بسبب ميولهم الجنسية، في سياق أوسع من أعمال العنف التي تشمل قتل المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية. ووردت أيضاً إفادات عن أعمال عنف تمارسها السلطات الدينية على المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية، على الرغم من أن الكثيرين منهم حريصون على ممارسة الطقوس الدينية.

باء-التغلب على تبسيط التفاسير

- خطل نظرية عزل "الدين" عن العوامل الأخرى في سير النزاعات

- تدفع تجارب التذرع بحجة الدين لتبرير الحروب الأهلية والعنف الطائفي والإرهاب، أو غير ذلك من النزاعات العنيفة الأخرى، بعض المراقبين إلى استخدام لفظة "الدين" بشكل عام وفضفاض عند تحليل تلك الظواهر. ويقترن وصف النزاعات العنيفة ذات الأبعاد المتعددة في كثير من الأحيان بالأمور الدينية. ومع أن هذا الوصف قد يعكس بعض عناصر هذه الظاهرة ذات الصلة فهو لا يفي بأغراض فهم الطبيعة المعقدة لتلك المسائل. وتنحو العناوين المثيرة مثل "العنف الديني" و"الحرب الأهلية الدينية" أو "النزاعات الطائفية" إلى التعتيم على أهمية العوامل غير الدينية، ولا سيما العوامل السياسية، على نحو لا يفي بأغراض فهم المشاكل الرئيسية على الوجه المناسب.

- وقد تتضمن العوامل غير الدينية التي تستحق أن تؤخذ على محمل الجد تعرض البلد المعني لتبعات تاريخية معقدة وأجواء من الاستبداد السياسي وتدخلات عسكرية، وإلى عوامل الفقر المدقع والتمييز الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي، والاستبعاد والتهميش وانعدام المساواة والعزل الطبقي والتمزق العرقي، وإلى حدوث تغيرات ديموغرافية سريعة، واستفحال قيم التسلط الأبوي والثقافة الرجولية، وعمليات الهجرة، وتزايد اتساع الفجوة بين المناطق الحضرية والريفية، وانهيار الخطاب العام المثمر وفقدان الاتصال بين فئات السكان المختلفة، واستشراء الفساد والمحسوبية السياسية، واتساع نطاق عدم الرضا عن السياسات العامة، وفقدان الثقة عموماً في المؤسسات العامة بسبب ضعفها أو عدم فعاليتها، وثقافة الإفلات من العقاب وإنكار حدوث انتهاكات خطيرة سابقة للقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الإنساني. ويقتضي وقوع أية حادثة عنف محددة باسم الدين تمحيص وتحليل جميع القرائن والعوامل ذات الصلة، بما فيها البيئة

السياسية الأوسع نطاقاً. ويتضح بذلك أن الدين يكاد لا ينفصل مطلقاً عن غيره من الأسباب الجذرية للنزاعات والاعتداءات العنيفة.

- وفي أحيان كثيرة يحمل التركيز على الدين بمعزل عن العوامل الأخرى في وصف أعمال العنف والنزاعات والحروب الأهلية مخاطر تعزيز ثقافة الاستسلام للقدر. ومن شأن وجود الانطباع بأن هناك خلافات دينية أو مذهبية "دائمة" وراء الأسباب الجذرية للمشاكل على اختلافها أن يؤدي إلى تفاقم الشعور بالعجز والإحباط. وعلى العموم، هناك افتراض خاطئ بأن الأسباب الجذرية لنزاعات عنيفة معينة تعود إلى فتنة دينية حدثت منذ مئات بل آلاف السنين، الشيء الذي سيؤدي على الأرجح إلى صرف الانتباه عن المسؤوليات الآنية للحكومات وزعماء الطوائف وممثلي وسائط الإعلام ومنظمات المجتمع المدني والوكالات الدولية.

- ومن المهم بالإضافة إلى ذلك، تجنب منظور "فقه الضرورة" الذي يعزو العنف إلى جوهر ديانات معينة أو إلى الأديان بصفة عامة. وقد تعمَّد هذا التقرير اختيار صيغة "العنف باسم الدين" تأكيداً لأن من يرتكب جرائم العنف هو الإنسان على الدوام وليس الدين. فالبشر، أي الأفراد والجماعات وزعماء الطوائف وممثلو الدول والأطراف الفاعلة غير الرسمية وغيرهم، هم الذين يتذرعون بحجة الدين أو بمعتقدات دينية محددة من أجل إضفاء السمة الشرعية على العنف أو إشعال جذوته أو توسيع نطاقه أو تصعيده. وبكلمات أخرى، لا يمكن قط أن تنشأ علاقة مباشرة بين الدين والعنف؛ وتكون العلاقة دوماً مرهونة بتدخل الإنسان، بشكل فردي أو جماعي، ليؤدي دوراً فاعلاً في تنشيطها أو الطعن فيها.

2- ضعف أطروحات الاستغلال

- 16- بينما يؤدي التركيز على الدين بمعزل عن العوامل الأخرى إلى تجاهل أهمية العوامل السياسية وغير الدينية، تنحو "أطروحة الاستغلال" في المقابل إلى نفي وجود دوافع دينية قد تؤدي دوراً حقيقياً في اندلاع حوادث العنف. ويفترض فيها عوضاً عن ذلك، أن مرتكبي أعمال العنف "يستغلون" الدين باعتباره مجرد أداة لتحقيق أغراض سياسية أو اقتصادية، أو أية أغراض دنيوية أخرى. وينتج عن استخدام مصطلح "الاستغلال" انطباع بأن تأثير الدوافع الدينية نفسها على أعمال العنف التي ترتكب باسمها لا يكاد يذكر، إن كان لها تأثير.

- 17- إلا أن التقليل من أهمية الدوافع الدينية والمخاوف والهواجس في هذا السياق لا يصح من حيث سرد الحقائق وتوضيح المفاهيم في كثير من الحالات. وعلاوة على ذلك، سيعني ذلك أن الطوائف الدينية وقياداتها مستثناة منذ البدء من تحمل أية مسؤولية حقيقية عن العنف الذي يرتكب باسم الدين، ويعني ذلك ضمنياً أنها لا تستطيع الإسهام بفعالية في معالجة هذه المشكلة.

- 18- ولا شك في أن أعمال العنف لا يمكن أن تعزى إلى الأديان في حد ذاتها، أو إلى أي دين بعينه، لأنها تكون دائماً نتاج أفعال يرتكبها الإنسان في سبيل تحقيق بعض الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وفي السياقات التاريخية. لكن يصح القول بنفس القدر أيضاً إن التدخلات البشرية تشمل طائفة واسعة من الدوافع، بما في ذلك الدوافع الدينية. ومع أن الاعتداءات العنيفة قد تحدث في بعض الحالات نتيجة استراتيجيات انتهازية تستثار فيها المشاعر الدينية، لكن لا يخفى أن هناك أشخاص متعصبون دينياً يرون في تعذيب أو قتل البشر تقرباً إلى الله. وتثير الانزعاج علاوة على ذلك، حقيقة أن المتطرفين الدينيين قد يجدون في السياق الأوسع لمجتمعاتهم، بعض المعجبين والمؤيدين الذين يقعون في خطأ ارتكاب أعمال العنف باعتباره دليلاً على قوة تمسكهم بالدين.

وتتحمل الطوائف الدينية، بما فيها رجال الدين المنتمين إلى مختلف الطرائق، طرفاً من المسؤولية عن معالجة هذه المشكلة، من خلال إجراء تحليلات تتسم بالشفافية لمختلف أسبابها الجذرية، بما في ذلك التفاسير والرسائل الدينية ذات الأفق الضيق وعمليات الاستقطاب.

4- **طائفة واسعة من العوامل والأطراف الفاعلة**

- كثيراً ما يأتي ذكر التفسيرين المبسطين المشار إليهما أعلاه في المناقشات بشأن ارتكاب العنف باسم الدين. ويتمثل الشيء المشترك بينهما في أن كليهما يتجاهل العوامل والجهات الفاعلة ذات الصلة، وإن اختلفت منطلقاتهما. إذ أن التركيز على الدين بمعزل عما عداه من العوامل فيه تجاهل لأهمية التدخلات البشرية بصفة عامة، ولتأثير العوامل السياسية وغيرها من العوامل غير الدينية بصفة خاصة، مما قد يؤدي إلى تعزيز نهج الانصياع للقدر في مواجهة ما يبدو وكأنه فتنة طائفية مستمرة. وفي المقابل، تستخف أطروحة الاستغلال بالدور الذي قد تؤديه الدوافع الدينية في ارتكاب أعمال العنف ودعمها، مما يؤدي إلى قصور استجابة الطوائف الدينية.

- ويعرب المقرر الخاص في هذا الصدد، عن قناعته بأن السياسات التي تهدف إلى التغلب على العنف الذي يرتكب باسم الدين يجب أن تستند إلى الفهم الشامل لجميع العوامل الكامنة وراءه ومعرفة الجهات الفاعلة المسؤولة عنه. وهذا هو الشرط الذي لا غنى عنه في سبيل حشد قدرات جميع الأطراف المعنية ذات الصلة كي تبذل قصارى جهدها من أجل القضاء على هذا العنف.

جيم- الأسباب الجذرية والعوامل والظروف السياسية

يشكل العنف الذي يرتكب باسم الدين حقيقة واقعية ذات طبيعة معقدة. ونظراً إلى القيد المفروض على عدد كلمات هذا التقرير، سيقصر المقرر الخاص نفسه على بعض ملاحظات تصنيفية غير شاملة.

1- الفتاوى الدينية ذات الأفق الضيق

ترتبط قضية الدين لدى كثير من الناس بأحاسيس عاطفية جياشة ذات علاقة عميقة بمشاعر الهوية والإخلاص والروابط الطائفية. وربما تدفع المعتقدات الدينية الناس إلى تخطي حدودها وأداء أعمال بسبيل التضامن والتعاطف والإحسان. غير أن هذه الإمكانات الهائلة قد تتحول إلى قوة مدمرة تغذي مشاعر الاستقطاب الجماعية وتكرس ضيق الأفق والتعصب العنيف.

ويشكل التعصب الديني خطراً ماثلاً في سياق مختلف الأديان والمعتقدات. وتشكل محاولات استغلال خصائص محددة في ديانات بعينها لتغذية نزعة العنف بصورة مباشرة مصدر مشاكل حادة. وهي لا تبرر فقط طائفة واسعة من مظاهر العنف المرتبطة بمعظم الديانات والمعتقدات على اختلافها، بما في ذلك الآراء العلمانية المنتشرة على نطاق العالم، بل تتجاهل أيضاً عامل التدخلات البشرية الحاسم.

وبرغم ما تدعيه معظم الديانات من سمو أصولها - والمعني بالسمو هو الإنسان في هذا السياق - فإن المصادر الدينية ومدونات قواعد السلوك المعيارية تستوعب على الدوام فتاوى متباينة يأخذ بها الناس في الحياة العملية. وبذلك يكون تدخل الإنسان في تفسير الطقوس والمسلمات والشرائع والهويات الدينية شيئاً حتمياً. وقد تترافق الفتاوى غير المتزمتة التي تشجع على التسامح والتعاطف والتضامن عبر الحواجز مع الفتاوى ذات الأفق الضيق في إطار ديانة واحدة، على نحو يؤدي إلى استقطاب الآراء على نطاق واسع ورفض الرأي الآخر بلا هوادة. ويتحمل الإنسان في جميع الأحوال المسؤولية عن النتائج

العملية للطريقة التي يفسر بها معتقداته الدينية أياً كانت أصول تلك المعتقدات. وينطبق هذا القول بصفة خاصة على رجال الدين والدعاة وزعماء الطوائف، الذين يتعين أن يقترن نفوذهم على الدوام بمستوى عال من الإحساس بالمسؤولية.

ويجب، في جميع الأوقات التي يتذرع فيها مرتكبو أعمال العنف بالدين أو المعتقد لتبرير أفعالهم، أن تؤخذ تفسيراتهم المعلن عنها، مثل أفكارهم ومفاهيمهم وتصوراتهم ودواعي قلقهم، بالجدية اللازمة. وعلى الرغم من أنه لا ينبغي أن ينظر إلى الفتاوى الدينية الاستقطابية بمعزل عن غيرها من العوامل السياسية وغير السياسية، لن يكون من الحكمة صرف النظر عنها باعتبارها مجرد حجج لتبرير أعمال العدوان. وفي الوقت نفسه، يمكن تفادي مزالق فقه الضرورة إذا أخذ في الحسبان أن الإنسان هو المسؤول دوماً عن ارتكاب جميع أعمال العنف وسياقة المبررات لها، من خلال الأدوار المختلفة التي يؤديها والحجج المختلفة التي يتذرع بها.

2- فقدان الثقة في المؤسسات العامة

- من حسن الحظ أن بذور التعصب الديني لا تجد لها أرضاً خصبة في جميع الأوقات. وبينما قد لا يجد من يشجعون التزمت الديني والعنف، بل وحتى الإرهاب، في مجتمعات كثيرة تجاوباً واسعاً وسط طوائفهم، فإنهم قد يجدون فرصاً أوسع في بلدان أخرى. وهناك مجتمعات تتردد فيها أصوات التعصب بقوة، بل وبلدان تمكن المتعصبون فيها من التسلل إلى مواقع هامة في أجهزة الدولة أو تولوا رئاسة الحكومة.

- ومن العوامل الرئيسية التي تجعل مجموعات كبيرة من الناس تقبل رسائل التطرف الديني فقدان ثقة الجمهور في المؤسسات العامة. وغالباً ما يبدأ الأمر باستشراء الفساد والمحسوبية السياسية وينتهي بانصراف مجموعات كبيرة من السكان عن سياسات الدولة بشكل كامل. بيد أن الناس الذين يفقدون الثقة بأي شكل في أداء المؤسسات العامة يحاولون عادة تسيير أمور حياتهم من خلال اللجوء إلى شبكات

الدعم الخاصة. وتكون هوية هذه الشبكات مرتبطة في كثير من الأحيان بسياقات عرقية أو دينية.

- وفي ذات الوقت، تزداد أهمية التجمعات التي تكتسب هويتها من خلال الانتماءات الدينية و/أو العرقية حينما تفقد المؤسسات العامة الكبرى مصداقيتها. وتسفر هذه الانقسامات عادة عن تقوقع العقول ونشوء قلق جماعي ومواقف متشككة في كل شيء يحدث خارج إطار الطائفة التي ينتمي إليها الفرد بصفة عامة. وحينما تنحو قابلية الفرد للثقة في المجتمع إلى التقهقر بشكل تدريجي تجاه الانغلاق على الذات، تكون النتيجة على الأرجح هي تسلط الفكر المتزمت الجماعي. وفي هذه الحالات، قد تصبح رسائل الاستقطاب الديني السوداوية ذات طبيعة "جذابة" لأنها تبدو بالفعل متسقة مع طبيعة فكر الفئة المعنية من الناس الذين يشعرون أنهم يعيشون تحت الحصار في بيئة سياسية عدائية وخطيرة. وقد يؤدي ذلك إلى تزاوج الهموم اليومية والرسائل الدينية ذات الطبيعة القتالية.

- وفي مثل هذه الأجواء المحفوفة بالمخاطر، يصبح من السهل أن تؤدي أية أزمة مفاجئة، مثل وقوع حادثة أو حتى مجرد انطلاق إشاعة، إلى اشتعال أعمال العنف على نطاق واسع، بما في ذلك الأعمال الهمجية التي تبرر باسم الدين. ونظراً إلى عدم وجود مؤسسات كبرى جديرة بثقة الجمهور، قد تسود حالة من الهلع السياسي الجامح وتزيد في تسميم العلاقات بين الطوائف المتناحرة. وقد تكون المحصلة النهائية لهذه الحلقة المفرغة انتشار جو من الإحساس بالاضطهاد السياسي تتقاتل فيه مجموعات مسلحة باستخدام جميع الوسائل المتاحة، بما في ذلك أساليب الإدانة الدينية والتكفير. ومن ثم تتاح الفرصة لتآزر الجماعات المسلحة التي تكتسب هويتها من خلال الانتماءات الدينية وتعاضد الآراء الدينية المتباينة على الصعيد العالمي.

- ويترافق عدم وجود مؤسسات عامة جديرة بالثقة مع تراجع الاتصالات العامة في كثير من الأحيان. وفي حالة استمرار الشائعات المغرضة دون أن يتصدى لها أحد بتقديم أدلة نافية وطرحها ومناقشتها عبر منابر الخطاب العام، فإن هذه الشائعات قد تترسخ وتتحول إلى نظريات تآمر مكتملة العناصر. وفي مثل هذه الحالات، قد تصبح الرؤى السوداوية ورسائل العنف، التي يمكن العثور عليها في التقاليد الدينية المختلفة، أداة تفسيرية لتقييم الشواغل المعاصرة المثيرة للقلق، وتضيف من ثم عاملاً جديداً لتصعيد العنف.

3- **سياسات الاستبعاد**

- مع أن الكثير من أعمال العنف الأشد ضراوة التي ترتكب باسم الدين تحدث حالياً في سياق الدول المنهارة أو التي في طريقها للانهيار، فإن الهيئات الحكومية قد تشارك مباشرة في عمليات الاستقطاب الطائفي العنيف. ويحدث هذا في كثير من الأحيان حين تنصِّب الدولة نفسها وصياً على ديانة بعينها. وفي حالة تزاوج هذا الأمر مع وجود ديانة "رسمية" أو ديانة متبناة من قبل الدولة، تنحو الآثار السلبية التي يتعرض لها الأشخاص المنتمين إلى أقليات دينية إلى أن تزداد سوءاً. وبينما يتمتع أتباع الديانة (الديانات) التي تتوفر لها الحماية بمعاملة تفضيلية في العادة، فإن أتباع الديانات أو المعتقدات الأخرى قد يتعرضون لمعاملة تمييزية خطيرة مثل نقص التمثيل في الوظائف العامة والاستبعاد من مؤسسات التعليم العالي أو حتى الحرمان من الجنسية. وتؤدي ممارسة الاستبعاد المنهجي في جميع الأحوال تقريباً إلى حدوث انقسامات داخل المجتمع.

- وتمارس سياسات الاستبعاد في مجال الدين بمعرفة جهات مختلفة. فمن ناحية، هناك عدد من الحكومات التي تؤسس شرعيتها على الدور الذي تؤديه باعتبارها وصية على معتقدات دينية معينة. وقد يتعرض الأشخاص من غير أتباع الديانة موضوع الحماية أو الذين يتبِّعون فتاوى "ضالة" إلى الهجوم بشكل علني باعتبارهم "كفار"

أو "مرتدين" أو "زنادقة"؛ وقد تمارس بعض الدول ضغوط من أجل إجبارهم على التحول عن دينهم إلى الديانة الرسمية للدولة.

- ومن ناحية أخرى، تروج مجموعة أوسع نطاقاً من الدول، منها دول ذات سياسة علمانية رسمية، لتراث ديني معين باعتباره جزءاً لا يتجزأ من هويتها الوطنية دون أن تدعي الارتباط بعقيدة محددة. وقد يضم هذا التراث الوطني ديانة واحدة كان لها دور كبير في تشكيل التاريخ القومي للبلد، أو عدة ديانات أو معتقدات مختلفة معترف بها رسمياً بوصفها تشكل "النسيج الديني التقليدي" للبلد. والواقع هو أن الخطوط الفاصلة الناتجة عن تسخير الدين لتعزيز الهوية الوطنية غالباً ما تتمثل في الفوارق بين الديانات "ألتقليدية" والديانات "غير التقليدية"، بما فيها ديانات أو معتقدات المهاجرين. وقد يصبح الأفراد أو الفئات، الذين ينظر إليهم باعتبارهم شاذين عن فهم الأمة التقليدي لهويتها، موضع اشتباه في أنهم يزعزعون أسس التضامن الوطني، أو حتى جواسيس يخدمون مصالح "قوى أجنبية" أو "جهات مانحة أجنبية".

- وكثيراً ما تنعكس سياسات الإقصاء في بيانات عدائية علنية تدلى بها شخصيات سياسية تتمتع بالشعبية، ويرتبط ذلك عادة بعمليات تحريض على الكراهية الدينية في وسائط الإعلام. وفي بعض الأحيان يتعرض حتى أفراد الأقليات الصغيرة جداً للتشهير بزعم أنهم يشكلون تهديداً خطيراً لاستمرار بقاء الأمة في الأجل الطويل، أو يتهمون بالضلوع في مؤامرات سرية. وقد لاحظ المقرر الخاص في أحيان كثيرة وجود أبعاد جنسانية واضحة في خطاب الكراهية، مثل إثارة المخاوف من حدوث تغيرات ديمغرافية من خلال خطط استراتيجية تنفذها الأقليات للحصول على الأكثرية في الأجل الطويل، وبسبب الشبق المفرط الذي يتصف به أفراد الأقليات الدينية، وما يستتبع ذلك من تصويرهم على أنهم "بدائيون". ويوصف أفراد مجموعات المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية زوراً

في الخطاب الديني بأنهم يشكلون عامل "تهديد" لبقاء الأمة أو جزءاً من "مؤامرة" للتحكم في النمو السكاني.

- وقد تتخذ سياسات الإقصاء أيضاً هيئة إجراءات إدارية أو تشريعية رسمية. مثال ذلك أن الأقليات الدينية غير المرغوب فيها قد تواجه عقبات لا يمكن التغلب عليها عندما تحاول الحصول على مركز شخصية اعتبارية لا تستطيع بدونها تطوير الهياكل الأساسية اللازمة لإدارة شؤونها المجتمعية بطريقة قابلة للاستدامة. وفي بعض الأحيان يعتبر حتى وجود هذه الطوائف "غير قانوني" في بعض البلدان. ونتيجة لذلك، يعاني أفراد هذه الأقليات المعرضة للتمييز عادة، ممارسات المضايقة والتخويف بصورة منهجية. ومن العوامل التي تزيد احتمال تعرضهم لمضايقات إضافية سن قوانين تتعلق بمكافحة تدنيس المقدسات أو مكافحة التبشير، قد يكون فيها تهديد بتعرضهم لعقوبات جنائية على "جرائم" غير واضحة المعالم. وهناك أمثلة لا حصر لها تدل على أن هذه القوانين تؤثر بشكل غير متناسب على الأقليات. وفي ذات الوقت، قد تشجع تلك الأطراف مجموعات الحراسة غير الرسمية على ارتكاب أعمال العنف والعدوان، بدعم مباشر أو غير مباشر من هيئات إنفاذ القانون في أحيان كثيرة.

4- الإفلات من العقاب والاستخفاف وثقافة الصمت

- يخفي العنف الذي يرتكب باسم الدين تحته مشكلة رئيسية هي ثقافة الإفلات من العقاب التي توجد في عدد كبير من البلدان. ويقول الضحايا وأسرهم في كثير من الأحيان إن السلطات لا توفر لهم حماية فعالة وإن الشرطة تتأخر في الوصول إلى مسرح أعمال العنف أو تقف ضمن المشاهدين متفرجة على أماكن العبادة وهي تحرق أو الناس وهم يعتدى عليهم من قبل مجموعات الغوغاء العدوانية. وليس من الواضح دائماً ما إذا كان الإفلات من العقاب

يأتي نتيجة قصور في القدرات أو يعكس درجة معينة من التواطؤ من جانب بعض هيئات الدولة.

- وهناك عامل إضافي يؤدي إلى تفاقم الأوضاع وهو ميل بعض الحكومات إلى تجاهل الأسباب الجذرية المترسخة للعنف المرتكب باسم الدين أو التقليل من شأنها. وقد تهوِّن من شأن المسألة قيد النظر باعتبارها "حوادث متفرقة" وتزعم أنها ارتكبت على يد حفنة من الأفراد غير المسؤولين، دون أن تعترف بالبعد الهيكلي أو السياسي الأوسع للقضية. وتظهر الإحصاءات الرسمية وتيرة وأنماط أعمال العنف وتتضمن بيانات مفصلة عن دوافعها الخفية، التي لا وجود لها في كثير من الأحيان.

- وفي أجواء الخوف والترهيب التي تسود في بعض البلدان - سواء نتيجة أعمال عدوانية ترتكبها أطراف فاعلة غير رسمية أو بسبب سياسات حكومية قمعية - قد يمتنع السكان إلى حد كبير حتى عن الحديث عن العنف الذي يرتكب باسم الدين. مما يضيف بعداً آخر للمشكلة. ولا تتيح ثقافة الصمت المتنامية، التي غالباً ما تتفاقم بسبب القوانين التقييدية، للأطراف الفاعلة المسؤولة إمكانية معالجة المشكلة بصورة علنية واستراتيجية. ويعد التغلب على ثقافة الصمت شرطاً رئيسياً يجب استيفاؤه مسبقاً من أجل مساءلة الحكومات عن اتخاذ، أو عدم اتخاذ، الإجراءات السياسية المناسبة، بما في ذلك المساءلة عن حالات الإفلات من العقاب.

دال- إطار حقوق الإنسان

- تستدعي آفة العنف باسم الدين أن تتضافر جهود الدول والطوائف الدينية والعقائدية والمبادرات المشتركة بين الأديان ومنظمات المجتمع المدني ووسائط الإعلام لاتخاذ إجراءات من أجل احتواء هذه الظاهرة والتغلب عليها في نهاية المطاف. وتشكل حقوق الإنسان الإطار المعياري الذي يجب أن توضع في سياقه

أية سياسات لمعالجة هذه المشكلة وأسبابها الجذرية. وهي تتيح إمكانات متعددة الجوانب في هذا الصدد:

(أ) تمثل حقوق الإنسان توافقاً واسع الإطار في آراء المجتمع الدولي بشأن القضايا الأخلاقية المتفق عليها، وهي ملزِّمة بموجب القانون الدولي، وتجمع بذلك بين قوة الإقناع الأخلاقي وسلطة القانون؛

(ب) ترتبط حقوق الإنسان بإنشاء مؤسسات البنية التحتية ذات الصلة على المستويات العالمية والإقليمية والوطنية ودون الوطنية. وتيسر هذه البنية التحتية المتعددة العناصر التعاون الاستراتيجي بين الأطراف المعنية المختلفة في مجال إعمال حقوق الإنسان ورصدها؛

(ج) تستطيع البنيات التحتية لمؤسسات وآليات حقوق الإنسان على مختلف الأصعدة - العالمية والمحلية - أن تساعد بدرجة أكبر في بناء الثقة أو استعادتها في أوساط الجمهور، وبخاصة في الحالات التي تكون المؤسسات العامة قد توقفت فيها عن العمل بشكل مقبول في المجتمع المعني؛

(د) على الرغم من أن حقوق الإنسان، بوصفها معايير قانونية، لا تشكل في حد ذاتها نظاماً حاكماً للمفاهيم، فإن المبادئ الأساسية التي تستند إليها - مثل احترام كرامة الإنسان وكفالة المساواة بين جميع البشر والتطلع إلى تحقيق العدالة للجميع - تتداخل في مجالات كثيرة مع قيم العديد من الديانات والثقافات والتقاليد الفلسفية؛ وعليه قد تشكل حقوق الإنسان حافزاً لتعزيز الوعي بالرسالة الخيرية للأديان أو المعتقدات المختلفة، من أجل بناء القدرة على الصمود في وجه رسائل الكراهية والعنف؛

(ه) تمثل حرية الدين أو المعتقد، بالاقتران مع غيرها من حقوق الإنسان الأخرى، الأساس المعياري للتعايش والتعاون بين أشخاص ينتمون إلى

ديانـات أو معتقـدات متباينـة بدرجـة كبـيرة، وتقتـضي أن تـشكل الدولـة إطـاراً شـاملاً للجميع. وعلاوة على ذلك، تضمن حرية الـدين أو المعتقـد حـصول الطوائـف والجاليـات المختلفة على الحماية.

- وتعرض هذه القائمة غير الحصرية قدرة حقوق الإنسان على الجمع بـين الأطـراف المعنيـة عـلى اختلافها، حيث يتعين عليها أن تبذل قصارى جهـدها لمكافحـة العنـف باسـم الـدين مـن خـلال إجراءات منسقة. ويناقش المقرر الخاص في ما يلي الأدوار المحددة لـبعض الأطـراف المعنيـة ذات الصلة في هذا المجال.

هاء- الالتزامات والمسؤوليات بموجب القانون الدولي

1-التزامات الدولة من موقع السيطرة

الدولة ليست مجرد طرف مؤثر آخر إلى جانب الأطراف والمؤسسات المختلفة الأخـرى. وتقـع عـلى عاتق الدولة، بوصفها الكفيل الأسـمى لحقـوق الإنـسان بموجـب القـانون الـدولي، التزامـات شـاملة يمكـن تقسيمها إلى ثلاثة مـستويات مفاهيميـة، وهـي الالتزامـات المتعلقـة بـاحترام حقـوق الإنـسان وبحمايتهـا وتعزيزها.

(أ) الالتزامات المتعلقة باحترام حقوق الإنسان

تقتضي الالتزامات المتعلقة باحترام حقوق الإنسان في سياق المناقشة الحالية أن تتخلى الدولـة عن سياسات الإقصاء بجميع أنواعها - الرسمية أو غير الرسمية - التي تسبب معاناة الأشـخاص الـذين ينتمون إلى مجموعات معينـة مـستهدفة بـالتمييز. وتترتـب عـلى ذلـك نتـائج متعـددة. وعـلى وجـه الخصوص، يتعين أن يحجم ممثلو الحكومة بشكل صريح عن الإدلاء بأية بيانات قـد تفـسر عـلى أنهـا قبول أو ربما تشجيع لأعمال العنف التي تستهدف أفراد المعارضة الدينية أو الأقليات الدينية أو أية فئـات أخرى من الناس. كما أن التشريعات التي تجعل وجود بعض الطوائف الدينية "غير قـانوني" في البلـد مـن حيث ما هو، أو تمنعها من تطوير بنيـات تحتيـة مـستدامة، تتعـارض مـع حـق الجميـع في حريـة الـدين

أو المعتقد، ويتعين إلغاؤها. وتزيد مثل هذه التشريعات استعار مشاعر الاستياء، وقد تشجع أعمال التخويف، بما في ذلك ما ترتكبه منها هيئات إنفاذ القانون. وعلاوة على ذلك، يتعين أن تلغي الدولة قوانين مكافحة التجديف وقوانين مكافحة تغيير الدين أو المعتقد والقوانين الجنائية التي فيها تمييز بحق أشخاص معينين وفقاً لانتماءاتهم أو معتقداتهم الدينية أو تجرّم ممارساتهم "المنشقة". وبجانب ما تسببه هذه القوانين من زيادة تهميش بعض الفئات أو الأفراد، فهي قد تتخذ ذريعة من قبل مجموعات الحراسة غير الرسمية وغيرها من مرتكبي أفعال الكراهية بهدف تخويف الناس. ويجب ألّا تحتوي الكتب الدراسية المستخدمة في المدارس على صور نمطية وتحاملات قد تؤجج المشاعر العدائية ضد أتباع بعض الديانات والمعتقدات والفئات التي تعاني من التمييز المنهجي، بما في ذلك النساء والمثليات والمثليون ومزدوجو الميل الجنسي ومغايرو الهوية الجنسانية.

ولكي تؤدي الدولة دور الكفيل ذي المصداقية لحرية الدين أو المعتقد للجميع، يتعين عليها ألاّ ترتبط بإحدى الديانات أو أحد المعتقدات بشكل حصري (أو بنمط معين من الأديان) على حساب كفالة المساواة في المعاملة لأتباع الديانات الأخرى. وتوضح التجارب بجلاء أن استخدام الدين في سياق سياسة الهوية الوطنية ينطوي دوماً على مخاطر جسيمة فيما يتعلق بممارسة التمييز على الأقليات، مثل الطوائف الدينية المهاجرة أو الحركات الدينية الجديدة، مما يؤدي إلى الانقسام في أوساط المجتمع. ويتعين لذلك التصدي بحزم لأية تدابير إقصائية واستبدالها بإطار مؤسسي شامل للجميع، يتيح إمكانية التعبير عن التنوع الديني دون تمييز وبلا خوف.

(ب)الالتزامات المتعلقة بحماية حقوق الإنسان

لا تنشأ انتهاكات حقوق الإنسان عن ممارسات الدولة فقط؛ وتحدث في كثير من الأحيان على يد أطراف فاعلة غير رسمية. ومع ذلك، تتحمل الدولة المسؤولية عن هذه الأعمال بقدر ما تعكسه من قصور في توفير الحماية لحقوق الإنسان.

وتتمثل الخطوة الأولى تجاه توفير الحماية من العنف الذي يرتكب باسم الدين، في صدور إدانة سريعة وقاطعة عن مسؤولين حكوميين رفيعي المستوى لأية أفعال من هذا القبيل فور حدوثها. وينبغي فعلياً أن يأخذ الناطقون باسم الدولة بزمام المبادرة في نبذ العنف، وأن يعربوا عن تعاطفهم مع الضحايا وتأييدهم لتقديم الدعم من الميزانية العامة للمستهدفين من الأفراد أو الفئات. وينبغي أن تُصوَّر الهجمات العنيفة التي تستهدف أفراد الطوائف المعرضة للتمييز المنهجي باسم الدين على أنها هجمات على المجتمع بأسره. بيد أن الرسائل التي توجه إلى الجمهور في ذلك الصدد لا تكون ذات مصداقية إن لم تعالج الأسباب الجذرية بشكل علني، بما في ذلك معالجة الأوضاع السياسية السائدة، وتتيح من ثم إمكانية نشوء عوامل تمكين لمكافحة العنف. ومن دواعي الأسف أن بعض الحكومات تظهر ميلاً إلى استخدام سياسة الاستخفاف بأحداث العنف وتحميل المسؤولية عنها لعدد قليل من الأفراد المستهترين، دون أن تعترف بالأبعاد السياسية الأوسع للقضية. ولا بد من التغلب على مثل هذه الميول كشرط لازم لوضع استراتيجيات وقائية وعلاجية فعالة.

وتشمل القضايا الرئيسية في سياق الحماية من العنف الذي يرتكب باسم الدين مكافحة الإفلات من العقاب، حيث ما وجد. ويجب تقديم الذين يرتكبون أعمال العنف أو يتواطؤون في ارتكابها إلى العدالة على الدوام. ويتطلب ذلك تدريب أفراد هيئات إنفاذ القانون وإقامة نظام قضائي فعال ومستقل. وعلاوة على ذلك، تؤدي قوانين مكافحة التمييز دوراً لا غنى عنه في كفالة مساواة الجميع في التمتع بحقوق الإنسان عبر الخطوط الفاصلة بين الطوائف الدينية أو المذهبية، ومن ثم منع الانقسام في أوساط المجتمع أو التغلب عليه.

ومع أن التزامات الدول المتعلقة بحماية حقوق الإنسان تقتضي اتخاذ تدابير فعالة لمكافحة الإرهاب، يود المقرر الخاص أن يؤكد مجدداً وجوب أن تكفل الدول توافق أية تدابير تتخذ في هذا الصدد بشكل تام مع التزاماتها بموجب القوانين الدولية، وبخاصة

قانون حقوق الإنسان وقانون اللاجئين والقانون الإنساني. ويثير القلق في هذا السياق استهداف فئات معينة، وبخاصة أفراد طوائف دينية محددة، من خلال ما يسمى بالتنميط الديني.

(ج)الالتزامات المتعلقة بتعزيز حقوق الإنسان

يجب على الدول بالإضافة إلى احترام حقوق الإنسان وحمايتها، أن تتخذ أيضاً مجموعة واسعة من التدابير الإيجابية الرامية إلى تسهيل تنفيذ التزاماتها على نحو فعال. ويشمل هذا توفير الإطار المناسب الذي يتيح للأطراف المعنية الأخرى، التي تشمل الطوائف الدينية والمبادرات المشتركة بين الأديان ومنظمات المجتمع المدني والمدافعين عن حقوق الإنسان والإعلاميين، فرصة وضع إمكاناتها قيد الاستخدام.

وعلاوة على ذلك، يتعين على الدولة نفسها استخدام جميع الوسائل المتاحة - بما في ذلك عمليات التثقيف والإرشاد المجتمعية الرسمية وغير الرسمية - من أجل ترسيخ أسس ثقافة الاحترام المتبادل وعدم التمييز وتقدير التعددية داخل المجتمع. وينبغي أن تقوم الدولة، بالتشاور الوثيق مع جميع الأطراف المعنية ذات الصلة، بوضع خطط عمل وطنية لمكافحة ارتكاب العنف باسم الدين. وتشمل الصكوك المفيدة في هذا السياق خطة عمل الرباط بشأن حظر الدعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية التي تشكل تحريضاً على التمييز أو العداوة أو العنف. ويمكن لخطة عمل الرباط، التي وضعت بمشاركة طائفة واسعة من الخبراء والدول الأعضاء ومنظمات المجتمع المدني برعاية مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، أن توفر الإرشاد بشأن كيفية بناء قدرة المجتمعات على التصدي للتحريض على الكراهية الدينية وأعمال العنف المصاحبة لها. ويتطلب بناء تلك القدرة تنفيذ نطاق واسع من الأنشطة، بما في ذلك بذل الجهود في مجال التثقيف وبناء قدرات الإنذار المبكر ووضع سياسات للتأهب في مواجهة الأزمات، من خلال إنشاء قنوات اتصال تستطيع الأطراف الفاعلة ذات الصلة من خلالها التصدي على المستوى الاستراتيجي وبشكل سريع.

وتتميز المؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان بخاصية أنها مؤهلة بشكل خاص لتعزيز حقوق الإنسان. ويملك بعضها أيضاً تفويضاً صريحاً بالعمل على تعزيز العلاقات المشتركة بين الطوائف. ويود المقرر الخاص أن يشجع تلك المؤسسات، بما في ذلك لجنة التنسيق الدولية المعنية بشؤونها، على الإمساك بفعالية بمقاليد تنفيذ خطة عمل الرباط، ووضع استراتيجيات للقضاء على الأسباب الجذرية للعنف الذي يرتكب باسم الدين.

وعلاوة على ذلك، يتعين على الدول أن تحافظ على الذاكرة المؤسسية لجميع فئات السكان، والذاكرة المؤسسية للطوائف الدينية على وجه الخصوص، بوسائل تشمل تطوير دوائر المحفوظات والمتاحف والمعالم التذكارية الوطنية وحمايتها.

مسؤولية حماية السكان من الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والتطهير العرقي والجرائم ضد الإنسانية

أعلن رؤساء الدول والحكومات، في مؤتمر القمة العالمي لعام 2005، عن التزامهم بمسؤولية حماية شعوبهم من الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والتطهير العرقي والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية. وتترتب على ذلك الالتزام مسؤولية الدول عن حماية شعوبها من الجرائم الوحشية؛ والمسؤولية عن مساعدة الدول الأخرى على توفير تلك الحماية لشعوبها من خلال تقديم المساعدة الدولية لها؛ ومسؤولية اتخاذ إجراءات جماعية عندما تفشل دولة ما بشكل واضح في توفير الحماية لسكانها. وعلى وجه الخصوص، تعني كلمة "الشعوب" جميع السكان الذين يعيشون في إقليم الدولة، سواء كانوا من رعاياها أو لم يكونوا، ويشمل ذلك الطوائف الدينية أيضاً. ويستند ذلك المبدأ إلى الالتزامات القائمة بموجب القانون الدولي، ويجسد الإرادة السياسية تجاه منع الجرائم الوحشية والتصدي لها، لكنه ليس أداة ذات طابع قانوني مستقل في حد ذاته.

وقد وضع الأمين العام، في تقريره عن تنفيذ المسؤولية عن الحماية لعام 2009 (A/63/677)، إطاراً لتنفيذ مبدأ المسؤولية عن الحماية على أساس ثلاث ركائز متساوية ومتعاضدة وغير متسلسلة. وتتمثل الركيزة الأولى في مسؤولية جميع الدول المفردة عن

حماية سكانها من الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والتطهير العرقي والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية. وينصبّ اهتمام الركيزة الثانية على توفير المساعدة الدولية وفقاً لما ورد في الفقرتين 138 و139 من الوثيقة الختامية لمؤتمر القمة العالمي لعام 2005، اللتين أكدتا ضرورة أن يقوم المجتمع الدولي، حسب الاقتضاء، بتشجيع ومساعدة الدول على الاضطلاع بهذه المسؤولية، ودعم الأمم المتحدة في مجال إنشاء قدرة الإنذار المبكر، ومساعدة الدول التي تشهد توترات قبل أن تنشب فيها أزمات وصراعات. وتحدد الركيزة الثالثة الخيارات المتاحة فيما يتعلق باتخاذ إجراءات جماعية في الوقت المناسب وبطريقة حاسمة وفقاً لميثاق الأمم المتحدة، في حالة قصور الوسائل السلمية وعجز السلطات الوطنية بشكل واضح عن توفير الحماية لسكانها.

3-التزامات الجماعات المسلحة غير الرسمية

(أ)القانون الدولي لحقوق الإنسان

يركز القانون الدولي لحقوق الإنسان عادة على التزامات الدول، لكن هناك نهج جديد ناشئ يتمحور حول الاعتراف بأهمية وتأثير بعض الأطراف الفاعلة من غير الدول، بما في ذلك الجماعات المسلحة غير الرسمية التي تسيطر (وربما حتى التي لا تسيطر) بشكل فعلي على إقليم ما، بحجة أنه تقع عليها أيضاً بعض الالتزامات المتعلقة بحقوق الإنسان. وفي ذلك الصدد، شددت اللجنة المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة في توصيتها العامة رقم 30(2013) المتعلقة بوضع المرأة في سياق منع نشوب النزاعات وفي حالات النزاع وما بعد انتهاء النزاع، على أنه "في ظل ظروف معينة، ولا سيما في الحالات التي تمارس فيها جماعة مسلحة ذات بنية سياسية قابلة للتحديد سيطرة كبيرة على الأرض والسكان، فإن الجهات الفاعلة من غير الدول ملزمة باحترام حقوق الإنسان الدولية.

وقد تناولت الإجراءات الخاصة ولجان التحقيق أيضاً انتهاكات حقوق الإنسان التي ترتكب باسم الدين من قبل الجماعات المسلحة التي تمارس سيطرة فعلية على

الأرض. وتعني "السيطرة الفعلية" أن المجموعة المسلحة غير الرسمية قد عززت سيطرتها وسلطتها على الأرض لدرجة أنها تستطيع استبعاد الدولة من حكم المنطقة المعنية على أساس أكثر من مؤقت. وعلاوة على ذلك، عرف عن بعض الجماعات المسلحة التي لا تمارس سيطرة فعلية على الأرض أنها ترتكب انتهاكات حقوق الإنسان. وأكد تقرير صادر عن بعثة الأمم المتحدة في جمهورية جنوب السودان، في أيار/مايو 2014، أن الالتزامات الأساسية المتعلقة بحقوق الإنسان، وبخاصة النابعة منها عن القانون الدولي الملزم (القواعد الآمرة)، تكون ملزمة لكل من الدولة وجماعات المعارضة المسلحة في أوقات السلم وأثناء النزاعات المسلحة.

(ب) القانون الدولي الإنساني

يمكن الاحتجاج بالقانون الإنساني الدولي أيضاً في حالة دخول مجموعة مسلحة غير رسمية طرفاً في نزاع مسلح. وتحدد المادة 3 المشتركة بين اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949 بعض الضمانات الدنيا التي يتعين أن تلتزم بها جميع الأطراف المشاركة في نزاع مسلح غير دولي، بما في ذلك معاملة جميع الأشخاص الذين لا يشتركون بصورة مباشرة في الأعمال العدائية معاملة إنسانية في جميع الظروف، ودون أي تمييز ضار على أساس الدين أو العقيدة. وعلاوة على ذلك، أصبحت بعض المعايير الواردة في اتفاقيات جنيف لعام 1949 وفي البروتوكولين الإضافيين الأول والثاني لعام 1977 بمثابة أحكام في القانون الدولي العرفي، وصارت بذلك ملزمة لجميع الأطراف في النزاعات المسلحة.

ويلاحظ بصفة خاصة أن القانون الإنساني الدولي يقضي بأن تتخذ الجماعات المسلحة الرسمية وغير الرسمية معاً جميع التدابير اللازمة للحد من تأثير العنف على المدنيين، واحترام مبادئ التمييز والتناسب عند تنفيذ العمليات العسكرية، وضمان سلامة وحماية المدنيين بتمكينهم من مغادرة المناطق المتضررة من أعمال العنف في أمان وكرامة، وكذلك تمكينهم من الحصول على المساعدات الإنسانية الأساسية في جميع الأوقات.

(ج)القانون الجنائي الدولي

وقد تؤدي أنماط سلوك معينة، في حالة ارتكابها من قبل أعضاء الجماعات المسلحة غير الرسمية، إلى نشوء مسؤولية فردية بموجب القانون الجنائي الدولي. ويعرِّف نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية "الإبادة الجماعية" في المادة 6 و"الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية" في المادة (7) و"جرائم الحرب" في المادة 8. ووردت في هذه الأحكام أيضاً عدة إشارات إلى مصطلحات مثل "الديني" أو "الدين"، ومثال ذلك المادة 6 ("أي فعل من الأفعال [...] يرتكب بقصد إهلاك جماعة قومية أو اثنية أو عرقية أو دينية، بصفتها هذه، إهلاكاً كلياً أو جزئياً")، والفقرة 1 (ح) من المادة 7 ("اضطهاد أية جماعة محددة أو مجموع محدد من السكان لأسباب [...] أو دينية") وكذلك الفقرتان 2 (ب)'9' و(هـ)'4' من المادة 8 "تعمد توجيه هجمات ضد المباني المخصصة للأغراض الدينية [...] شريطة ألا تكون أهدافاً عسكرية").

ومن الضروري قيام المسؤولية الجنائية الفردية من أجل كفالة المساءلة عن الانتهاكات الجسيمة أو الخطيرة للقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الإنساني. بيد أن، الفقرة 3(و) من المادة 25 تنص على أن "الشخص الذي يكف عن بذل أي جهد لارتكاب الجريمة أو يحول بوسيلة أخرى دون إتمام الجريمة لا يكون عرضة للعقاب بموجب هذا النظام الأساسي على الشروع في ارتكاب الجريمة إذا هو تخلى تماماً وبمحض إرادته عن الغرض الإجرامي". ويؤمل من ثم أن يدفع هذا الحكم، بالاقتران مع مخاطر التعرض للمحاكمة على الصعيد الدولي، أفراد الجماعات المسلحة غير الرسمية إلى التخلي عن محاولاتها لارتكاب جرائم عل الصعيد الدولي.

واو-دور الأطراف المعنية الأخرى

1-الطوائف الدينية وقياداتها

يشكل مرتكبو أعمال العنف عادة مجموعات صغيرة نسبياً من مختلف الطوائف الدينية التي ينتمون إليها، بينما ترى الغالبية العظمى من الأشخاص المتدينين في أعمال

العنف التي ترتكب باسم دينهم شيئاً مريعاً. ومن أهم الأشياء أيضاً أن تعلن الأغلبية التي لا تؤيد العنـف، وزعماؤها أيضاً، عن إدانتها له. وتنظم الطوائف الدينية في بعض البلدان تظاهرات واسعة وتستخدم جميع وسائط الإعلام المتاحة لها من أجل التنديد علناً بالتبريرات الدينية للأعمال المريعة التي ترتكب. لكن هنـاك حالات يكون فيها صمت الأغلبية وصمت زعمائهـا "مريعـاً" أيـضاً، ويفـسح المكـان فعليـاً في الـساحة العامـة للجماعات العدوانية الـصغيرة. وغالبـاً مـا يتطلـب الحـديث في هـذه الحـالات الـتحلي بالـشجاعة والعزيمـة والقدرة على اغتنام الفرص للتدخل في اللحظة المناسبة عندما يكون العنف في بدايته ومن الممكن احتواؤه وكبح جماحه.

ومن الأهمية بمكان التغلب على ثقافة الصمت في وجه الاعتـداءات العنيفـة حيـثما وجـدت تلـك الثقافة. وفي كثير من الأحيان يدَّعي مرتكبو أعمال العنـف أنهـم يتـصرفون نيابـة عـن "الأغلبيـة الـصامتة". ويضاف إلى ذلك أن المتعصبين الدينيين يحبون تصوير أنفـسهم عـلى أنهـم "أبطـال" ويقولـون إنهـم حـرس طليعي للدين، وتتمثل مهمتهم في نهاية المطاف في خدمة مصالح طائفتهم. وطالما ظلت الأغلبية والطائفـة الأوسع نطاقاً صامتة في معظمها، سيسهل على المتطرفين أن يلعبوا لعبتهم. وقد يشعرون أن لديهم تفويضاً مطلقاً بتنفيذ أعمال العنف ويروجون للأعمال الوحشية باعتبارها من مظاهر الإخلاص للدين.

وليس من السهل التغلب على ثقافة الصمت، لأن المحاولة قد تكون محفوفة بمخاطر شـديدة حسب الحالة المعنية. وتتمثل إحدى المشاكل في أن الجماعـات الدينيـة المتطرفـة تحـصل عـادة عـلى تغطية إعلامية واسعة أو تسعى إلى ذلك، بينما تبقى أصوات السلام والمـصالحة عـلى هـامش اهـتمام الرأي العام في كثير من الأحيان. وعلى الرغم مما قد يسببه هذا الأمر من إحباط شديد، لا ينبغي أبداً أن يتخذ ذريعة لالتزام الصمت. ويجب ألا يؤدي الاعتقاد الباعث على السخرية بـأن الأخبـار الـسيئة تزيد المبيعات إلى امتناع أفراد الطوائف الدينية الأخرى عن طرح آرائهم بنشاط. وعـلاوة عـلى ذلـك، قد يـدفع الخـوف مـن الانتقـام في أجـواء الترهيـب كثـيراً مـن الأشـخاص المتـدينين إلى الامتنـاع عـن

الحديث في العلن. وفي مثل هذه الحالات، يتعين على رفاقهم من الأشخاص المتدينين الذين يعيشون في بيئات سياسية أكثر أماناً أن يرفعوا أصواتهم نيابة عنهم ويدينوا العنف الذي ترتكب باسم دينهم إدانة صريحة.

وقد رأى المقرر الخاص بيانات مناهضة للعنف مثيرة للإعجاب صادرة عن ممثلي بعض الطوائف الدينية، وهي بيانات صريحة وذات حس ديني عميق وصادق. لكنه رأى أيضاً مظاهر رفض عام للعنف تميزت بتجرد مخيب للآمال، لأنها تقوم على الافتراض المشكِل بأن العنف ينتج عن "استغلال" الدين كأداة فقط، ولذلك لا دخل له، أو يكاد، بالدوافع الدينية. ومن ثم يظل هذا الرفض القائم على الاستخفاف بالدوافع الدينية بلا وزن في حد ذاته. ومثلما اتضح من المناقشة السابقة، تعزو أطروحة استغلال الدين كأداة المشكلة إلى عوامل خارجية وغير دينية، كما تسارع في ذات الوقت إلى نبذ العلاقة المحتملة بين الهواجس والآراء الدينية، من طرف واحد.

ويجب ألا تركن الطوائف الدينية، أو ممثلوها وقادة فكرها على وجه الخصوص، لإغراء التهوين من شأن قضية العنف الذي يرتكب باسم الدين باعتباره مجرد مظاهر "سوء فهم" وتجاوزات خارجية. ففي ذلك تبسيط للمشكلة بدرجة تصل حد التصرف غير المسؤول. ويجب، عوضاً عن ذلك، أن يتقبل رجال الدين والزعماء الدينيين عند التعامل مع قضية هذا العنف، الواقع المثير للقلق المتمثل في أن مرتكبي أعمال العنف - أو بعضاً منهم على الأقل - على قناعة بأن قتلهم لرفاقهم من البشر عمل خالص لوجه الله. ويمثل أخذ هذه الأفكار بالجدية اللازمة، مهما بدا من غرابتها أو تشوشها، شرطاً مسبقاً لازماً للتصدي لها بدرجة كافية من العمق. إذ يمكن معالجة الأسباب الجذرية المختلفة للعنف، التي تشمل الفتاوى الدينية الاستقطابية وعمليات التحريض على الكراهية الدينية، فقط من خلال مواجهة "الإغراء" الشاذ الذي يمثله التطرف الديني العنيف لبعض الناس، بمن فيهم الأشخاص الذين يعيشون في ظروف حياة غير مستقرة وظروف سياسية متقلبة.

وعلاوة على الإدانة الصريحة للعنـف الـذي يرتكـب باسـم الـدين، يتعـين عـلى الطوائـف الدينيـة وزعمائها تشجيع روح التعاطف والتسامح وتقـدير التعدديـة. ويجـب علـيهم الطعـن في صـدق ادعـاءات المتطرفين الدينيين من خلال فضح جهلهم بالرسالة الأساسية الخيّرة التي تمثل جوهر التعـاليم الدينيـة عـلى اختلافها. وتستطيع الطوائف الدينية، وعلماء الدين، أداء دور هام أيضاً في بـرامج إعـادة تأهيـل الأشـخاص المتطرفين الذين يرتكبون جرائم العنـف وإعـادة إدمـاجهم في المجتمـع، وكـذلك المقـاتلين الأجانـب الـذين يرحّلون إلى بلدانهم الأصلية، وتشمل الأهداف المرجوة أيضاً تحييد محاولات التطرف المستقبلية المحتملة.

2-المبادرات المشتركة بين الأديان

تشتمل جهود التواصل في ما بين الأديان على إمكانات هائلـة للتغلـب عـلى العنـف الـذي يرتكـب باسم الدين. ويتضح من أمثلة عديدة أن العنف يحدث في كثـير مـن الأحيـان بـسبب عـدم وجـود اتـصال موثوق عبر الخطوط الفاصلة بين الأديان أو المذاهب، ونتيجة لما يؤدي إليه ذلـك مـن فـراغ عـلى مـستوى السلطة الإيديولوجية. وقد تتعدد أسباب انعدام التواصـل في مـا بـين الطوائـف الدينيـة أو تـدني مـستواه، وتتراوح بين الانقسامات الاجتماعية والسياسات الإقصائية الأشـمل وبـين تكفـير الآخـرين في ضـوء الفتـاوى الدينية الاستقطابية. ومهما كانت الأسباب التي تساق في أية حالة محددة، تـستطيع المبـادرات الراميـة إلى تحسين العلاقة بين الطوائف الدينية المختلفـة الإسـهام إلى حـد كبـير في منـع التـصعيد العنيـف. وخلـصت بحوث متعمقة في عدد من حالات العنف الطائفي إلى استنتاج مفاده أن أعمال العنف يمكن احتواؤها إلى حد ما في السياقات المحلية، إذا أرست الطوائف أسـس ثقافـة مـستدامة للتواصـل عـبر الخطـوط الفاصـلة بينها. ومن ثم يمكن لعمليات التواصل بين الطوائف، بالإضافة إلى ما بها مـن إمكانـات وقائيـة، أن تـساعد أيضاً في تهدئة الحالات التي يندلع فيها عنف فعلي على نطاق واسع.

ولكي يكون التواصل بين الأديان مثمراً، يتعين أن يلتقي الشركاء على قدم المساواة وأن يتاح دائماً مجال للتداول الهادف بعيداً عن المبادلات الخطابية البحتة. ومن شأن توسيع نطاق التمثيل، بحيث يشمل التوازن بين الجنسين ومشاركة أجيال مختلفة، أن يكفل إسهام أعداد كبيرة من السكان بفعالية في صياغة مثل هذه المبادرات، مما يعزز قابليتها للاستدامة. وهناك مجال كبير للتحسن في هذا الصدد، لأن تمثيل المرأة عادة ما يكون منخفضاً جداً في مبادرات الحوار بين الأديان، بما في ذلك تمثيل النساء المتخصصات في علم اللاهوت. ومن دواعي الأسى أن المرأة لا صوت لها في كثير من المشاريع. ويتعين أيضاً تعزيز دور المرأة في مجال الدفاع عن حقوق الإنسان، لأن مشاركتها ستقلل من الاتجاه الذكوري في تفسير الأديان، الذي يؤثر بشكل غير متناسب على حقوق النساء والفتيات والمثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية.

ومن شأن المشاريع التي تشتمل على عمليات تعاون بين الأديان أن تكون ذات آثار بعيدة المدى. وتشمل التطورات الإيجابية جداً التي طرأت مؤخراً تعزيز التعاون بين الأديان في مجال تقديم المساعدات للاجئين والمشردين داخلياً. وعلاوة على ما يوفره هذا التعاون من دعم للناس الذين يعيشون في ظروف قاسية، فهو يوجه رسالة أيضاً إلى المجتمع الدولي وإلى الطوائف، وهي في حاجة ماسة لما يبعث فيها الأمل، ويشكل ممارسة جيدة قد تلهم أطرافاً أخرى.

وقد أسفرت بعض المبادرات عن إنشاء مجالس رسمية مشتركة بين الأديان يلتقي من خلالها أتباع الديانات والمذاهب المختلف بشكل منتظم. وقد يفيد هذا في كفالة استدامة جهود التعاون على درء خطر التطرف العنيف. وتوجد في الوقت نفسه انعكاسات عديدة لمبادرات غير رسمية على مستوى القواعد الشعبية، تهدف إلى صون العلاقات الموثوقة. ومن المدهش حقاً أن جميع مبادرات التواصل اليومية عبر الخطوط الفاصلة بين الديانات قد تنشأ كذلك على المستوى المحلي في البلدان التي تمزقها قوى التطرف الديني والنزاعات العنيفة. ويمكن القول، من باب التورية، إنه حتى في الساحات

المجدبة التي يخلفها العنف الناجم عن جنون العظمة السياسي، يستطيع الناس إيجاد ظلال وريفة من الحس السليم، من خلال التواصل عبر الخطوط الفاصلة، وهي تستحق الإشادة والتشجيع والدعم السياسي دون شك.

وتستطيع الاتصالات بين الأديان وعمليات التعاون بين الطوائف أن تؤدي وظيفة أساسية في جميع الخطط الرامية إلى التغلب على العنف الذي يرتكب باسم الدين. وعلى الرغم من أن الناس الذين يجتمعون بانتظام عبر الخطوط الفاصلة بين الأديان والمذاهب قد لا يتفقون بالضرورة على جميع القضايا، فهم سيدركون أن أتباع الديانات والمذاهب الأخرى ليسوا "غرباء" ذوي عقليات أو مشاعر مغايرة تماماً. وهذه ممارسة مهمة وتمثل شرطاً مسبقاً للتغلب على الصور النمطية العدائية. وقد يشكل اكتشاف الاهتمامات والمخاوف والمصالح المشتركة أيضاً خطوة أولى تجاه وضع خطط عمل مشتركة تضيف بعداً استراتيجياً أكبر لعملية معالجة الأسباب الجذرية للعنف.

3-المجتمع المدني

تختلف منظمات المجتمع المدني عن الطوائف الدينية في أنها تركز وجودها في الغالب الأعم على الساحة "المدنية". ولا يجتمع الناس في منظمات المجتمع المدني بسبب قناعة أو ممارسة دينية مشتركة، أو من أجلها في المقام الأول، بل تجمعهم التزامات مشتركة تجاه معالجة القضايا المثيرة للاهتمام المشترك، بما في ذلك حقوق الإنسان. ولا ينفي هذا إمكانية أن ترى أعداد كبيرة من منظمات المجتمع المدني في نفسها تجمعات ذات أسس دينية في ذات الوقت.

ولا غنى عن الخبرة التي تكتسبها منظمات المجتمع المدني لتقييم حالة حقوق الإنسان، بما في ذلك حرية الدين أو المعتقد. ويشكّل إدراك الناس أن منظمات المجتمع المدني تراقب الأوضاع وتنبه السلطات المعنية والجمهور عند الضرورة، عامل اطمئنان لضحايا انتهاكات حقوق الإنسان والأشخاص الذين يعيشون في ظروف ترهيب مستمر. وتوفر هذه المنظمات المعلومات وتقدم المشورة والإرشاد والمساعدة، وتوفر الحماية في

بعض الأحيان، بوسائل تشمل متابعة الحالات الفردية. ويمكن أن تـشكل الاسـتنتاجات التـي تتوصـل إليهـا منظمات المجتمع المدني أداة إنذار مبكر أيضاً، وبخاصة في ظروف عدم الاستقرار.

وعلاوة على ذلك، يؤدي المجتمع المدني دوراً رئيسياً في التغلب على ثقافة الصمت في وجه العدوان العنيف حيثما وجدت. ومن المهم أن يتولد لدى الأفراد والفئات المستهدفة من قبل عناصر التحـريض عـلى الكراهية الدينية والاعتداءات العنيفة الإحساس بوجود دعم وتضامن، وبأن أشخاص آخرين يتحـدثون نيابـة عنهم. ومن الضروري كذلك التغلب على ثقافة الصمت بغرض الطعن في ادعاء مرتكبي أعمال الكراهية أنهـم يتصرفون باسم "الأغلبية الصامتة". وقد يكون التحـدث علنـاً ضـد هـذا العنـف، وضـد الأبعـاد الـسياسية أو الدينية الأوسع التي تنطوي عليها هذه المشاكل، محفوفـاً بـالخطر. ولـذلك قـد تحتـاج مـنظمات المجتمـع المدني المحلية إلى وجود شبكات دولية من أجل الدفاع عنها في حالة تعرضها للتهديد.

وتتضامن بعض منظمات المجتمع المدني الدينية والعلمانية المختلفة في العمل، وقـد أسـست منـبراً مشتركاً فيما بينها. وتتجاوز منافع هذا التعاون المزايا العمليـة لتوحيـد القـوى، إذ يوضـح أيـضاً أن الالتـزام بحقوق الإنسان يؤدي إلى التضامن ويعززه في ما بين الجماعات الدينية والثقافية والفلسفية على اختلافهـا. وهذه رسالة مهمة في حد ذاتها. وقد مرَّت على المقرر الخاص أمثلة رائعة في هذا الصدد، منها، عـلى سـبيل المثال، مبادرات اتخذتها بعض منظمات المجتمع المدني المسيحية لدعم جماعات من الملحـدين أو البـوذيين في وجه التهديدات، وتأييد التصريحات العلنية التي يدلى بها ممثلو طائفة البهائيين ضد الاضطهاد من قبـل المسلمين الشيعة. وهي أعمال تضامن ذات قيمة رمزية عالية.

4-مساهمات وسائط الإعلام

مع أن وسائط الإعـلام، بمـا فيهـا الإنترنـت، تـستخدم في كثـير مـن الأحيـان لإذكـاء الأعمال العدائية في ما بين الفئات المتناحرة، من خلال نشر معلومات كاذبة أو منحازة أو

ذات طبيعة حزبية، ورسائل كراهية تحرض على العنف، فهي قابلة أيضاً لأن تسخَّر لتعزيز الاتصال عبر الخطوط الفاصلة بين تلك الفئات، ولتشجيع سياسات التسامح والمصالحة والتعاون. وباختصار، تشكل وسائط الإعلام جزءاً من المشكلة، لكن يجب أيضاً وبلا شك أن تكون جزءاً من الحل.

وقد تترتب على الحملات الإعلامية العدائية آثار كارثية على عقلية الناس وتؤدي في الأجل الطويل إلى تقويض الحس السليم لديهم، وإلى نشوء جو من الفوضى والهستيريا الجماعية. ويتمثل الترياق الناجع في مواجهة الحملات الإعلامية العدائية التي تستهدف الأقليات الدينية أو غيرها من الفئات الأخرى في البحث الدؤوب عن الحقائق.

ويجوز أن تشمل عمليات تقصي الحقائق إجراء تحليلات عامة للصدمات الجماعية التاريخية. ويتطلب التواصل المجدي عبر الخطوط الفاصلة إمكانية أن يتفق الناس - أو إمكانية أن تتفق آراؤهم جزئياً على الأقل - على الحقائق الهامة المتعلقة بالموروثات التاريخية الشديدة التعقيد. وليس من قبيل المصادفة أن تتضمن أسماء لجان المصالحة عادة ما يوحي بالتطلع إلى إيجاد "الحقائق" أيضاً (يطلق عليها عادة اسم "لجنة تقصي الحقائق والمصالحة")، نظراً إلى أنه لا بد من الاتفاق على الأقل على بعض الحقائق التاريخية الأولية كأساس تستند إليه الطوائف في معالجة الصدمات التاريخية الموروثة التي من شأنها أن تحيل المجتمعات إلى أشلاء ممزقة إن لم تحل. ولا يمكن القضاء على "أشباح الماضي" سوى من خلال المناقشات العامة التي ترتكز إلى تقصي الحقائق بحرص شديد. وتبرز هنا أيضاً أهمية الخطاب العام الذي ييسره وجود بيئة مواتية تزخر بوسائط إعلام مستقلة وناقدة.

وتؤدي وسائط الإعلام دوراً لا غنى عنه في ترسيخ أسس ثقافة الخطاب العام. ودرجت العادة على أن تشكل البيئة التي لا تزدهر أو تنعدم فيها هذه الثقافة أرضاً خصبة لنمو خطاب التحامل ضد الفئات التي تواجه التمييز بشكل منهجي، لأن الشائعات العدائية لا تواجه بأدلة واقعية داحضة، ويقل أو ينعدم طرح الروايات المخيفة للتمحيص العلني، أو مواجهتها بروايات مضادة. ومن الشروط الإيجابية وجود ثقافة عصرية من

الاتصالات والعلاقات العامة المفتوحة والصريحة عبر الخطوط الفاصلة، بوصفها عاملاً ضرورياً لمنع تصاعد مشاعر الاستياء والحد من توقعات نشوء مؤامرة مكتملة العناصر.

وعلاوة على ذلك، من الضروري أن تتغلب وسائط الإعلام على ثقافة الصمت في وجه ارتكاب العنف باسم الدين، حيثما وجدت. ويتعين على ممثلي وسائط الإعلام تناول أحداث العنف والأسباب والظروف السياسية الكامنة وراءها بشكل علني، بالتعاون مع منظمات المجتمع المدني. ونظراً إلى أن ثقافة الإفلات من العقاب وثقافة الصمت تتلازمان في كثير من الأحيان، فقد يشكل وضع حد لهذا الصمت الخطوة الأولى تجاه معالجة مشكلة الإفلات من العقاب. ويحتاج الصحفيون والعاملون الآخرون في وسائط الإعلام، الذين يشتغلون في بيئات خطرة، إلى شبكات للدفاع عنهم في مواجهة التهديد بالعنف.

وعلاوة على ذلك، تشهد بعض مشاريع إعلامية بارزة على الإمكانات الإيجابية الهائلة التي تملكها وسائط الإعلام في مجال تيسير التفاهم عبر الخطوط الفاصلة. ويجوز أن يشمل هذا العمل أيضاً إنتاج أعمال درامية تهدف إلى التغلب على الانقسامات المجتمعية. وربما تساعد المبادرات الإعلامية الإيجابية على استعادة خاصية التعاطف، وبخاصة في أعقاب تجارب العنف الجماعي الصادمة، من خلال توعية الجمهور بأن أتباع الديانات أو المعتقدات الأخرى بعيدون كل البعد عن أن يكونوا "غرباء"، بل لديهم في الواقع مخاوف وآمال ومشاعر مماثلة تماماً. ويصعب بصفة عامة تصوير التأثير المحتمل لعمل وسائط الإعلام عبر الخطوط الفاصلة بين الديانات أو غيرها بشكل مبالغ فيه.

ولا يمكن أن تزدهر حرية الدين أو المعتقد في غياب حرية التعبير وحقوق الإنسان، على النحو المنصوص عليه بصيغ متقاربة ومتآزرة في المادتين 18 و19 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية. ولا تختلف حرية التعبير عن غيرها من غالبية حقوق الإنسان الأخرى، في أنها ليست بلا حدود بشكل مطلق، وأنه قد تنشأ حالات يتعين أن تفرض الدول فيها قيوداً، مثل الحالات التي تستدعي حماية

الأقليات المستهدفة ضد خطاب الكراهية الدينية الذي يـشكل تحريـضاً عـلى التمييـز أو الأعـمال العدائيـة أو العنف. بيد أنه يتعين توخي الحرص على النحو الواجب من النـاحيتين التقديريـة والمعياريـة عنـد فـرض أيـة قيود على حرية التعبير، مع أخذ القيمة العالية لحرية الاتصالات، ودور وسائط الإعـلام الـذي لا غنـى عنـه في تيسير المناقشات العامة، في الاعتبار. ويجب أن تستوفي القيود جميع الشروط المنصوص عليها في الفقرة 3 مـن المادة 19 من العهد الدولي، التي ذكرتها أيضاً لجنة حقـوق الإنـسان في تعليقهـا العـام رقـم 34. وعـلاوة عـلى ذلك، وضعت خطة عمل الرباط أيضاً عتبة عالية لأية قيود قد تفرض على حرية التعبـير، بمـا في ذلـك تطبيـق الفقرة 2 من المادة 20 من العهد الدولي.

ولا شك في أن أفضل علاج لخطاب الكراهية هو منح "مزيد من حرية التعبـير"، بمعنـى أن تتحـرى تقارير وسائط الإعلام الدقة وتبرز التفاصيل، وأن تمارس الهيئات المعنية الرقابة الذاتية، وأن تمثَّـل الأقليـات الدينية وغير الدينية بشكل متكافئ في وسائط الإعلام، وأن تراعى الدقة في تقصي الحقائق من أجـل تبديـد الأساطير ودحض الشائعات المغرضة، وأن تدلي منظمات المجتمع المدني ببيانات علنيـة، وأن تنـشأ اتـصالات قابلة للاستدامة بين الطوائف الدينية التي يتعين عليها أن تبث رسـائل صريحـة ضـد العنـف، وذلـك وفقـاً للوصف التفصيلي الوارد أعلاه.

لا "يندلع" العنف الذي يرتكب باسم الدين على غرار اندلاع الكوارث الطبيعية، ولا ينبغي أن يساء فهمه باعتباره نتيجة حتمية لأعمال عدائية طائفية يفترض أنها نشأت منذ قرون أو عدة آلاف من الـسنين، وعلى أنه بذلك يبدو خارج نطـاق المـسؤولية التـي تتحملهـا الأطـراف الفاعلـة المعـاصرة. ومـن الـضروري التغلب على نزعة الاستسلام للقدر، التي غالباً ما تنبع من تبسيط وصف مظـاهر ذلـك العنـف. وخلافـاً لمـا يبدو من أن العنف الذي يرتكب باسم الدين ذو جذور متأصلة في عداوات دينية "أزلية"، ويقع هـذا العنـف عادة لأسباب تعود إلى عوامل وأطراف فاعلة معاصرة، تشمل الظروف السياسية التي تشكل تربة خصبة لنمو بذور الكراهية.

وبينما سيكون من الخطأ التركيز على الدين بمعزل عن العناصر الأخرى عند تحليل المشكلة، سيكون تبسيط الدوافع الدينية لتصبح مجرد "أعذار" لجرائم العنف التي ترتكب باسمها على ذات القدر من الخطأ. وما تحتاجه المسألة هو فهم شامل لمختلف العوامل التي تدخل في أعمال العنف التي ترتكب باسم الدين. وتشمل العوامل النموذجية انعدام الثقة في سيادة القانون وفي أن تؤدي المؤسسات العامة مهامها بصورة مقبولة؛ والفتاوى الاستقطابية ذات الأفق الضيق بشأن تفسير التعاليم الدينية، التي يمكن أن تسفر عن عمليات تجزئة مجتمعية تترتب عليها عواقب وخيمة تنعكس على العلاقات الاجتماعية في الأجل الطويل؛ وسياسات الإقصاء المتعمد، التي تتزامن في كثير من الأحيان مع سياسات ذات منظور ضيق لتحديد الهوية الوطنية، ومع غير ذلك من العوامل السلبية الأخرى؛ والإنكار والإفلات من العقاب على الانتهاكات الخطيرة للقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الإنساني.

ولن يتسنى بناء الوعي بالمسؤولية المشتركة التي تحملها طائفة واسعة من الجهات الفاعلة تجاه مكافحة العنف الذي يرتكب باسم الدين، ما لم تسرد القائمة الكاملة للأسباب الجذرية المختلفة للمشكلة. ويستند المقرر الخاص إلى هذه المعلومة الأساسية في صياغة التوصيات الواردة أدناه الموجهة إلى الأطراف المعنية المختلفة.

ألف- توصيات موجهة إلى جميع الأطراف المعنية ذات الصلة

يتعين أن يعرب ممثلو الحكومات والطوائف الدينية ومنظمات المجتمع المدني ووسائط الإعلام والجهات المعنية الأخرى ذات الصلة عن رفض ارتكاب أية أعمال عنف باسم الدين وأن يفصحوا على الفور وبشكل صريح وصوت عال عن مناهضتهم لها ولعمليات التحريض ذات الصلة بالعنف والتمييز في القانون والممارسة، كي يتسنى التغلب على ثقافة الصمت التي توجد في بعض البلدان. ويتعين عليهم التصرف بسرعة وبشكل متسق لردع هذا العنف ووقفه.

يجب أن تستند بيانات الإدانة العلنية للعنف الذي يرتكب باسم الدين إلى تحليلات متعددة ومناسبة للمشكلة، بما في ذلك تحليل الأسباب الجذرية الشاملة الكامنة وراءها.

يجب أن تتعاون الأطراف المعنية المختلفة في تقديم مساهماتها تجاه احتواء العنف الذي يرتكب باسم الدين والقضاء عليه في نهاية المطاف، وأن تستفيد في ذلك بطريقة خلاقة من قدراتها وإمكاناتها الذاتية. ويتعين عليها أيضاً أن تتعاون على تحييد أية محاولات تطرف ممكنة تهدف إلى تجنيد المقاتلين الأجانب الذين يعودون إلى بلدانهم الأصلية.

باء-توصيات موجهة إلى المؤسسات الحكومية المختلفة

تتحمل الدول المسؤولية عن حماية سكانها من الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والتطهير العرقي والجرائم التي ترتكب ضد الإنسانية، ومن عمليات التحريض كذلك، سواء كانوا من رعاياها أو رعايا بلدان أخرى.

من واجب الدول أن تتصرف بسرعة لوقف أعمال العنف التي ترتكب باسم الدين ضد الأفراد والجماعات وأماكن العبادة. ويجب أن يكون التغلب على ثقافة الإفلات من العقاب من الأوليات، حيثما وجدت. ويجب تقديم الذين يرتكبون أعمال العنف أو يتواطؤون على ارتكابها إلى العدالة.

يتعين على الدول أن تحافظ على الذاكرة المؤسسية لجميع فئات السكان، والذاكرة المؤسسية للطوائف الدينية على وجه الخصوص، بوسائل تشمل تطوير دوائر المحفوظات والمتاحف والمعالم التذكارية الوطنية وحمايتها.

يجب على الدول احترام حرية الدين أو المعتقد وجميع حقوق الإنسان الأخرى عند اتخاذ إجراءات لاحتواء العنف الذي يرتكب باسم الدين ومكافحته.

يجب إلغاء التشريعات التي تجعل وجود بعض الطوائف الدينية "غير شرعي" في أي بلد.

يتعين أن تلغي الدول قوانين مكافحة التجديف وقوانين مكافحة تغيير الدين وأية أحكام تمييزية أخرى في القوانين الجنائية، بما في ذلك الأحكام القائمة على التشريعات الدينية.

ينبغي أن تقدم الدول بيانات مفصلة عن أعمال العنف التي ترتكب في نطاق ولايتها القانونية، بما في ذلك ما يتعلق منها بالدوافع الدينية المحتملة.

يتعين على الدول، كي تؤدي دور الكفيل ذي المصداقية لحرية الدين أو المعتقد للجميع، ألاّ ترتبط بإحدى الديانات أو أحد المعتقدات بشكل حصري على حساب كفالة المساواة في المعاملة لأتباع الديانات الأخرى. ويتعين الاستعاضة عن أية تدابير إقصائية بإطار مؤسسي شامل للجميع، يتيح إمكانية التعبير عن التعددية الدينية دون تمييز وبلا خوف.

ينبغي أن تكفل قوانين مكافحة التمييز مساواة الجميع في التمتع بحقوق الإنسان عبر الخطوط الفاصلة بين الطوائف الدينية أو المذهبية، وتمنع بذلك الانقسام في أوساط المجتمع أو تتغلب عليه. وينبغي أن تتخذ الدول على وجه الخصوص خطوات لكفالة حماية حقوق جميع السكان على نحو يجعلهم يشعرون بالأمان في إطار دياناتهم أو معتقداتهم.

ينبغي أن تطور الدول، بالتشاور الوثيق مع جميع الأطراف المعنية ذات الصلة، خطط عمل وطنية بشأن كيفية منع العنف الذي يرتكب باسم الدين، ومنع الأشكال الأخرى للاضطهاد الديني الذي تمارسه الأجهزة الرسمية أو الأطراف الفاعلة غير الرسمية.

يجب ألّا تحتوي الكتب الدراسية المستخدمة في مؤسسات التعليم على صور نمطية وتحاملات قد تبعث على التمييز أو تؤجج المشاعر العدائية تجاه أية فئة، بما في ذلك التمييز والمشاعر العدائية تجاه أتباع ديانات أو معتقدات معينة.

يتعين على الدول استخدام جميع الوسائل المتاحة، بما في ذلك عمليات التثقيف والتوعية المجتمعية، من أجل تعزيز نشوء ثقافة من الاحترام المتبادل وعدم التمييز وتقدير التعددية داخل المجتمع الأوسع.

يشجع المقرر الخاص المؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان على امتلاك ناصية تنفيذ خطة عمل الرباط بشأن حظر الدعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية التي تشكل تحريضاً على التمييز أو الأعمال العدائية أو العنف، من أجل وضع استراتيجيات تهدف إلى القضاء على الأسباب الجذرية للعنف الذي يرتكب باسم الدين.

يجب أن تمتنع الدول عن إذكاء التطرف الديني العنيف في بلدان أخرى.

جيم- توصيات موجهة إلى الطوائف الدينية

يجب على أفراد الطوائف الدينية وزعمائها، عند معالجة مسألة أي عنف يرتكب باسم دينهم، أن يأخذوا بالجدية اللازمة، ضمن الأشياء الأخرى، الدوافع الدينية التي تنبع في كثير من الأحيان عن الفتاوى الاستقطابية ذات الأفق الضيق، وكذلك الطبيعة الذكورية الاستعلائية للتعاليم الدينية.

يتعين، في الحالات التي يشكل فيها الإفصاح العلني عن آراء ضد العنف خطورة على المتحدثين، أن يرفع رفاقهم من الأشخاص المتدينين الذين يعيشون في بيئات سياسية أكثر أماناً أصواتهم نيابة عنهم ويعربوا بشكل صريح عن إدانتهم للعنف الذي يرتكب باسم دينهم.

يتعين على الطوائف الدينية وزعمائها تشجيع روح التعاطف والاحترام وعدم التمييز وتقدير التعددية. ويجب عليهم الطعن في صدق ادعاءات المتطرفين الدينيين من خلال فضح جهلهم بالرسالة الأساسية الخيّرة التي تمثل جوهر التعاليم الدينية على اختلافها. ويتعين عليهم بالإضافة إلى ذلك، تبادل قناعاتهم بشأن أهمية احترام حقوق الآخرين، والإسهام بذلك في تعزيز الإحساس باحترام حقوق الجميع.

يتعين على الطوائف الدينية أن تتشجع على إطلاق مبادرات للتواصل والتعاون بين الأديان، بما في ذلك إنشاء مجالس مشتركة بين الأديان، وعليها أن تدرك أن توسيع نطاق التمثيل، بحيث يشمل التوازن بين الجنسين ومشاركة أجيال مختلفة، يكفل إسهام أعداد كبيرة من السكان بفعالية في صياغة مثل هذه المبادرات.

دال- توصيات موجهة إلى منظمات المجتمع المدني

ينبغي أن تواصل منظمات المجتمع المدني جمع المعلومات عن حالة حقوق الإنسان وتوفير الدعم للأشخاص الذين يعيشون في ظروف من الترهيب من خلال متابعة قضاياهم.

ينبغي تعزيز الانتظام في استخدام الاستنتاجات التي تتوصل إليها منظمات المجتمع المدني بمثابة جهاز إنذار مبكر، وبخاصة في حالات عدم الاستقرار.

يتعين أن يواصل المجتمع المدني أداء دور فعال في التغلب على ثقافة الصمت في وجه العنف الذي ترتكب باسم الدين، ويوجه بذلك رسالة تضامن إلى الأفراد والفئات المستهدفة.

يتعين أن تتضامن منظمات المجتمع المدني الدينية والعلمانية في العمل، بوسائل تشمل تأسيس منابر مشتركة، وتوضح بذلك أن الالتزام بحقوق الإنسان يمكن أن يؤدي إلى نشوء التضامن عبر جميع الخطوط الفاصلة بين الكيانات الدينية والثقافية والفلسفية.

يستحق المدافعون عن حقوق الإنسان في بيئات خطيرة الاهتمام والدعم بشكل خاص، عن طريق شبكات مختصة بالدفاع عن المدافعين.

هاء- توصيات موجهة إلى وسائط الإعلام

ينبغي أن يدافع ممثلو وسائط الإعلام عن استقلالهم وأدائهم المهني ونزاهتهم وأن يعالجوا أحداث العنف وأسبابها الجذرية المختلفة والظروف السياسية التي تقع فيها، في تعاون وثيق مع منظمات المجتمع المدني.

يجب أن تساعد وسائط الإعلام على نشوء ثقافة الخطاب العام، الذي يعد شرطاً مسبقاً لوقف الشائعات العدائية والروايات المخيفة، التي يتعين الكشف عنها للجمهور من أجل تمحيصها، أو مواجهتها بروايات مضادة، بغرض منع تصعيدها إلى مستوى المؤامرة ذات العناصر المكتملة.

تمثل عمليات تقصي الحقائق الدقيقة الترياق الناجع ضد الحملات الإعلامية السلبية التي تستهدف الأقليات الدينية أو الفئات الأخرى. ويجوز أن تشمل عمليات تقصي الحقائق أيضاً إجراء تحليلات عامة للصدمات التاريخية الجماعية.

تستطيع وسائط الإعلام المساعدة في استرجاع خاصية التعاطف من خلال توعية الجمهور بأن أتباع الديانات أو المعتقدات الأخرى بعيدون كل البعد عن أن يكونوا "غرباء"، بل لديهم في الواقع مخاوف وآمال ومشاعر مماثلة تماماً.

واو-توصيات موجهة إلى المجتمع الدولي

يوجه المقرر الخاص انتباه المجتمع الدولي إلى واجبه تجاه المساعدة على بناء قدرات الدول في مجال الوفاء بالتزاماتها المتعلقة بمسؤوليتها عن حماية سكانها من الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والتطهير العرقي والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية، على نحو ما ورد في الوثيقة الختامية لمؤتمر القمة العالمي لعام 2005.

يشجع المقرر الخاص آليات حقوق الإنسان، بما في ذلك الإجراءات الخاصة وهيئات المعاهدات وعملية الاستعراض الدوري الشامل، على معالجة قضية العنف الذي يرتكب باسم الدين، وبحث مسألة تورط الدول في أعمال العنف المذكورة.

يجب أن يحاسب المجتمع الدولي الدول والجماعات المسلحة غير الرسمية في هذا الشأن، وأن يذكّرها بالتزاماتها القائمة بموجب القوانين الدولية، بما في ذلك قانون حقوق الإنسان والقانون الإنساني والقانون الجنائي وقانون اللاجئين.

الفصل الثامن

التعلم الإلكتروني ومجتمع المعرفة

الفصل الثامن

التعلم الإلكتروني ومجتمع المعرفة

لو أمعنا النظر في نجاح بناء مجتمعات واقتصاد وثقافة المعرفة في بلدان من مثل اليابان وكوريا الجنوبية وماليزيا وتايوان لوجدنا أن مايميز تلك النجاحات الإرادة السياسية المصممة لدى سلطات الحكم في تلك الدول والاستجابة المجتمعية الحماسية المتعاونة مع تلك الإرادة.

إن بناء مجتمع المعرفة يتطلب ثلاثة أنشطة: إنتاج المعرفة ونشرها والتعامل معها في حل قضايا المجتمع. أما إنتاج المعرفة، فإنه عادة يتم في الجامعات وفي مراكز البحوث. فإذا بخلت الدولة على أماكن الإنتاج، كما هي الحال بالنسبة للدولة العربية، حيث إن ما يصرف على البحث أقل من العشر الذي تصرفه الكثير من الدول المتقدمة، فإن بناء مجتمع المعرفة يصبح شبه مستحيل. وإذا قمعت حرية البحث من قبل بعض قوى المجتمع، تارة باسم الدين وتارة أخرى باسم العادات والتقاليد وغيرها، فإن إنتاج المعرفة يتعثر ويتشوه.

ولكي يزدهر إنتاج المعرفة يحتاج إلى أن تستعمل نتائجه من قبل مختلف مؤسسات المجتمع وبخاصة المؤسسات الاقتصادية، وألا تنقلب عملية البحث إلى ترف عبثي لا يسهم في عملية التنمية، وتوضع النتائج في الأدراج وعلى الرفوف. إن استعمال المعرفة في حل قضايا المجتمع هو وحده الكفيل بالدفع إلى المزيد من إنتاج المعرفة، وهذا لا يحدث في الأرض العربية التي تفضل حكوماتها ومؤسسات قطاعها الخاص أن تستورد الحلول الجاهزة من الخارج لعدم ثقتها في مؤسساتها البحثية العربية.

لكن المعرفة ليست فقط نتيجة للبحوث، إنها أيضاً نتيجة لعمليات ذهنية يقوم بها الفرد لجعل المعلومات التي يقرأ عنها أو يسمع بها، معارف وهذه العمليات الذهنية يجب

أن تعلم لكل المواطنين منذ طفولتهم سواء في المدرسة أم خارجها. فأفراد مجتمع المعرفة يجب أن يعرفوا كيف يصنفون المعلومات ويربطون في ما بينها ويحللونها، وينقدونها ويركبونها من جديد حتى تصبح تلك المعلومات معرفة يمكن الاستفادة منها في حل مشاكل الفرد الحياتية اليومية وفي بناء علاقات صحية مع الآخرين. وهذه القدرة على قلب المعلومات المتناثرة غير المترابطة إلى معرفة متماسكة لا يمكن أن تبنى بأساليب التعليم التلقيني الذي تمارسه أغلب المدارس العربية، وإنما تحتاج إلى تعليم يستعمل أساليب حل المسائل التي تحتاج إلى ممارسة التحليل والنقد والإبداع والعقلانية الصارمة.

متطلبات مجتمع المعرفة

يتطلب مجتمع المعرفة بنية تحتية تضم ما يلي:

1.بنية تحتية مادية: مثل قاعات الاجتماعات ولوحات المناقشة

2.بنية تحتية تكنولوجية: مثل تقنيات تقاسم المعلومات والقوائم البريدية الإلكترونية، والبوابات السيبرانية (القائمة على الإنترنت)، وصفحات الويكي، وحجرات المحادثة وعقد المؤتمرات المرئية والاجتماعات التخيلية الافتراضية، وبيئات التطوير من خلال التعاون، والتعلم عن بعد.

3.الإرادة السياسية: من دون إرادة سياسية صادقة وعنيدة من قبل الدول العربية، ومن دون مجتمع يثق بصدق تلك الإرادة ويتفاعل معها، فإن الحديث عن بناء مجتمع المعرفة العربي يصبح حلماً لا يرتبط بالواقع.(مجتمع المعرفة هو مجموعة من الناس ذوي الاهتمامات المتقاربة، الذين يحاولون الاستفادة من تجميع معرفتهم سويا بشأن المجالات التي يهتمون بها، وخلال هذه العملية يضيفون المزيد إلى هذه المعرفة، وهكذا فإن المعرفة هي الناتج العقلي والمجدي لعمليات الإدراك والتعلم والتفكير.ويُستخدم هذا المصطلح كثيرا لدى السياسيين وصانعي السياسات والعلماء المهتمين بالدراسات

أولاً ـ مؤسسات نشر المعرفة (الإعلام والتعليم):

تواجه عمليات نشر المعرفة في البلدان العربية صعوبات عديدة من أهمها قلة الإمكانات المتاحة للأفراد والمؤسسات، والتضييق على حريات أنشطتها خصوصاً في مجال الإعلام. ومع ذلك فقد حقق العالم العربي إنجازات كمية وكيفية ملموسة خلال النصف الثاني من القرن العشرين ومطلع القرن الجديد. فقد ارتفع عدد المسجلين في مراحل التعليم الثلاث من (5) ملايين تلميذ إلى أكثر من 65 مليوناً. وازداد عدد الجامعات. وقطعت العديد من الدول العربية أشواطاً مهمة في ميدان مكافحة الأمية. لكن وبالمتوسط العام ما يزال التعليم العربي يعاني من مجموعة كبيرة من المشكلات. فكمياً لم يتم استيعاب كل الأطفال العرب في التعليم الأساسي، مما يعني استمرار تفشي الأمية خصوصاً بين الإناث، كما أن نسبة من ينتقلون إلى المراحل التعليمية الأعلى ما زالت منخفضة في الشرائح العمرية الموازية بالمقارنة مع بعض البلدان حتى النامية منها، كما وبالمقارنة مع احتياجات التنمية.

أما على مستوى نوعية التعليم العربي فما زال يعاني من تدني نوعيته ومن ضعف العلاقة التي تربطه بسوق العمل، الأمر الذي يقوّض واحداً من الأهداف الأساسية للتنمية البشرية المستدامة وهو الارتقاء بنوعية حياة البشر وتعظيم قدرات الناس.ومن المعروف أن العتبة الدنيا الضرورية للحاق بمجتمع المعرفة والمعلومات تقضي التخلص من الأمية الأبجدية وتخفيض الأمية التكنولوجية إلى مستوى 20% على الأقل من مجمل السكان وهذا يتطلب إعادة النظر نقدياً في المكونات الرئيسة لنظام التعليم.

ثانياً: مؤسسات إنتاج المعرفة (البحث العلمي):

تعتبر مؤسسات نشر المعرفة العربية، رغم كل صعوباتها، في وضعية أفضل بكثير من مؤسسات إنتاج المعرفة وخاصة في مجال البحث العلمي.

والصعوبة الثانية التي تواجه البحث العلمي هي انخفاض معدلات الإنفاق على البحث والتطوير بشكل لافت رغم كل الأموال العربية المقيمة والمهاجرة. إذ لا يتجاوز الإنفاق على البحث العلمي 2% من إجمالي الدخل المحلي يصرف في غالبيته رواتب، بينما تنفق السويد 3.02% وناتجها المحلي الإجمالي تليها اليابان بنسبة 2.84% والولايات المتحدة الأمريكية 2.68%. واللافت أن نسبة ضخمة من الإنفاق على البحث العلمي والتطوير في البلدان المتقدمة تأتي من قطاع الأعمال والشركات الكبرى وهي على التوالي 72% في أمريكا و66% في اليابان وألمانيا و65% في إنكلترا و62% في فرنسا.ويكفي أن نعلم أن حجم ما تنفقه الولايات المتحدة منذ عام 1997 على البحث العلمي يصل إلى 179.126 مليار دولار مقابل 133021 مليار دولار لليابان إلى 55.003 مليار لألمانيا وصولاً إلى 3.425 للصين.

ثالثاً: تغير طبيعة العمل والوظيفة

تغيرت طبيعة الوظيفة والعمل عما كان عليه الحال في عصر الصناعة. فبعد أن كانت الحالة تتطلب انتقال طالب الخدمة إلى مؤدي الخدمة في مكتبه أو معمله أو جامعته أو عيادته، غدا بالإمكان الحصول على الخدمات من خلال عالم أساسه ((اتصل ولا تنتقل))، فالجامعة الافتراضية والعيادة التي تقدم الاستشارات والعلاج عن بعد، والتجارة الإلكترونية، والعمل في المنزل، غيرت المفهوم التقليدي للعمل والوظيفة. فالمنافسة العالمية في أداء الأعمال عن بعد تضمن أن تكون هذه الأعمال على أعلى مستوى من الجودة والكفاءة.

رابعاً: طبيعة النظم التعليمية

وتتمثل في الآتي:

- أساليب التعليم المرتبطة بأطر وأنظمة يجب الالتزام بها من جانب المعلمين والهيئات التعليمية الأخرى.

- عدم وجود روابط بين المناهج وتكنولوجيا المعلومات الحديثة.)

خامساً:حاجز اللغة أو صعوبتها

فنظرا لأن معظم المعلومات والأبحاث المتوافرة على الشبكة هي باللغة الإنجليزية، لذا فإن الاستفادة الكاملة ستكون من نصيب من يتقن هذه اللغة وهم قلة على مستوى الهيئات التدريسية والطلبة في المدارس والمعاهد والمراكز والجامعات العربية؛ ولذلك لابد من مراعاة بناء قواعد بيانات باللغة العربية، لكي يتسنى للباحثين الاستفادة من خدمات الشبكة في التعليم.)

سادساً: الحواجز النفسية من جانب المعلمين والطلبة

(حيث يفضل الكثير من المعلمين والطلبة الأساليب التقليدية القديمة في التعلم والتعليم،بسبب تعودهم عليها وإحساسهم بصعوبة التغيير، أو أن هذا التغيير سيؤدي إلى مشكلات إضافية بالنسبة لهم، بالإضافة إلى اعتقادهم أن الاستعانة بالإنترنت يزيد من الأعباء الملقاة على عاتق كل واحد منهم كما أن الإنسان بطبيعته لا يحب تغيير ما اعتاد عليه، بل يقاوم ذلك بأساليب مختلفة.)

ومن الضروري تفهم الأسباب التي تؤدي إلى تلك(المقاومة الرافضة) ومنها العوامل النفسية والخوف من التكنولوجيا(Techno phobia) وخاصة عند المعلمين أصحاب الاتجاهات السلبية نحو الحداثة بسبب المشكلات الفنية ومشكلات التأهيل تبعد المعلمين والطلبة عن استخدام التكنولوجيا.

تدلل المؤشرات السابقة على حجم الصعوبات والمشكلات التي تواجه مؤسسات ومراكز إنتاج المعرفة في البلدان العربية. فضعف الدعم المؤسسي وعدم توفر البيئة المناسبة لتنمية العلم وتشجيعه وانخفاض أعداد المؤهلين للعمل في الحقول العلمية المتقدمة مثل تقانة المعلومات والتقانات الحيوية والذكاء الصناعي، إضافة إلى عوامل الجذب الموجودة في البلدان المتقدمة وما يقابلها من عوامل طرد ونبذ في بلداننا وما تسببه من هجرة

للعقول والأدمغة العربية، تجعل من الصعب الحديث عن مستقبل واعد لإنتاج المعرفة رغم ما نملكه من رأس مال بشري مهم.

مستقبل التعلم في ظل مجتمع المعرفة

ومن أجل حال أفضل للتعلم والمعرفة يجب الاهتمام بالاتي:

1. الاستفادة من العقول التي تشكل أساساً صلباً لقيام نهضة معرفية مأمولة في المجتمع العربي تعدُّ سلاحه الأقوى في مواجهة تحديات الألفية الجديدة.

2. ومن المعروف أن العتبة الدنيا الضرورية للحاق بمجتمع المعرفة والمعلومات تقضي التخلص من الأمية الأبجدية وتخفيض الأمية التكنولوجية إلى مستوى 20% على الأقل من مجمل السكان وهذا يتطلب إعادة النظر نقدياً في المكونات الرئيسة لنظام التعليم، أي السياسات التعليمية وأعضاء هيئة التدريس والمعلمين، فضلاً عن تحسين شروط عمل هؤلاء ومراجعة المناهج الدراسية والمقررات الدراسية وصولاً إلى منهجيات التعليم. وهذا يشمل مدخلات العملية التعليمية التي ستؤثر بصورة مباشرة على مخرجات التعليم ونوعيته.

3. إقناع النخب السياسية العربية وراسمي السياسات التنموية بأن الاستثمار في مناجم العقول هو الاستثمار الأمثل والأكثر جدوى وفاعلية وديمومة، الأمر الذي يتطلب تحولاً جذرياً في الإنفاق على الميكانزمات التنموية الأساسية وخصوصاً التعليم والبحث العلمي، فإن الأمل ضعيف في دخول مجتمع المعرفة من باب المشاركة والإسهام الفاعل في العصر. وسينحصر موقعنا في أحسن الأحوال في استهلاك منتجات العلم والتقنية دون التمكن من المشاركة في إنتاجها.

4. ويُبين كتاب صدر عن جامعة الملك سعود بعنوان "منظومة مُجتمع المعرفة ضرورة تفاعل النشاطات المعرفية في إطار دورة مُتكاملة يرتبط فيها التعليم بالبحث

العلمي، ويرتبط الاثنان معاً أيضاً بتوظيف المعرفة وتحقيق التطوير والتنمية. ويدعو الكتاب إلى تفعيل النشاطات المعرفية ضمن دورة المعرفة، وينظر إلى هذا التفعيل من خلال خمسة محاور رئيسة. يرتبط أول هذه المحاور بوجود "استراتيجية مُشتركة" للنشاطات المعرفية. ويُركز المحور الثاني على "التقنية"، بما يتضمن وضع أولويات يجب الاهتمام بها لتعزيز تقديم مُنتجات وخدمات جديدة ومفيدة وناجحة. أما المحور الثالث فيهتم "بالمؤسسات" وأدوارها في تفعيل دورة المعرفة، وعلى رأسها مؤسسات التعليم العالي. ويتطرق المحور الرابع إلى "الإنسان" عماد العمل المعرفي. ويوضح المحور الخامس دور "البيئة" المعرفية السليمة في الإسهام بتفعيل دورة المعرفة والاستفادة منها.وعلى أساس ما سبق، يُقدم الكتاب منظومة مُجتمع المعرفة على أنها دورة النشاطات المعرفية، بشكلها المُتكامل، مع محاور خمسة رئيسة تُؤثر في تفعيلها. ولا شك أن دور مؤسسات التعليم العالي يعدُّ الأهم في هذه المنظومة. صحيح أن مؤسسات التعليم العالي لا تُقدم بنفسها المنتجات والخدمات المتميزة التي تُسهم في التنمية، لكنها تقوم بالنشاطات التي تُمهد لهذه المُنتجات وتمدها بالأفكار والمهارات اللازمة.

5. تواجه التربية العربية موقفاً صعباً للغاية، فقد أصبح لزاماً عليها أن تجدد رؤيتها الفلسفية لمواجهة المتغير المعلوماتي في غياب فلسفة اجتماعية عربية، وقصور الوعي العام في إدراك الجوانب التربوية العديدة لظاهرة المعلومات وعولمتها

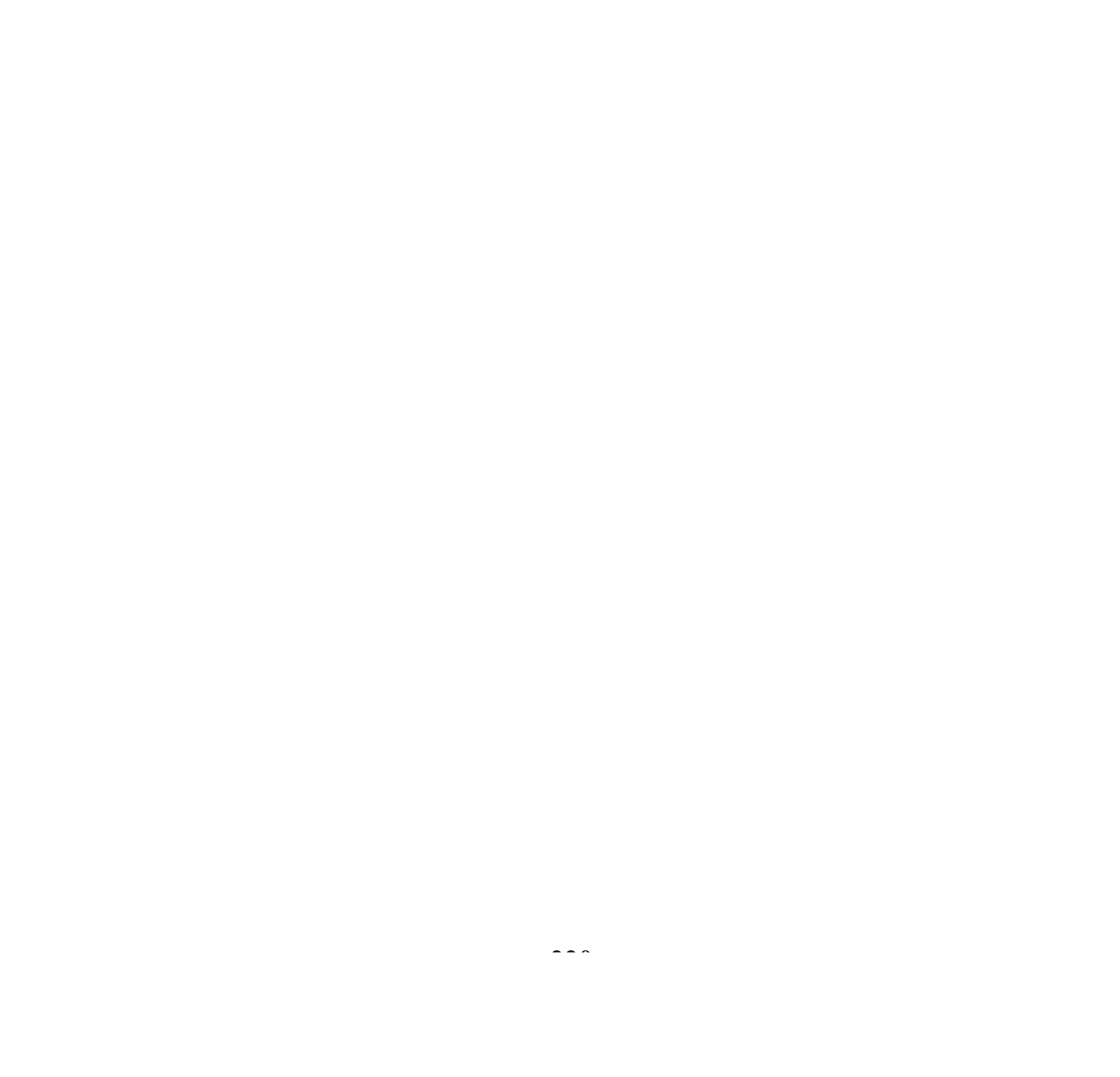
تبشر الحقبة القادمة من تطور المعرفة عموماً والعلمية منها بشكل خاص بتأثيرات ونتائج سوف تكون أعمق وأشمل وأبعد غوراً من كل تلك الحقب التي سبقتها.ومن الواضح أننا على أعتاب ثورة علمية أخرى. حيث تتضاعف المعرفة البشرية كل عشر سنوات. وقد أنتج العقد الأخير من القرن العشرين على سبيل المثال معرفة علمية أكثر مما خلفه التاريخ البشري بأكمله. هذا فضلاً عن تضاعف قدرة الإنترنت مرة كل عام

وتضاعف قدرة الكومبيوتر كل ثمانية عشر شهراً. وفي كل شهر تحمل لنا عناوين الصحف والمجلات العلمية أخباراً جديدة في مجال الاتصالات واستكشاف الفضاء والكمبيوتر والبيولوجيا. وفي هذا الخضم الزاخر بالتحولات تتغير الصناعات وأساليب الحياة بكاملها وتفسح المجال لنشوء أنماط وأساليب جديدة ستسمح لنا بقطع ثمار ألفي عام من تقدم العلم من خلال الإمكانات والتطبيقات العلمية غير المحدودة التي ستمكننا من التحول من عصر الاكتشاف إلى عصر السيطرة والتحكم.

وخُلاصة القول هي أن بناء مُجتمع المعرفة يحتاج بصورة رئيسة إلى تعليم عالٍ متطور، يفتح جميع نوافذ العلم والتقنية وأبواب فكر العمل والإنتاج، ويُخطط بثقة لمستقبل زاهر، ويُسهم في الإبداع والابتكار، ويقوم بتهيئة الكوادر، ويتعاون ويبني الشراكات المعرفية مع المؤسسات المُختلفة داخلياً وخارجياً. وهناك مُؤشرات في الوقت الحاضر على مثل هذه التوجهات، تقودها جامعاتنا المتميزة بجهود حثيثة. نأمل لهذه الجهود التوفيق، ونرجو لها التكامل والتوافق والمُتابعة، والتعلم واكتساب الخبرة، ليس من النجاح فقط، بل من احتمالات الإخفاق أيضاً، فالإخفاق في نظر أهل الحكمة طريق من طرق النجاح الذي نتطلع إليه.

الفصل التاسع

العولمة في الإعلام



الفصل التاسع

العولمة في الإعلام

فإن أمر الإعلام في عصرنا الحاضر ودوره المؤثر والفعال على الأمم والمجتمعات، على الدول والمؤسسات، والكبار والصغار، والنساء والرجال أمر لا يخفى على ذي بال.

لكن الطور الذي دخله الإعلام في سنيه الأخيرة ليس مجرد طور عادي، وليس مجرد وسيلة جديدة أو أسلوب متطور فحسب؛ بل الأمر هو التوجه العالمي للإعلام؛ بمعنى أن الإعلام لم يعد محصوراً في مكان أو حدود سياسية أو بقعة جغرافية.. بل أصبح يتخطى الحدود وربما يجاوز كل وسائل الرقابة.

كذلك فإن الأمر لا يقف عند هذا الحد.. بل تعداه إلى تكوين مجموعات أو شركات إعلامية أخطبوطية لها أذرع في كل مكان، ولها وجود في كل صنف من الإعلام.. تشارك في القرار السياسي وتؤثر في النشاط الاقتصادي.. توجه المجتمعات وتقود الأمم في الفكر والثقافة، في الفن والرياضة، في الدين والأخلاق. نعم! هي مستقلة (مالياً) لكنها مرتبطة بصفةٍ مَّا بالدول التي تنطلق منها.

خلفية مالكيها ومؤسسيها تحكم توجهها الثقافي والاجتماعي. أما عمالها وموظفوها فهم مشاركون في صياغة توجهها وما تبثه وما تنقله وما تنتجه من مواد إعلامية فيغلب عليهم التوجه العلماني، ويؤثر حيث يغلب فيهم خلفيتهم الأيديولوجية. أما التاريخ فهو ما يصوغ علاقتهم مع الآخرين، خصوصاً إذا كانت هناك تداخلات مسبقة (حروب صليبية استعمار..).

وحديثنا عن آثار العولمة في مجال الإعلام ليس من باب المبالغة ولا من باب تقوية الخصوم لكنه من باب أن "الكلمة أمانة" ومن باب "الواجب والمسؤولية" تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى.." وسوف نسرد هنا نماذج فعلية تحكي صورة من الإعلام

الدولي الذي ينحو نحو العولمة؛ فلقد سمعنا وقرأنا كثيراً عن العولمة في السياسة والعولمة في الاقتصاد.. لكن لم نسمع من قبل عن العولمة في الإعلام؛ فدعونا نقرأ قليلاً حول هذا الموضوع.

مفهوم العولمة:

العولمة مصطلح حادث مترجم عن الكلمة الإنجليزية Global ومعناها: عالمي أو دولي، وغالباً ما تذكر مرتبطة بمصطلح القرية (Global Village) بمعنى القرية الكونية أو العالمية. ويدور مفهوم العولمة حول الوجود العالمي أو الانتشار الكوني، وغالباً ما استخدم في السياسة والاقتصاد بمعنى النفوذ السياسي العالمي والمؤسسات الاقتصادية الدولية (الأخطبوطية) المتواجدة في أنحاء كثيرة من العالم ولها تأثير قوي ونافذ سواء في الشأن الاقتصادي أو السياسي المحلي (أي في البلدان المتواجدة فيها). ثم تطور في جانب جديد وهو العولمة الإعلامية، عن طريق إنشاء مؤسسات إعلامية دولية ضخمة لها قاعدة أساسية في بلد وتنطلق منه إلى كثير من البلدان، ولها أثر فاعل في الإعلام المحلي لتلك البلدان.. وأخيراً نشأ مصطلح العولمة الثقافية (Global Culture) وتعني الانتشار الثقافي الفكري لجهات قومية ومؤسسات دولية (أغلبها أمريكية) وأصبح لها أثر ملموس في الجانب الثقافي لدى الكثير من المجتمعات حول العالم من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب(2). المجموعات الإعلامية الدولية الكبرى:

هناك ست مجموعات رئيسة كبرى تعمل في الأنشطة الإعلامية على مستوى العالم ولها حضور دولي كبير متفاوت من مؤسسة لأخرى، أربعة منها أمريكية، وواحدة أوروبية، وواحدة أسترالية أمريكية، وهذا عرض لأبرز أنشطة هذه المجموعات كبر مؤسسة إعلامية في العالم؛ إذ تفوق مبيعاتها 25 بليون دولار، ثلثها من أمريكا والباقي من العالم. ويتوقع ارتفاع دخلها من خارج أمريكا إلى 50%، وتملك العديد من الأنشطة الإعلامية المتنوعة ومنها:

- 24 مجلة (منها تايم).

- ثاني أكبر دار للنشر في أمريكا.

- شبكة تلفزيون ضخمة واستديوهات برامج وأفلام، ودور عرض للسينما (أكثر من 1000 شاشة)، وأكبر شبكة كيبل تلفزيوني مدفوع في العالم.

- شركات أفلام في أوروبا، والعديد من محلات البيع بالتجزئة.

- مكتبة ضخمة من الأفلام (6000 فلم) والبرامج التلفزيونية (25000 برنامج).

- مساهمات رئيسة في قنوات وشبكات تلفزيونية أو مرئية.

وللعلم، فإن عدد مشاهدي المحطة الإخبارية CNN يفوق 90 مليوناً في 200 دولة، ولدى HBO 1.2 مليون مشترك حول العالم.

مجموعة برتلزمان Bertelsmann: أكبر مجموعة إعلامية في أوروبا وثالث أكبر مجموعة في العالم. دخلها السنوي يجاوز 15

بليون دولار، وتتميز بأن لها تحالفات وتعاوناً مع العديد من المجموعات الإعلامية الدولية في أوروبا واليابان، ولها العديد من الأنشطة الإعلامية ومنها:

- قنوات تلفزيون في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا؛ إضافة إلى استوديوهات سينمائية متعددة.

- مجموعة من الإذاعات الأوروبية.

- 45 شركة نشر للكتب بلغات أوروبا المختلفة.

- أكثر من 100 مجلة في أوروبا وأمريكا.

3 مجموعة فياكم Viacom:

مجموعة إعلامية قوية في أمريكا؛ وربع دخلها السنوي (13 بليون دولار) من خارج أمريكا، ولها نشاط محموم للتوسع الدولي؛ حيث أنفقت بليون دولار في السنوات الأخيرة للتوسع في أوروبا، ولها تحالفات مع العديد من المجموعات الإعلامية ونشاطها متنوع ومنه:

- 13 محطة تلفزيون في أمريكا إضافة إلى شبكات بث فضائي دولي

- شركات إنتاج تلفزيوني وسينمائي وفيديوي وموسيقي.

- شركات نشر كتب.

4 - ديزني Disney:

أكبر متحدٍّ لمجموعة تايم ورنر في العولمة الإعلامية. لها دخل يفوق 24 بليون دولار، ولها حضور قوي في مجال الأطفال بل تعتبر أكبر منتج لمواد الأطفال في العالم، ولها حضور من أقصى الشرق (الصين) إلى أوروبا والشرق الأوسط حتى أمريكا اللاتينية. ولها أنشطة متنوعة منها:

- استوديوهات أفلام وفيديو وبرامج تلفزيونية، وشبكة ABC التلفزيونية الضخمة في أمريكا، ومحطات تلفزيون وراديو متعددة.

- قنوات تلفزيونية دولية متعددة بالأقمار الصناعية والكيبل مثل ديزني Disney،Espn الرياضية.

- محلات تجارية باسم ديزني، ومراكز ألعاب وترفيه حول العالم.

- دور نشر للكتب.

7 صحف يومية، و3 شركات لإصدار المجلات.

وللمجموعة تحالفات ومشاركات مع مؤسسات إعلامية في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية وكذلك مع شركات بث واتصالات متعددة الجنسيات.

5 - نيوز كوربريشن News Corporation:

خامس أكبر مجموعة إعلامية من حيث الدخل (10 بليون دولار) لكنها أكبر لاعب دولي في مجال الإعلام حول العالم. أسس المجموعة روبرت مردوخ(5) ويملك حالياً ثلثها، ولها وجود في جميع أنحاء العالم من خلال أنشطتها الإعلامية والتي منها:

- 132 صحيفة و25 مجلة في أستراليا وبريطانيا وأمريكا (تعتبر واحدة من أكبر ثلاث مجموعات صحفية حول العالم).
- شركة فوكس للإنتاج السينمائي والتلفزيوني، وشبكة فوكس للبث التلفزيوني؛ إضافة إلى 22 محطة تلفزيون.
- شبكة ستار للبث الفضائي حول العالم وشبكة سكاي (بريطانيا خصوصاً).
- دور نشر للكتب.

والمجموعة تحالفات مع مجموعات إعلامية حول الإعلام، وقاعدتها 6 دول رئيسة تنطلق منها أنشطتها المتنوعة وبالأخص: أستراليا بريطانيا أمريكا. تعتبر هذه المجموعة من أعقد المجموعات الإعلامية وأوسعها، ولها نفوذ قوي في الصين والهند (فضلاً عن أوروبا وأمريكا)، وأسلوبها الناجح هو الشراكة مع جهات نافذة محلية مع عدم مصادمة التوجهات السياسية المحلية لهذه البلدان(6).

ومن أهم خصائص هذه المجموعة: أنها تبث بلغات البلدان المختلفة؛ فمجموعة (Fox) نفسها مثلاً تبث بالأسبانية في أمريكا اللاتينية وأسبانيا إضافة إلى الإنجليزية بوصفها لغة دولية وتتميز هذه المجموعة أيضاً بقدرتها على اختراق الدول النامية وتوطيد

أقدامها فيها، كما أن لها مصادرها الخاصة بالأخبار والبرامج ممثلة في شركات تابعة أو شريكة إضافة إلى قنوات البث الخاصة بها.

6 مجموعة TCT:

وهي مجموعة إعلامية متخصصة بالبث التلفزيوني عبر الكابل وكذلك عبر الأقمار الصناعية من خلال نظام الاشتراكات، ولها وجود قوي دولي في هذا الميدان؛ حيث تمتلك قمرين صناعيين للبث حول العالم (قيمتهما 600 مليون دولار) والدخل السنوي للمجموعة يفوق 7 بليون دولار.

مجموعات إعلامية أخرى: هناك مجموعات إعلامية دولية أخرى على صنفين: الأول: يمثل النشاط الإعلامي جزءاً من نشاط أوسع للشركة الأم. والصنف الثاني: مجموعات إعلامية أصغر (من حيث الدخل؛ وإلا فإنها إمبراطورية إعلامية لا يقل دخلها عن بليون دولار سنوياً)، وسنذكر هنا أبرزها وأكثرها تواجداً على الساحة الدولية:

1 - يونيفرسال: تملكها مجموعة سيغرام الدولية، ويمثل دخل المجموعة الإعلامية (7 بليون دولار) نصف عائدات الشركة الأم. وأبرز أنشطتها: أعمال الإنتاج السينمائي والتلفزيوني والموسيقي ونشر الكتب، ولها 27 مكتباً حول العالم، ولها وجود قوي في أوروبا وشرق آسيا (سوف تنفق 200 مليون دولار في الصين حتى العام القادم).

2 - بولي جرام: تمتلكها شركة فيليبس المشهورة، وأعمالها الرئيسة: إنتاج سينمائي وموسيقي، ودخلها يجاوز 6 بليون دولار نصفها من مبيعاتها في أوروبا وربعها في أمريكا.

3- سوني للترفيه: وهي جزء من سوني للإلكترونيات اليابانية الضخمة، وهي متخصصة في الإنتاج السينمائي والتلفزيوني والموسيقي والبث الفضائي، ولها دخل يجاوز 9 بليون دولار سنوياً، ولها شراكات وتحالفات متعددة في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

4 - جنرال إلكتريك: من أكبر الشركات في العالم خصوصاً في الكهربائيات، وتملك شبكة NBC للتلفزيون والراديو، ودخلها يجاوز 5 بليون دولار، ولها

وجود دولي وتحالفات متعددة مع شركات برامج كمبيوتر (ميكروسوفت) حيث أنفقت 500 مليون دولار من أجل قناة دولية للأخبار عبر الإنترنت MSNBC.

5- مجموعة هولنجر (كندا): ولها نشاط صحفي واسع؛ حيث تمتلك 60 صحيفة يومية.

6 - التلفزيون المباشر (Direct TV) الأمريكي: [المملوك لشركة هيوز Huges للإلكترونيات والتي تمثل بدورها فرعاً من جنرال موتورز] وهي شركة بث عبر الأقمار الصناعية (14 قمراً حول العالم) وتصل إلى 100 دولة.

عموماً هناك العديد من المجموعات الإعلامية (أكثر من 20 مجموعة يفوق دخلها بليون دولار سنوياً في أمريكا ومثلها تقريباً في أوروبا) والطابع العام لها هو التحرك الأفقي ومحاولة كسب أوسع مساحة من الأرض إعلامياً؛ وإن كان الوجود الأمريكي هو الطاغي لهذا التحرك.

بقية العالم:

وبما أن بقية العالم (عدا اليابان) متخلف في كل شيء فإن العولمة الإعلامية جزء من هذا التخلف العام، لكن هناك 4 مؤسسات إعلامية في أمريكا اللاتينية من الحجم الثاني وهي ذات توجه دولي.

وبالنسبة لآسيا والشرق الأوسط فلا توجد مؤسسات حتى من الحجم الثاني؛ على حين أن الأمر بالنسبة للمنطقة العربية أضعف بكثير.

أما اليابان فإنها رغم قوتها الاقتصادية إلا أنها متخلفة إعلامياً عن الغرب، وفيما عدا شركة (سوني) لا يوجد مؤسسات إعلامية دولية يابانية رغم وجود العديد من المؤسسات الإعلامية في اليابان (227 شركة من أكبر 1000 شركة إعلامية في اليابان) إلا أنها تركز على السوق الياباني المحلي، إحداها NHK التي يفوق دخلها 6 بليون دولار سنوياً. العولمة الإعلامية والتقنية:

ترتبط العولمة بالتقدم والتوسع الاقتصادي ارتباطاً وثيقاً؛ ولذلك كانت عملية الرقمية (Digital) في نقل الصوت والصورة والكلمة حاسمة في تسهيل وصول هذه المواد للمستهدف، كما أنها خفضت التكلفة مما ساعد على توسيع دائرة الانتشار عالمياً، كذلك ساعدت شبكات الاتصال الفائقة (Fibers) في تسهيل نقل كميات كبيرة من المعلومات وبدرجة نقاء عالية وبوقت قصير حول العالم، وأصبح هناك تحالف ظاهر بين شركات الاتصالات وشركات التقنية والبرامج مع المؤسسات الإعلامية نظراً للمصالح المشتركة بين هذه الأطراف؛ فالأولى ترصف الطريق والثانية تسير عليه(7). أهداف العولمة الإعلامية: من المعلوم أن الربحية غرض رئيس للرأسمالية الغربية، وأي نشاط اقتصادي يكون وسيلة لزيادة الدخل وللربحية فإنه مُحبّب ومرغوب.. هذا هو منطلق العولمة الإعلامية: ربح وربح وربح.

لكن لا ننسى أن القائمين على هذه المؤسسات والعاملين فيها لهم خلفيات وعقائد ومبادئ ينقلونها إلى العالم من خلال أنشطة مؤسساتهم الإعلامية مثل ما تنقل السفينة البضائع، فلا يُستغرب أن نرى مضامين هذه العولمة الإعلامية متوافقة تماماً مع ما درج عليه أصحابها؛ فالعنف يستشري في دمائهم، والجنس قضية بيولوجية؛ أما العقيدة فهي مجموعة من الخزعبلات والخرافات والشعوذات تتوافق أحياناً مع تربيتهم الدينية (النصرانية) وتصادمها أخرى.

مَنِ المستهدَف؟ ليس هناك مجتمع محدد مستهدف بالعولمة ولا قطاع معين أو دولة محددة، لكن أينما وجدت التسهيلات الفنية والإمكانات المالية فتجدهم هناك، لذلك نجد

توجهاً قوياً للمجموعات الإعلامية الدولية تجاه المراهقين والأطفال؛ نظراً للوقت الطويل الذي يقضونه أمام شاشات التلفاز، الإنترنت، الكمبيوتر.

والمجتمعات العربية والإسلامية مستهدفة بهذه العولمة ضمن هذا الميدان؛ فحيثما شُرعت الأبـواب لهم فإنهم داخلون، لا يعتدُّون غالباً بالبيئـات وثقافتهـا وتقاليـدها فـضلاً عـن دينهـا ومبادئهـا. مـن يقـود العولمة الإعلامية؟ المتابع لوسائل الإعلام بكافة أنواعها والتلفاز والسينما والإنترنت عـلى وجـه الخـصوص لا يخفـى عليـه الحـضور الأمـريكي الطـاغي؛ لدرجـه أن أصـواتاً عـدة ارتفعـت في أوروبـا (فرنـسا عـلى وجـه الخصوص) لمقاومة المد الإعلامي الأمريكي الغازي.

وفي الوقت نفسه بدأ السعي الحثيث لدى بعض المؤسسات الإعلامية الأوروبية نحو العولمـة، بـدءاً بالانتشار الواسع داخل أوروبا نفسها ثم الانطـلاق نحـو الأسـواق الخارجيـة خـصوصاً ذات الثقافـة واللغـة المتشابهة.

تطور العولمة الإعلامية:

بدأ التحول الضخم في اتجاه العولمة في مجال الاعلام بدءاً مـن الثمانينيـات، وكانـت البدايـة أفرعـاً لمؤسسات وموزعين لمنتجات إعلامية، ثم تطورت الأمور مع التوسع الاقتـصادي والنمـو الـسكاني والانفتـاح السياسي والاقتصادي بين الدول. استطاعت مجموعة من المؤسسات الإعلامية أن تفهم حاجات المجتمعـات المختلفة للمواد الإعلامية مما ساعدها على تطوير أدوات إيصال لهذه المواد مستفيدة مـن التطـور التقنـي الواسع في ميدان الاتصالات.

بـدأت المؤسـسات الإعلاميـة الأمريكيـة القويـة في موطنهـا في تكـوين شركـات متعددة الجنسيات وشراء أنشطة ومؤسـسات إعلاميـة في البلـدان الخارجيـة المختلفـة. واكب ذلك تحالفات استراتيجية مع الجهات المحلية القوية مستفيدة بدرجة كبـيرة مـن

النفــوذ الأمــريكي الــسياسي في العــالم وتهــاوي أدوات المنــع أو الرقابــة ووســائلهما في البلــدان المختلفة.

وتطورت الأمور تجاه العولمة بسرعة بالتواكب مع العولمـة الاقتـصادية؛ حيـث يمكـن إدراج الإعـلام جزءاً من الأنشطة الاقتصادية.

وصل عدد المؤسسات الإعلامية الدولية إلى 40 مؤسسة نصفها تقريباً أمريكي.

ويتوقع الاستمرار نحو هذا الاتجاه وزيادة التكتلات والمجموعات الإعلامية الدولية وذلك في المـدى القريب والمتوسط.

دراسات:

في دراسة تمت عام 1996 حول الإعلام في 41 دولة كانت النتائج ما يلي:

- أكثر الأفلام مشاهدة أمريكية، و 9 أشرطة من كل 10 أشرطة فيديو أمريكية.
- 20.000 مستهلك حول العالم (19دولة) سئلوا عن الثقافة الإعلامية الأمريكيـة أجـاب مـا يقـارب النصف منهم بأنها جيدة جداً أو ممتازة.
- 90% من الإعلام في إيطاليا يسيطر عليه الإعلام الأمريكي.
- 25% من سوق الكتب (8 بليون دولار إجمالي دخل الكتب في العالم) تسيطر عليـه 10 دور نـشر وأكبرها بل أكثرها مملوكـة لمؤسـسات إعلاميـة دوليـة (تـايم ورنـر، بريكزمـان، فيـاكم) نمـاذج لأنشطة إعلامية محددة ذات صيغة دولية:

بالإضافة إلى برامج التلفاز والسينما الأمريكية ذات الحـضور الـدولي الكثيـف مـن خـلال الـشركات الإعلامية المذكورة سابقاً فإن هناك أنشطة إعلامية صحفية ذات طبيعة دولية؛ فتجد صحيفة دورية تـصدر في أمريكا مثلاً ولهـا العديـد مـن الطبعـات الدوليـة ذات المـضمون نفـسه أو بتغـير طفيـف مثـل مجلتـي (نيوزويك) و (التايم) الأمريكيتين.

كذلك هناك مجلة (ريدرز دايجست) الأمريكية التي لها 17 طبعة، كل طبعة بلغة مختلفة وبنسخ تعد بالملايين.

كذلك مجلة ناشيونال جيوغرافيك لها العديد من الطبعات بلغات مختلفة آخرها وأحدثها اليابانية - اللغة الميتة - وبنسخ تفوق المليون شهرياً (ليس لها طبعة عربية).

مستقبل العولمة الإعلامية:

تعتبر أمريكا أكبر دولة في العالم اقتصادياً وسياسياً؛ وفي جانب الاتصالات هي الأولى وكذلك في جانب الكمبيوتر. أما الإعلام فلا يوجد لها منافس حقيقي في الساحة.

هذه الحقيقة تعطي تصوراً واضحاً للمستقبل الإعلامي العالمي؛ فقيادة أمريكا له ظاهرة.

وتداخل الإعلام مع التقنية في الكمبيوتر والاتصالات تجعل القدرة الأمريكية في استمرار الهيمنة الإعلامية مؤكدة؛ خصوصاً إذا انتبهنا إلى الأسلوب المستخدم في الإعلام (المرئي على وجه الخصوص) والذي يعتمد على الإيحاء والخيال الواسع والصورة والحركة لإيصال الرسالة الإعلامية بعيداً عن الكلام الكثير والحشو المطول.

ومما هو مشاهد أن التوسع الإعلامي (الأمريكي على وجه الخصوص) أفقي وعمودي؛ وقد استفاد من التحالفات المحلية (في المناطق القوية) والسيطرة والاحتكار (في البلدان الضعيفة).

كذلك فإن النظرة للعولمة من جهة الشركات الإعلامية الغربية والأمريكية على وجه الخصوص يزداد مع الأيام، والقناعة به بدأت تسري حتى في المؤسسات المتوسطة والصغيرة فضلاً عن الكبيرة.

هذا الأمر (العولمة الإعلامية) سيتجذر مع مرور الأيام، وسيصبح جزءاً مفهوماً من الواقع العالمي.

وبالطبع سيتأثر هذا الأمر بمدى المقاومة السياسية للبلدان المستهدفة وبمدى قدرتها على المقاومة أصلاً أو حتى برغبتها في ذلك أو عدم الرغبة.

كذلك سوف تتعرض البلدان المتخلفة لضغوط سياسية واقتصادية للقبول بهذا الواقع الإعلامي الجديد من باب: حرية الناس، وحقوق الإنسان، الإعلام الحر، تبادل الثقافات، وحوار الحضارات.

ولا ننسى أيضاً أن الشركات الإعلامية تتحرك بمساعدة حكومية من بلدانها الأم وهي تنظر إلى الناس (في كل مكان) أنهم مستهلكون لسلع هم ينتجونها، ولا ينظرون إليهم بصفتهم مواطنين في بلدانهم لهم ثقافاتهم الخاصة وعقائدهم المتميزة.

فإن واقع الإعلام العالمي يدعو للذعر مع الأخبار التي ما فتئت تذكِّرنا بل تذهلنا بالتطورات المتسارعة؛ حيث ذكرت إحدى الشركات الأمريكية أنها في صدد إطلاق قمر صناعي جديد ذي إمكانات تقنية مذهلة وبتكلفة أقل من الحالية.. تقول الشركة: إنها في غضون سنة 2002م سوف تطلق قمراً قادراً على بث ألف وخمسمائة قناة تلفازية في وقت واحد يعادل أداؤه مجموعة من الأقمار الصناعية الحالية.. هذا في جانب البث الفضائي.. أما الإنترنت فالشبكة القادمة والتي بدأ تطبيقها في بعض الجامعات الأمريكية ستصل سرعتها إلى 1000 ميجا بيت (2000 ضعف الشبكة الحالية) و10،000 ميجا بيت في غضون بضع سنوات.. هذا يعني بثاً حياً عالي النقاوة للصورة المتحركة أو الصوت (تلفاز رقمي) أو الصوت، أما المواد المقروءة فيمكن نقلها في غضون بضع ثوان بدلاً من الدقائق حالياً.. بمعنى آخر: أن الإنسان سيمكنه مشاهدة مئات القنوات التلفزيونية بنقاوة معقولة وهو قابع في مكتبه أمام الكمبيوتر.

مع العلم أن هناك تجارب لبث تلفزيوني خاص بالإنترنت (ما زالت بصيغة متخلفة عن التلفاز العادي) علماً أن الإنترنت هي مولود أمريكي ويرعاه الأمريكان، والسيطرة فيه للشركات الأمريكية (خصوصاً الكبيرة منها والتي أصلاً لها وجود إعلامي نافذ دولياً).

وبعد: فهذه مقتطفات استقيتها من هنا وهناك أردت بها أن أحذر وأحذر وأحذر من خطورة الإعلام على عالمنا العربي والإسلامي الضعيف في كل المناحي (ومنها الإعلام)، وهو أصلاً هزيل في تقنياته ومواده البعيدة عن جذور الأمة وعقيدتها. كذلك أحمِّل قادة الفكر والتوجيه المسؤولية في هذا الميدان، وأدعوهم للمسارعة في تحمل المسؤولية خصوصاً أننا دائماً متخلفون عن الركب عالة على الغير في كثير من أمورنا. والعبء الكبير لا يستطيعه فرد أو أفراد بل لا بد من مساهمة الجميع: مؤسسات، ورجال أعمال، مربين ومفكرين؛ كل بحسبه وكل بقدرته.

والأمر يسيرٌ لو كان الإعلام خالياً من الرسالة والهدف، بل المضمون الثقافي المُصدَّر إلينا لا يحتاج إلى كثير بصيرة لمعرفة خطورته على مجتمعاتنا وأجيالنا.

فإن أمر الإعلام في عصرنا الحاضر ودوره المؤثر والفعال على الأمم

والمجتمعات، على الدول والمؤسسات، والكبار والصغار، والنساء والرجال أمر لا يخفى على ذي بال.

لكن الطور الذي دخله الإعلام في سنيه الأخيرة ليس مجرد طور عادي، وليس مجرد وسيلة جديدة أو أسلوب متطور فحسب؛ بل الأمر هو التوجه العالمي للإعلام؛ بمعنى أن الإعلام لم يعد محصوراً في مكان أو حدود سياسية أو بقعة جغرافية.. بل أصبح يتخطى الحدود وربما يجاوز كل وسائل الرقابة.

كذلك فإن الأمر لا يقف عند هذا الحد.. بل تعداه إلى تكوين مجموعات أو شركات إعلامية أخطبوطية لها أذرع في كل مكان، ولها وجود في كل صنف من الإعلام.. تشارك في القرار السياسي وتؤثر في النشاط الاقتصادي.. توجه المجتمعات وتقود الأمم في الفكر والثقافة، في الفن والرياضة، في الدين والأخلاق. نعم! هي مستقلة (مالياً) لكنها مرتبطة بصفةٍ مَّا بالدول التي تنطلق منها.

خلفية مالكيها ومؤسسيها تحكم توجهها الثقافي والاجتماعي. أما عمالها وموظفوها فهم مـشاركون في صياغة توجهها وما تبثه وما تنقله وما تنتجه من مواد إعلامية فيغلـب علـيهم التوجـه العلـماني، ويـؤثر حيث يغلب فيهم خلفيتهم الأيديولوجية. أما التاريخ فهو مـا يـصوغ علاقـتهم مـع الآخـرين، خـصوصاً إذا كانت هناك تداخلات مسبقة (حروب صليبية استعمار..).

وحديثنا عن آثار العولمة في مجال الإعلام ليس من باب المبالغة ولا من باب تقويـة الخـصوم لكنـه من باب من باب أن "الكلمة أمانة" ومن باب "الواجب والمسؤولية" تتداعى عليكم الأمم كـما تتـداعى.." وسوف نسرد هنا نماذج فعلية تحكي صورة من الإعلام الدولي الذي ينحو نحو العولمة؛ فلقد سـمعنا وقرأنـا كثيراً عن العولمة في السياسة والعولمة في الاقتصاد.. لكن لم نسمع من قبل عـن العولمـة في الإعـلام؛ فـدعونا نقرأ قليلاً حول هذا الموضوع.

مفهوم العولمة:

العولمة مصطلح حادث مترجم عن الكلمة الإنجليزية Global ومعناهـا: عـالمي أو دولي، وغالبـاً مـا تذكر مرتبطة بمصطلح القرية (Global Village) بمعنى القرية الكونيـة أو العالميـة. ويـدور مفهـوم العولمـة حول الوجود العالمي أو الانتشار الكوني، وغالباً ما استخدم في الـسياسة والاقتـصاد بمعنـى النفـوذ الـسياسي العالمي والمؤسسات الاقتصادية الدولية (الأخطبوطية) المتواجدة في أنحاء كثيرة من العـالم ولهـا تـأثير قـوي ونافذ سواء في الشأن الاقتصادي أو السياسي المحلي (أي في البلدان المتواجدة فيها).

ثم تطور في جانب جديد

وهو العولمة الإعلامية، عن طريق إنشاء مؤسسات إعلامية دولية ضـخمة لهـا قاعـدة أساسية في بلد وتنطلق منـه إلى كثـير مـن البلـدان، ولهـا أثـر فاعـل في الإعـلام المحـلي لتلـك البلدان.. وأخـيراً نـشأ مـصطلح العولمـة الثقافيـة (Global Culture) وتعنـي الانتـشار الثقـافي

الفكري لجهات قومية ومؤسسات دولية (أغلبها أمريكية) وأصبح لها أثر ملموس في الجانب الثقافي لدى الكثير من المجتمعات حول العالم من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب(2). المجموعات الإعلامية الدولية الكبرى:

هناك ست مجموعات رئيسة كبرى تعمل في الأنشطة الإعلامية على مستوى العالم ولها حضور دولي كبير متفاوت من مؤسسة لأخرى، أربعة منها أمريكية، وواحدة أوروبية، وواحدة أسترالية أمريكية، وهذا عرض لأبرز أنشطة هذه المجموعات كبر مؤسسة إعلامية في العالم؛ إذ تفوق مبيعاتها 25 بليون دولار، ثلثها من أمريكا والباقي من العالم. ويتوقع ارتفاع دخلها من خارج أمريكا إلى 50%، وتملك العديد من الأنشطة الإعلامية المتنوعة ومنها:

- 24 مجلة (منها تايم).

- ثاني أكبر دار للنشر في أمريكا.

- شبكة تلفزيون ضخمة واستديوهات برامج وأفلام، ودور عرض للسينما (أكثر من 1000 شاشة)، وأكبر شبكة كيبل تلفزيوني مدفوع في العالم.

- شركات أفلام في أوروبا، والعديد من محلات البيع بالتجزئة.

- مكتبة ضخمة من الأفلام (6000 فلم) والبرامج التلفزيونية (25000 برنامج).

- مساهمات رئيسة في قنوات وشبكات تلفزيونية أو مرئية.

وللعلم، فإن عدد مشاهدي المحطة الإخبارية CNN يفوق 90 مليوناً في 200 دولة، ولدى HBO 1.2 مليون مشترك حول العالم.

- مجموعة برتلزمان Bertelsmann: أكبر مجموعة إعلامية في أوروبا وثالث أكبر مجموعة في العالم. دخلها السنوي يجاوز 15 بليون دولار، وتتميز بأن لها تحالفات وتعاوناً

مع العديد مـن المجموعـات الإعلاميـة الدوليـة في أوروبـا واليابـان، ولهـا العديـد مـن الأنـشطة الإعلاميـة ومنها:

- قنوات تلفزيون في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا؛ إضافة إلى استوديوهات سينمائية متعددة.

- مجموعة من الإذاعات الأوروبية.

- 45 شركة نشر للكتب بلغات أوروبا المختلفة.

- أكثر من 100 مجلة في أوروبا وأمريكا.

3 مجموعة فياكم Viacom:

مجموعة إعلامية قوية في أمريكا؛ وربع دخلها السنوي (13 بليون دولار) مـن خـارج أمريكـا، ولهـا نشاط محموم للتوسع الـدولي؛ حيـث أنفقـت بليـون دولار في الـسنوات الأخـيرة للتوسـع في أوروبـا، ولهـا تحالفات مع العديد من المجموعات الإعلامية ونشاطها متنوع ومنه:

- 13 محطة تلفزيون في أمريكا إضافة إلى شبكات بث فضائي دولي

- شركات إنتاج تلفزيوني وسينمائي وفيديوي وموسيقي.

- شركات نشر كتب.

4 - ديزني Disney:

أكبر متحدٍّ لمجموعة تايم ورنر في العولمة الإعلامية. لها دخل يفـوق 24 بليـون دولار، ولهـا حـضور قوي في مجال الأطفال بل تعتبر أكبر منتج لمواد الأطفال في العالم، ولها حضور من أقصى الشرق (الـصين) إلى أوروبا والشرق الأوسط حتى أمريكا اللاتينية. ولها أنشطة متنوعة منها:

- استوديوهات أفلام وفيديو وبرامج تلفزيونية، وشبكة ABC التلفزيونية الضخمة في أمريكا، ومحطات تلفزيون وراديو متعددة.

- قنوات تلفزيونية دولية متعددة بالأقمار الصناعية والكيبل مثل ديزني Disney Espn الرياضية.

- محلات تجارية باسم ديزني، ومراكز ألعاب وترفيه حول العالم.

- دور نشر للكتب.

- 7 صحف يومية، و3 شركات لإصدار المجلات.

وللمجموعة تحالفات ومشاركات مع مؤسسات إعلامية في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية وكذلك مع شركات بث واتصالات متعددة الجنسيات.

5 - نيوز كوربريشن News Corporation:

خامس أكبر مجموعة إعلامية من حيث الدخل (10 بليون دولار) لكنها أكبر لاعب دولي في مجال الإعلام حول العالم. أسس المجموعة روبرت مردوخ(5) ويملك حالياً ثلثها، ولها وجود في جميع أنحاء العالم من خلال أنشطتها الإعلامية والتي منها:

- 132 صحيفة و25 مجلة في أستراليا وبريطانيا وأمريكا (تعتبر واحدة من أكبر ثلاث مجموعات صحفية حول العالم).

- شركة فوكس للإنتاج السينمائي والتلفزيوني، وشبكة فوكس للبث التلفزيوني؛ إضافة إلى 22 محطة تلفزيون.

- شبكة ستار للبث الفضائي حول العالم وشبكة سكاي (بريطانيا خصوصاً).

- دور نشر للكتب.

والمجموعة تحالفات مع مجموعات إعلامية حول الإعلام، وقاعدتها 6 دول رئيسة تنطلق منها أنشطتها المتنوعة وبالأخص: أستراليا بريطانيا أمريكا.

تعتبر هذه المجموعة من أعقد المجموعات الإعلامية وأوسعها، ولها نفوذ قوي في الصين والهند (فضلاً عن أوروبا وأمريكا)، وأسلوبها الناجح هو الشراكة مع جهات نافذة محلية مع عدم مصادمة التوجهات السياسية المحلية لهذه البلدان(6).

ومن أهم خصائص هذه المجموعة: أنها تبث بلغات البلدان المختلفة؛ فمجموعة (Fox) نفسها مثلاً تبث بالأسبانية في أمريكا اللاتينية وأسبانيا إضافة إلى الإنجليزية بوصفها لغة دولية وتتميز هذه المجموعة أيضاً بقدرتها على اختراق الدول النامية وتوطيد أقدامها فيها، كما أن لها مصادرها الخاصة بالأخبار والبرامج ممثلة في شركات تابعة أو شريكة إضافة إلى قنوات البث الخاصة بها.

6 مجموعة TCT:

وهي مجموعة إعلامية متخصصة بالبث التلفزيوني عبر الكابل وكذلك عبر الأقمار الصناعية من خلال نظام الاشتراكات، ولها وجود قوي دولي في هذا الميدان؛ حيث تمتلك قمرين صناعيين للبث حول العالم (قيمتهما 600 مليون دولار) والدخل السنوي للمجموعة يفوق 7 بليون دولار.

مجموعات إعلامية أخرى: هناك مجموعات إعلامية دولية أخرى على صنفين:

الأول: يمثل النشاط الإعلامي جزءاً من نشاط أوسع للشركة الأم.

والصنف الثاني: مجموعات إعلامية أصغر (من حيث الدخل؛ وإلا فإنها إمبراطورية إعلامية لا يقل دخلها عن بليون دولار سنوياً)، وسنذكر هنا أبرزها وأكثرها تواجداً على الساحة الدولية:

1 - يونيفرسال: تملكها مجموعة سيغرام الدولية، ويمثل دخل المجموعة الإعلامية (7 بليون دولار) نصف عائدات الشركة الأم. وأبرز أنشطتها: أعمال الإنتاج

السينمائي والتلفزيوني والموسيقي ونشر الكتب، ولها 27 مكتباً حول العالم، ولها وجـود قـوي في أوروبا وشرق آسيا (سوف تنفق 200 مليون دولار في الصين حتى العام القادم).

2 - بولي جرام: تمتلكها شركة فيليبس المشهورة، وأعمالها الرئيسة: إنتاج سـينمائي وموسـيقي، ودخلهـا يجاوز 6 بليون دولار نصفها من مبيعاتها في أوروبا وربعها في أمريكا.

3- سوني للترفيه: وهي جزء من سـوني للإلكترونيـات اليابانيـة الـضخمة، وهـي متخصـصة في الإنتـاج السينمائي والتلفزيوني والموسيقي والبث الفضائي، ولها دخل يجاوز 9 بليون دولار سـنوياً، ولهـا شراكات وتحالفات متعددة في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

4 - جـنرال إلكتريـك: مـن أكـبر الـشركات في العـالم خـصوصاً في الكهربائيـات، وتملـك شـبكة NBC للتلفزيون والراديو، ودخلها يجاوز 5 بليـون دولار، ولهـا وجـود دولي وتحالفـات متعـددة مـع شركات برامج كمبيوتر (ميكروسوفت) حيث أنفقت 500 مليـون دولار مـن أجـل قنـاة دوليـة للأخبار عبر الإنترنت MSNBC.

5- مجموعة هولنجر (كندا): ولها نشاط صحفي واسع؛ حيث تمتلك 60 صحيفة يومية.

6 - التلفزيون المباشر (Direct TV) الأمريكي: [المملوك لشركة هيوز Huges للإلكترونيات والتي تمثـل بدورها فرعاً من جنرال موتورز] وهي شركة بث عبر الأقمار الـصناعية (14 قمـراً حـول العـالم) وتصل إلى 100 دولة.

عموماً هناك العديد من المجموعات الإعلامية (أكثر من 20 مجموعة يفوق دخلها بليون دولار سنوياً في أمريكا ومثلهـا تقريبـاً في أوروبـا) والطـابع العـام لهـا هـو التحـرك

الأفقي ومحاولة كسب أوسع مساحة من الأرض إعلامياً؛ وإن كان الوجود الأمريكي هو الطاغي لهذا التحرك.

بقية العالم:

وبما أن بقية العالم (عدا اليابان) متخلف في كل شيء فإن العولمة الإعلامية جزء من هذا التخلف العام، لكن هناك 4 مؤسسات إعلامية في أمريكا اللاتينية من الحجم الثاني وهي ذات توجه دولي.

وبالنسبة لآسيا والشرق الأوسط فلا توجد مؤسسات حتى من الحجم الثاني؛ على حين أن الأمر بالنسبة للمنطقة العربية أضعف بكثير.

أما اليابان فإنها رغم قوتها الاقتصادية إلا أنها متخلفة إعلامياً عن الغرب، وفيما عدا شركة (سوني) لا يوجد مؤسسات إعلامية دولية يابانية رغم وجود العديد من المؤسسات

الإعلامية في اليابان (227 شركة من أكبر 1000 شركة إعلامية في اليابان) إلا أنها تركز على السوق الياباني المحلي، إحداها NHK التي يفوق دخلها 6 بليون دولار سنوياً. العولمة الإعلامية والتقنية:

ترتبط العولمة بالتقدم والتوسع الاقتصادي ارتباطاً وثيقاً؛ ولذلك كانت عملية الرقمية (Digital) في نقل الصوت والصورة والكلمة حاسمة في تسهيل وصول هذه المواد للمستهدف، كما أنها خفضت التكلفة مما ساعد على توسيع دائرة الانتشار عالمياً، كذلك ساعدت شبكات الاتصال الفائقة (Fibers) في تسهيل نقل كميات كبيرة من المعلومات وبدرجة نقاء عالية وبوقت قصير حول العالم، وأصبح هناك تحالف ظاهر بين شركات الاتصالات وشركات التقنية والبرامج مع المؤسسات الإعلامية نظراً للمصالح المشتركة بين هذه الأطراف؛ فالأولى ترصف الطريق والثانية تسير عليه(7). أهداف العولمة الإعلامية:

من المعلوم أن الربحية غرض رئيس للرأسمالية الغربية، وأي نشاط اقتصادي يكون وسيلة لزيادة الدخل وللربحية فإنه مُحبّب ومرغوب.. هذا هو منطلق العولمة الإعلامية: ربح وربح وربح.

لكن لا ننسى أن القائمين على هذه المؤسسات والعاملين فيها لهم خلفيات وعقائد ومبادئ ينقلونها إلى العالم من خلال أنشطة مؤسساتهم الإعلامية مثل ما تنقل السفينة البضائع، فلا يُستغرب أن نرى مضامين هذه العولمة الإعلامية متوافقة تماماً مع ما درج عليه أصحابها؛ فالعنف يستشري في دمائهم، والجنس قضية بيولوجية؛ أما العقيدة فهي مجموعة من الخزعبلات والخرافات والشعوذات تتوافق أحياناً مع تربيتهم الدينية (النصرانية) وتصادمها أخرى.

مَنِ المستهدَف؟ ليس هناك مجتمع محدد مستهدف بالعولمة ولا قطاع معين أو دولة محددة، لكن أينما وجدت التسهيلات الفنية والإمكانات المالية فتجدهم هناك، لذلك نجد توجهاً قوياً للمجموعات الإعلامية الدولية تجاه المراهقين والأطفال؛ نظراً للوقت الطويل الذي يقضونه أمام شاشات التلفاز، الإنترنت، الكمبيوتر.

والمجتمعات العربية والإسلامية مستهدفة بهذه العولمة ضمن هذا الميدان؛ فحيثما شُرعت الأبواب لهم فإنهم داخلون، لا يعتدُّون غالباً بالبيئات وثقافتها وتقاليدها فضلاً عن دينها ومبادئها. من يقود العولمة الإعلامية؟ المتابع لوسائل الإعلام بكافة أنواعها والتلفاز والسينما والإنترنت على وجه الخصوص لا يخفى عليه الحضور الأمريكي الطاغي؛ لدرجه أن أصواتاً عدة ارتفعت في أوروبا (فرنسا على وجه الخصوص) لمقاومة المد الإعلامي الأمريكي الغازي.

وفي الوقت نفسه بدأ السعي الحثيث لدى بعض المؤسسات الإعلامية الأوروبية نحو العولمة، بدءاً بالانتشار الواسع داخل أوروبا نفسها ثم الانطلاق نحو الأسواق الخارجية خصوصاً ذات الثقافة واللغة المتشابهة.

تطور العولمة الإعلامية:

بدأ التحول الضخم في اتجاه العولمة في مجال الاعلام بدءاً من الثمانينيات، وكانت البداية أفرعاً لمؤسسات وموزعين لمنتجات إعلامية، ثم تطورت الأمور مع التوسع الاقتصادي والنمو السكاني والانفتاح السياسي والاقتصادي بين الدول.

استطاعت مجموعة من المؤسسات الإعلامية أن تفهم حاجات المجتمعات المختلفة للمواد الإعلامية مما ساعدها على تطوير أدوات إيصال لهذه المواد مستفيدة من التطور التقني الواسع في ميدان الاتصالات.

بدأت المؤسسات الإعلامية الأمريكية القوية في موطنها في تكوين شركات متعددة الجنسيات وشراء أنشطة ومؤسسات إعلامية في البلدان الخارجية المختلفة.

واكب ذلك تحالفات استراتيجية مع الجهات المحلية القوية مستفيدة بدرجة كبيرة من النفوذ الأمريكي السياسي في العالم وتهاوي أدوات المنع أو الرقابة ووسائلهما في البلدان المختلفة.

وتطورت الأمور تجاه العولمة بسرعة بالتواكب مع العولمة الاقتصادية؛ حيث يمكن إدراج الإعلام جزءاً من الأنشطة الاقتصادية.

وصل عدد المؤسسات الإعلامية الدولية إلى 40 مؤسسة نصفها تقريباً أمريكي.

ويتوقع الاستمرار نحو هذا الاتجاه وزيادة التكتلات والمجموعات الإعلامية الدولية وذلك في المدى القريب والمتوسط.

دراسات:

في دراسة تمت عام 1996 حول الإعلام في 41 دولة كانت النتائج ما يلي:

- أكثر الأفلام مشاهدة أمريكية، و 9 أشرطة من كل 10 أشرطة فيديو أمريكية.

- 20.000 مستهلك حول العالم (19دولة) سئلوا عن الثقافة الإعلامية الأمريكية أجاب ما يقارب النصف منهم بأنها جيدة جداً أو ممتازة.

- 90% من الإعلام في إيطاليا يسيطر عليه الإعلام الأمريكي.

- 25% من سوق الكتب (8 بليون دولار إجمالي دخل الكتب في العالم) تسيطر عليه 10 دور نشر وأكبرها بل أكثرها مملوكة لمؤسسات إعلامية دولية (تايم ورنر، بريكزمان، فياكم) نماذج لأنشطة إعلامية محددة ذات صيغة دولية:

بالإضافة إلى برامج التلفاز والسينما الأمريكية ذات الحضور الدولي الكثيف من خلال الشركات الإعلامية المذكورة سابقاً فإن هناك أنشطة إعلامية صحفية ذات طبيعة دولية؛ فتجد صحيفة دورية تصدر في أمريكا مثلاً ولها العديد من الطبعات الدولية ذات المضمون نفسه أو بتغير طفيف مثل مجلتي (نيوزويك) و (التايم) الأمريكيتين.

كذلك هناك مجلة (ريدرز دايجست) الأمريكية التي لها 17 طبعة، كل طبعة بلغة مختلفة وبنسخ تعد بالملايين.

كذلك مجلة ناشيونال جيوغرافيك لها العديد من الطبعات بلغات مختلفة آخرها وأحدثها اليابانية - اللغة الميتة - وبنسخ تفوق المليون شهرياً (ليس لها طبعة عربية).

مستقبل العولمة الإعلامية:

تعتبر أمريكا أكبر دولة في العالم اقتصادياً وسياسياً؛ وفي جانب الاتصالات هي الأولى وكذلك في جانب الكمبيوتر. أما الإعلام فلا يوجد لها منافس حقيقي في الساحة. هذه الحقيقة تعطي تصوراً واضحاً للمستقبل الإعلامي العالمي؛ فقيادة أمريكا له ظاهرة.

وتداخل الإعلام مع التقنية في الكمبيوتر والاتصالات تجعل القدرة الأمريكية في استمرار الهيمنة الإعلامية مؤكدة؛ خصوصاً إذا انتبهنا إلى الأسلوب المستخدم في الإعلام (المرئي على وجه الخصوص) والذي يعتمد على الإيحاء والخيال الواسع والصورة والحركة لإيصال الرسالة الإعلامية بعيداً عن الكلام الكثير والحشو المطول.

ومما هو مشاهد أن التوسع الإعلامي (الأمريكي على وجه الخصوص) أفقي وعمودي؛ وقد استفاد من التحالفات المحلية (في المناطق القوية) والسيطرة والاحتكار (في البلدان الضعيفة).

كذلك فإن النظرة للعولمة من جهة الشركات الإعلامية الغربية والأمريكية على وجه الخصوص يزداد مع الأيام، والقناعة به بدأت تسري حتى في المؤسسات المتوسطة والصغيرة فضلاً عن الكبيرة.

هذا الأمر (العولمة الإعلامية) سيتجذر مع مرور الأيام، وسيصبح جزءاً مفهوماً من الواقع العالمي.

وبالطبع سيتأثر هذا الأمر بمدى المقاومة السياسية للبلدان المستهدفة وبمدى قدرتها على المقاومة أصلاً أو حتى برغبتها في ذلك أو عدم الرغبة.

كذلك سوف تتعرض البلدان المتخلفة لضغوط سياسية واقتصادية للقبول بهذا الواقع الإعلامي الجديد من باب: حرية الناس، وحقوق الإنسان، الإعلام الحر، تبادل الثقافات، وحوار الحضارات.

ولا ننسى أيضاً أن الشركات الإعلامية تتحرك بمساعدة حكومية من بلدانها الأم وهي تنظر إلى الناس (في كل مكان) أنهم مستهلكون لسلع هم ينتجونها، ولا ينظرون إليهم بصفتهم مواطنين في بلدانهم لهم ثقافاتهم الخاصة وعقائدهم المتميزة.

فإن واقع الإعلام العالمي يدعو للذعر مع الأخبار التي ما فتئت تذكِّرنا بل تذهلنا بالتطورات المتسارعة؛ حيث ذكرت إحدى الشركات الأمريكية أنها في صدد إطلاق قمر صناعي جديد ذي إمكانات تقنية مذهلة وبتكلفة أقل من الحالية.. تقول الشركة: إنها في غضون سنة 2002م سوف تطلق قمراً قادراً على بث ألف وخمسمائة قناة تلفازية في وقت واحد يعادل أداؤه مجموعة من الأقمار الصناعية الحالية.. هذا في جانب البث الفضائي.. أما الإنترنت فالشبكة القادمة والتي بدأ تطبيقها في بعض الجامعات الأمريكية

ستصل سرعتها إلى 1000 ميجا بيت (2000 ضعف الشبكة الحالية) و10،000 ميجا بيت في غضون بضع سنوات.. هذا يعني بثاً حياً عالي النقاوة للصورة المتحركة أو الصوت (تلفاز رقمي) أو الصوت، أما المواد المقروءة فيمكن نقلها في غضون بضع ثوان بدلاً من الدقائق حالياً.. بمعنى آخر: أن الإنسان سيمكنه مشاهدة مئات القنوات التلفزيونية بنقاوة معقولة وهو قابع في مكتبه أمام الكمبيوتر.

مع العلم أن هناك تجارب لبث تلفزيوني خاص بالإنترنت (ما زالت بصيغة متخلفة عن التلفاز العادي) علماً أن الإنترنت هي مولود أمريكي ويرعاه الأمريكان، والسيطرة فيه للشركات الأمريكية (خصوصاً الكبيرة منها والتي أصلاً لها وجود إعلامي نافذ دولياً).

وبعد: فهذه مقتطفات استقيتها من هنا وهناك أردت بها أن أحذر وأحذر وأحذر من خطورة الإعلام على عالمنا العربي والإسلامي الضعيف في كل المناحي (ومنها الإعلام)، وهو أصلاً هزيل في تقنياته ومواده البعيدة عن جذور الأمة وعقيدتها. كذلك أحمِّل قادة الفكر والتوجيه المسؤولية في هذا الميدان، وأدعوهم للمسارعة في تحمل المسؤولية خصوصاً أننا دائماً متخلفون عن الركب عالة على الغير في كثير من أمورنا. والعبء الكبير لا يستطيعه فرد أو أفراد بل لا بد من مساهمة الجميع: مؤسسات، ورجال أعمال، مربين ومفكرين؛ كل بحسبه وكل بقدرته.

والأمر يسيرٌ لو كان الإعلام خالياً من الرسالة والهدف، بل المضمون الثقافي المُصدَّر إلينا لا يحتاج إلى كثير بصيرة لمعرفة خطورته على مجتمعاتنا وأجيالنا

الفصل العاشر

السبل الكفيلة بتغيير الصورة النمطية للمرأة في الاعلام

الفصل العاشر

السبل الكفيلة بتغيير الصورة النمطية للمرأة في الاعلام

عندما تم تكليفي باعداد ورقة عمل حول السبل الكفيلة بتغيير الصورة النمطية للمـرأة في الاعـلام اول ما تبادر الى ذهني هو هل نستطيع فصل المرأة عن انوثتها واهتمامها بالموضـة والجـمال، او عاطفتهـا واهتمامها باطفالها مثلا،او الرغبة باعداد ما لذ وطاب من اصناف الطعام؟!

وجدت انه قد يكون من الصعب الفصل بين المرأة واهتمامها بتلك الامور الا انه مـن الـسهل عـلى المرأة ذاتها المواءمة بين وظيفتها وعاطفتها وانوثتها...

ان صورة المرأة المرتبطة باذهان العديد منا هـي صـورة الام، المطلـوب منهـا القيـام بالعديـد مـن المهمات الشاقة ربما داخل المنزل،وتطورت المهمات وازدادت لتـصبح مـسؤولة عـن تـوفير جـزء مـن دخـل الاسرة، ما اضطرها الى العمل 24 ساعة داخل المنزل وخارجه دون كلل او ملل وبتميز.

خرجت المرأة لتساهم بتوفير جزء من دخل الاسرة، واحيانا الـدخل كـاملا.. فهـل دخـل الرجـل الى المنزل ليساهم بحمل جزء من المهمات الصعبة – اذا جاز لي التعبير –

يبدأ التمييز في مجتمعنا بين الذكر والانثى وتعزيـز هـذا التمييـز منـذ الـصغر عنـدما نـرفض عـلى الطفل الذكر ان يبك مثلا – مثل البنات – او ان يضحك – مثل البنات – وكأن التعبير الصادق عن المـشاعر هو الضعف بحد ذاته !! المقتصر على الاناث دون الذكور.

علما بان المرأة اثبتت وبجدارة قـدرتها وقوتهـا عـلى تحمـل المـسؤوليات الجـسام. نراها تعمل داخل البيت قبل بزوغ الفجر، لتذهب الى عملها على اتم الاستعداد للانجاز،

وتعود الى المنزل لتكمل ما بدأته فجرا، اضافة الى التدريس والتنظيف والقيام بالواجبات الاجتماعية، وعندما ينتهي يوم العائلة عند ساعة معينة، تكمل عمل يومها، وتحضر لليوم التالي وغالبا ما تكون اخر من ينام،،،

وزارة التربية والتعليم طورت المناهج الدراسية للصفوف الاولى بعد طول مطالبة من الجهات المعنية بحقوق المرأة، الا ان بابا لا يزال يقرأ وماما ما انتهت بعد من الطبخ والغسيل – وهذه في الواقع هي الصورة التي طبعت -على الاقل في من هم بجيلي. وما قمت انا بتدريسه لابنائي -.

دخول المرأة الى سوق العمل وتميزها بما تقوم به من اعمال الزم وسائل الاعلام كافة ان تتابع نشاطاتها وتلقي الضوء عليها حتى تكون قضيتها في صلب كل نقاش أو محاولات إصلاح تتعلق بقضاياها، ولكن السؤال هل انصفتها وسائل الاعلام؟

حققت المرأة في الأردن مكاسب كثيرة بفضل الإرادة السياسية العليا التي يقودها جلالة الملك عبدالله الثاني وجلالة الملكة رانيا العبدالله لتمكينها وتوفير الأفضل لها دوما.

اذن الجميع متفق على ان دخول المرأة الى الحياة السياسية جاء نتيجة قرار سياسي،لكن مزاولة المرأة لاعمالها الخاصة التي تدر عليها دخلا لا يختلف اثنان على انه امر قديم ولم يتطلب سوى موافقة الرجل في حياتها.

وتظهر احصائيات عامي 2009 ان مشاركة المرأة بلغت في السلك الوزاري 14 بالمئة، والسلك الدبلوماسي18 بالمئة، ومجلس الأعيان11 بالمئة، ومجلس النواب 6 بالمئة، والمجالس البلدية 27 بالمئة، والنقابات العمالية22 بالمئة،مجالس النقابات 3 بالمئة والأحزاب السياسية 29 بالمئة، والنقابات المهنية 35 بالمئة .غرف الصناعة 5 بالمئة وغرف التجارة 1 بالمئة

تعتبر هذه النسب اقل من نسبة تمثيل المرأة في المجتمع بشكل عام لكنها مؤشر على ان المرأة بدأت تشق طريقها لتحقيق نسب مشاركة عادلة في مختلف مناحي الحياة.

اهتمام الاعلام بقضايا المرأة وتغطياتها ارتبط بالمناسبات والاحتفالات وكثيراً ما اتخذ شكل تغطيات اخبارية للانشطة والبرامج، دون استثمار هذه المناسبات في طرح معالجات جادة ونقاشات حيوية حول هذه القضايا،وقد اتخذ هذا الاهتمام شكلاً موسمياً يبدأ مع المناسبة وينتهي بها...

من غير الممكن أن نتناول "قضية تهميش المرأة في الاعلام " اذا جاز لي التعبير بمعزل عن وضعها في المجتمع بصورة عامة، فعدد النساء القياديات في أجهزة الاعلام محدود جداَ...وإذا وجدن فإن النمطية السائدة في التعامل مع قضاياهن يقف عقبة امام جهودهن في طرح قضايا المرأة بشكل اوسع والارتقاء بالعمل الاعلامي

فعدد الصحفيات العاملات والمسجلات في سجلات نقابة الصحفيين بلغ (200) صحفية من اصل (973) عضوا بما نسبته 20 % من اعضاء النقابة. كان عدد اللواتي تسلمن مواقع المسؤولية ابتداء من سكرتير تحرير وحتى رئيس تحرير المرأة في الاعلان

ان الصورة التى ظهرت بها المراة فى الاعلانات التجارية وفى وسائل الاعلام لم تحقق الايجابيات التى تعبر عن الوضع الحقيقى لها فى المجتمع،لذا فوسائل الاعلام وشركات الاعلان مطالبة بتخطي حسابات الربح والخسارة فى عرض المرأة كسلعة وان يسعيا الى تحقيق صورة ايجابية واقعية عنها.

وهنا نسجل موقف نقابة الصحفيين الاردنيين في اصرارها على الاشارة الى ذلك عبر المادة 13 من ميثاق الشرف الصحفي / والذي ينص على:

للمرأة حق على الصحافة في عدم التمييز أو التحيز أو الاستغلال بسبب الجنس أو المستوى الاجتماعي، وفي هذا السياق يراعي الصحفيون ما يلي:

1. عدم استغلال المرأة باعتبارها جسدا للاثارة

2. الدفاع عن حرية المرأة وحقوقها ومسؤولياتها

لذا لا بد من العمل على تنمية الوعي الاعلامي، بحقوق المرأة وقضاياها بعيداً عن الصورة النمطية السائدة من خلال البرامج المتخصصة التي تعمل على تهميش المرأة وحصرها في أمور تقليدية تبتعد عن المعالجة الجادة لقضاياها ومشاكلها.

والمطلوب هو بلورة خطاب إعلامي متطور يتلاءم مع المرحلة التي نعيشها والتطورات التي تمر بها المجتمعات وتتناسب مع التطور السريع للاعلام وتعدد وسائله.

المرأة في المواقع الالكترونية

استطيع القول بان بعض المواقع الالكترونية لم تحترم المرأة كانسان، وتعاملت مع اخبارها معتمدة على صور الاثارة، ربما لتحقيق زيادة في عدد الزوار.

اما تغطيتها لاخبارالمرأة، فباستثناء المقالات لصحفيات وكاتبات حاولن تناول الشأن العام لا يوجد اي تغطية محترفة لاخبار ونشاطات المرأة الا نادرا !.

التغطية الاعلامية في الصحف لنشاطات المرأة

يعتبر موقف وسائل الإعلام فيما يتعلق بتغطية مشاركة المرأة في الحياة السياسية ايجابيا من حيث المحتوى حيث تعاملت في اخبارها باعتبارها (المرأة/المسؤولة) حسب اهمية الخبر وليس حسب الشخصية الرئيسية فيه ان كانت رجلا او امرأة.

وقد اخترت صحيفة الرأي الاردنية كمثال لصحيفة يومية ورصدت تغطيتها لنشاطات المرأة مدة خمسة ايام من تاريخ 18 تشرين الثاني وحتى 24 تشرين الثاني، وكانت على النحو التالي:-

اليوم / التاريخ	عدد الاخبارالمتعلقة بالمرأة	عدد المقالات	مقالات كتبتها نساء
الجمعة: 11/18	0	13	1
السبت:11/19	0	20	4
الاحد:11/20	2	13	1
الاثنين:11/21	1	13	1
الثلاثاء:11/22	6	13	2
الاربعاء:11/23	5	13	1 ومقال على الصفحة الاخيرة
الخميس: 11/24	6	20	2

وفي قراءة لمحتوى تلك الاخبار كانت جميعها مرتبطة بمناسبة معينة ينتهي تسليط الضوء على المرأة فيه بانتهاء المناسبة.

اما المقالات فلم اجد الا كاتبة صحفية واحدة تتحدث عن الامور السياسية في صحيفة العرب اليوم ولا اعلم ان كان يوجد غيرها (رنا الصباغ) وفي المواضيع الاقتصادية غاب قلم المرأة الا من صحيفة الغد والصحفية (جمانة غنيمات)

المقالات بشكل عام التي كتبتها المرأة كان اغلبها يتحدث عن امور اجتماعية وعاطفية وكاد الشأن العام ان يغيب الا عن قلة منها، تناولت عددا من القضايا التي تمس المواطن بشكل عام بغض النظر عن جنسه.

وكالة الانباء الاردنية اهتمت بتغطية اخبار المرأة بشكل عام وبحسب اهمية الخبر نفسه، ولم تغفل اي مناسبة من شانها تسليط الضوء على انجازات المرأة في القطاعين العام والخاص وفي رصد اخر لبعض المواقع الالكترونية وجدت ان كاتبات المقال فيها تناولن الشأن العام، وحاولن ابداء رأي خاص بهن حول قضايا عامة على العكس من الصحف.

وهنا اطرح تساؤل: هل ادارات الصحف الورقية تفرض مضمون ما يتم نشره من مقالات، على عكس المواقع الالكترونية التي تشجع مثلا الكاتبات على ولوج عالم السياسة؟!.

ويؤخذ على الاعلام المكتوب بشكل عام انه لا توجد فيه دائرة خاصة بالمرأة مع انه يوجد مندوبة متخصصة بتغطية قضايا المرأة ومناسباتها

هل تبتعد المرأة عن الاعلام برغبتها؟

هناك عدة اسباب تجعل المرأة تنأى بنفسها عن التغطية الاعلامية لنشاطها خاصة اذا كانت في موقع بعيد عن المسؤولية العامة، وذلك ربما، لتكسب راحة البال!

والامثلة على ذلك متعددة – اسرد منها مثالين عن نساء حققن نجاحا في مشروعات مختلفة ورفضن الظهور بوسائل الاعلام:

- سامية سيدة في الرابعة والثلاثين من عمرها، طموحة حاولت جاهدة ان تنشيء مشروعا خاصا بها الا ان عقبات مختلفة حالت دون ذلك، شاركت باحدى المسابقات المتخصصة بالاشغال اليدوية وحققت المركز الاول، واجتمعت وسائل الاعلام المحلية لاجراء مقابلة صحفية معها، الا ان القرار كان لزوجها، وبالتالي رفضت كل اللقاءات واكتفت بالظهور في برنامج صباحي على احدى القنوات الخليجية.وحتى الان لا تستطيع تسويق منتجاتها، لان احدا لم يعلم بها.
- ام جعفر، سيدة ريادية، انفصلت عن زوجها، الذي كان يدفع النفقة بالحد الادنى لابنائه، ولكنها صممت على ان يحصل ابنائها الخمسة على افضل تعليم، وبدأت مشروعها بصناعة الشطة والمخللات وبيعه للمحلات التجارية، وتخرج ابناؤها الخمسة من الجامعات الاردنية بتخصصات الهندسة وطب الاسنان.

عندما علمت بها وحاولت نشر قصتها وتحديها لكل الصعاب التي واجهتها، كان القرار لابنها! الموافقة بشرط عدم نشر الاسم الصريح لأمه، والاكتفاء بكنيتها (ام جعفر).

اعتقد ان المرأة لا تزال تعيش في ظل الرجل ؛ الذي يعتبرها عجينة لينة قابلة للتشكيل واعادة التكوين حسب ما يريده لها، وبالتالي فان صورتها التي تريد اظهارها ليست بالضرورة هي التي تغطيها وسائل الاعلام لانها اي المرأة انجزت الكثير مما يستحق تسليط الضوء عليه.

مسؤولية المرأة

لا شك ان وسائل الاعلام تلعب دورا مؤثرا في تغيير اي صورة نمطية لاي شخصية كانت، وقد يكون دوره اساسيا في تغيير الصورة النمطية للمرأة واظهار مواطن القوة والتاثير لديها - اذا ارادت المراة وسعت الى ذلك -،

ومسؤولية المرأة كبيرة في تغيير النظرة المجتمعية لها، من صورة ارتبطت -كما في اذهان العديد منا بالمطبخ والازياء والجمال،... الى صورة المرأة المؤثرة صاحبة الراي والقرار والفكر النيّر.

وللاجابة على تساؤل قد يطرحه البعض عن السبب الذي يمنع المرأة من طرح نفسها في الاعلام، استعرض عدة اسباب لذلك:

اولا: عدم ثقتها بنفسها للظهور عبر وسائل الاعلام للتعبير عن فكرة ما

ثانيا: اصرار الرجل في حياتها - حتى لو كان ابنها - على اخذ موافقته المسبقة قبل اجراء اي مقابلة او تغطية اعلامية.

ثالثا: الرهبة وعدم التمرس على استخدام وسائل الاعلام لخدمة قضيتها

الفصل الحادي عشر

جدلية الإعلام والأيديولوجيا ودراسة العلاقات الدولية

الفصل الحادي عشر

جدلية الإعلام والأيديولوجيا ودراسة العلاقات الدولية

الموضوع وإشكاليته وأهدافه :

تستهدف هذه الدراسة في إطارها العام دراسة طبيعة العلاقة بين الإعلام والأيديولوجيا وتأثير ذلك في تشكيل جملة التفاعلات الإنسانية على الصعيدين الإقليمي والدولي من منظور أن الإيديولوجية والإعلام تشكلان نسقا متكاملاً تعمل عناصره بانتظام دقيق، وان التطور الهائل الذي حدث لحلق تكنولوجيا الاتصال بصفة عامة ووسائل الاتصال الجماهيري بصفة خاصة قد وسع ميدان " صراع الأفكار" لتشمل العالم كله.

و تنطلق الدراسة من هيمنة وسائل الاتصال الجماهيري على حياة الإنسان، وقد وصف أحد الباحثين قوتها على حياة البشر ب " الإله الثاني " إذ يرى أن الراديو والتلفزيون في كل مكان وهما معنا دائما، إذ تستمع الملايين إلى الشبكات والإعلانات التجارية نفسها، وتشارك شخصيات المسلسلات العاطفية مذاق الروح، وغموض الحب،ومعانات الخطيئة، وانتصار الشيء الصحيح. إن وسائل الاتصال تؤثر في اتجاهات المجتمع، والبنى السياسية، والحالة النفسية لجميع البلدان من خلال توجيه انتباه الملايين إلى الحدث نفسه و بالطريقة نفسها.

ووفقا لإحصائيات تسعينيات القرن الماضي أي قبل نحو 10 سنوات فانه يوجد في العالم:

1.28 مليار جهاز تليفزيون،690 مليون مشترك في شبكات الهاتف الأرضي، 80 مليون مشترك في الهاتف النقال، 200 مليون حاسب، 30 مليون مرتبط بشبكة الإنترنت، 600 ملين عدد مشتركي الإنترنت.

في خضم هذا الواقع الذي اصبح فيه الإعلام ابرز ظاهرة كونية واكثر انتشارا

وتأثيرا في حياة الأفراد والمجتمعات اليومية، يقول توفلر " إن وسائل الإعلام الجماهيري أصبحت ألان مكبر صوت عملاق تستخدم قواها في الجبهات الإقليمية والعرقية والقبلية واللغوية لتوحيد الصور المتدفقة إلى تيار المجتمع العقلي " [3] وهو ما يدعو إلى على ما تفرضه وسائل الاتصال من تحديات على" المجتمع الدولي "باتجاه عولمة الاقتصاد والتوجه الديمقراطي وتأثير ذلك على الشعوب كلها .

إن الثورة المعلوماتية التي اجتاحت المجتمعات المعاصرة، المنفتحة منها و المغلقة، و بروز ظاهرة " الإنترنت " - على سبيل المثال - والبث الفضائي " والإعلام العابر للقارات واتساع جمهور وسائل الاتصال ، وما دعاه توماس فريدمان بتأثير " القبيلة الإلكترونية في توجيه المؤسسات السياسية والتأثير في العالم. وتشكيل بنية التفاعلات الإنسانية أربكت بعض الحكومات فيها، فأصبح من الصعب عليها السيطرة على مصادر المعلومات ووصولها إلى المتلقي مما أدى إلى كسر القيود والحدود وبات جدار الدولة القومية مثقوبا تذروه رياح الأيديولوجيا من كل حدب وصوب والتي لم يعد في مقدورها - الدولة القومية - الهروب منها .

حتى أن محاولاتها أحيانا لتحريف الحقائق وتشويهها، بدأت تنكشف وتتدنى مصداقيتها لدى شعوبها والرأي العام المحلي والدولي، وهو ما ينعكس سلبا على مصداقيتها محليا وعالميا.

كما إن أفكار " نهاية التاريخ " لفوكو ياما و " صراع الحضارات " لصموئيل هانتنقتون ومن سار في ركبهما ونزعات اليمين المتطرفة في الغرب هنا وهناك، وبروز أيضا بعض الاتجاهات الجديدة لدى بعض قوى الإسلام السياسي المتطرفة في العالم،يحمل وسائل الاتصال مسؤولية كبيرة، فهي تجسد نبض الشارع والناس والدولة في آن واحد. وهي في علاقتها المباشرة مع البشر، وخاصة في ظل التقنيات الأكثر حداثة وتقدماً، قادرة على الوصول والتأثير في الأحداث الجارية سلباً أو إيجاباً وفي تشكيل الرأي العام العالمي والمجتمع الدولي بكل مؤسساته لمواجهة أفكار التطرف في العالم

وتطبيقاتها العملية والحد من تأثيراتها على الامن والسلم العالميين وهما من أهم ركائز دراسة العلاقات لدولية أن هذا الواقع الجديد فرض شكلا جديدا ومضمونا جديدا لنسق لعلاقات الدولية المعاصرة والذي جرى تسميته ب " العولمة ".

ولعل فيما سبق ذكره يدفع الباحث إلى التأكيد على دراسة العلاقات الدولية من منظور دور وسائل الاتصال الجماهيرية والأيديولوجيا في تكوينها الحالي واستشراف مستقبلها .

إن شدة و تعقيد ارتباط وسائل الاتصال الجماهيرية بالأيديولوجيا يدفع الباحث لحصر دراسته و لاعتبارات منهجية بموضوع " وسائل الاتصال وثقافة السلام "، ذلك أن دراسة هذا الموضوع تسمح لنا بمحاولة الكشف عما إذا كان بمقدور وسائل الاتصال الجماهيرية التخلص من هيمنة ارتباطاتها العقائدية وسيطرة الأيديولوجية على شكلها و محتواها والخروج في النهاية بنسق إعلامي يتجاوز النمطية والصور القبلية ليلتصق بحاجات الإنسان الاتصالية ومصالحه المختلفة وتركيزها على ثقافة السلام بين البشر بغض النظر عن العرق أو اللون أو الدين . وبالتالي الانتهاء إلى ثقافة سلام عالمية موحدة و تحقيقها بذلك مقولة مكلوهان " العالم قرية واحدة " ليس بالمفهوم المكاني وانما بمفهومي الامن والسلام .

من هنا يطرح الباحث التساؤل التالي:

هل وسائل الاتصال الجماهيرية قادرة على صنع ثقافة سلام عالمية واحدة تشكل مدخلا في المستقبل لدراسة نسق العلاقات الدولية؟. أم أنها ستبقى محكومة باجندة الأيديولوجيا وأفكار " نهاية التاريخ " و " صراع الحضارات " وأفكار التطرف في كل مكان الذي يهدد الأمن والسلم العالميين؟.

إن الإجابة عن هذا التساؤل يحتاج إلى جهد علمي ثاقب يفحص أولا: إمكانية انتزاع " وسائل الاتصال الجماهيرية من الأيديولوجيا وثانيا: قولبتها في إطار القيم

المهنية الخالصة للإعلام من حيادية وموضوعية واحترام خصوصية الأفراد والجماعات، وثالثا: ربطها في الاحتياجات الاتصالية للفرد والمجتمع في إطار نظام عالمي للإعلام أساسه خدمة الفرد والمجتمع والدول وعلى رأسها الحاجات الأمنية والنزوع نحو السلام وتحقيق الحرية والكرامة التي كفلتها الأديان السماوية و النظم الوضعية وبث روح التسامح مع الآخر ومحاربة كل ما يثير التناقضات وبؤر الصراع في بنية التفاعلات الإنسانية بجملتها .

ولعل هذا الجهد يحتاج وقتا لي بقصير،لذا فان هذه الدراسة لا تطمح إلى ابعد من كونها مدخلا إلى ذلك.

إن طبيعة الموضوع تستدعي من الباحث اتباع المنهج التاريخي الانتقادي وهو كما يراه كارلنجرKarlenger(19973) الاستقصاء الانتقائي للحوادث والتطور وتجارب الماضي وتقييم صحيح لصلاحية مصادر المعلومات عن الماضي. وهو عند اسحق وميخائيل Issac&Michael(1977) إعادة بناء وفهم الماضي بانتظام وموضوعية بجمع شواهد (الأدلة)والتأكد منها وتقييمها لتكوين حقائق والوصول إلى نتائج موثوقة يمكن الدفاع عنها.

إن طبيعة الموضوع تستلزم من الباحث تناول الموضوعات التالية:

أولا : في مفهوم الأيديولوجيا

ثانيا: في مفهوم السلام

ثالثا: وظائف الإعلام

رابعا: دور وسائل الاتصال الجماهيري في إحلال ثقافة السلام

خامسا: الخاتمة

أولا : في مفهوم الأيديولوجيا

من الطبيعي أن تكون وسائل الإعلام محددة بالبناء الفوقي للنظام الاجتماعي

الذي تعمل فيه. ففي أجهزتها تتمركز المصالح الإيديولوجية، إذ أنها الوحيدة التي تستطيع أن تنقل بصورة وافية إلى جميع فئات الناس و في الوقت المناسب المعرفة المطلوبة التي تمكنهم من الإطلاع على الأحداث المعاصرة في كل العالم. و كذلك تمكنهم من استيعاب التفاعلات داخل مجتمعاتهم بالذات و التفاعل مع الرموز و الأهداف التي يوحي بها البناء الفوقي من خلال منظومة الأفكار والآراء التي تمثل إيديولوجيته.فما هي الأيديولوجيا؟

يتضح من مجمل التعاريف غير الماركسية التي تناولت الإيديولوجية أن المضمون يبقى دائما محددا بالأفكار و الآراء و المواقف و العقائد و القيم. منها ما يأخذ طبيعة نظام متناسق ومنها ما يظل في إطار نماذج مختلفة. أما دور هذه الأفكار و الآراء والمواقف و العقائد و القيم فهو تحديد شخصية الجماعة و الفرد و المرحلة التاريخية و كذلك تحديد قواعد السلوك والأهداف والشعارات و حماية السلطة بما فيه استعمال العنف. أي أن الإيديولوجية يمكن أن تتحول إلى وسيلة قمع و اضطهاد. و كذلك فإن من وظائف الإيديولوجية في الممارسة تبرير المكاسب المادية و المعنوية لمن ينشرونها متمسكين بمبدأ ما يجب أن يكون تبعا لتوجهاتهم.

و أما التعاريف الماركسية فإنها تعترف بالأهداف و السلوك و الأفكار و القيم إلا أنها تؤكد أن الشروط الحياتية هي الأساس و أن تفسير الحياة تبعا لكل هذا يتوقف على مصالح الفئة الاجتماعية أو الطبقية التي تعبر عنها هذه الإيديولوجية أو تلك. و لذلك فإن الإيديولوجية تفهم من خلال هذه الأفكار. فإما أن تكون مع الحقيقة تصورها وتعكسها، و إما أن تكون ضد الحقيقة تخفيها أو تشوهها و لا تهتم بالوسيلة التي تحقق غايتها فكل شيء مبرر مادام يحقق تلك المصالح.

و في التقريب لموضوع بحثنا نستطيع القول إن الإيديولوجية هي ذلك الإطار الرمزي الذي من خلاله يكون هنالك نوع من الاتصال و التفاهم و بالتالي الاتفاق بين أتباع الإيديولوجية. و بمعنى آخر الإيديولوجية هي عبارة عن مجموعة من الرموز و

المفاهيم المجردة التي يُساعد إتّباعها على تفسير الماضي و رواية الحاضر و استلهام المستقبل. إنها ذلك الوسيط المجرد الذي يصل الفرد بالجماعة التي ينتمي إليها و البيئة التي يعيش فيها.

إنها ذلك الخيط الذي يربط الذات بالموضوع، و الداخل بالخارج و الذهن بالمادة. وفي حالة الحركات السياسية تكون الإيديولوجية أكثر فعالية في تحقيق أهداف الحركة عندما تتصف بصفات معينة من أهمها:

أ - البساطة و العفوية و العمومية في المبادئ التي تجعلها في متناول المدارك كافة وتجعل متلقيها يجد فيها شيئا يحقق ما يريد.

ب - الاتفاق النسبي مع الثقافة السائدة و نعني الثقافة السياسية والتي يعرّفها (لوتشيان باي) بأنها: "مجموع الاتجاهات و المعتقدات و المشاعر التي تعطي نظاما و معنى للعملية السياسية وتقدم القواعد المستقرة التي تحكم الأفراد داخل النظام" و يعرفها (سيرني أفريا) بأنها: "المعتقدات الواقعية و الرموز التعبيرية و القيم التي تحدد الوضع الذي يحدث التصرف السياسي في إطاره." وهكذا فكلما كانت الإيديولوجية السياسية المطروحة أكثر قربا من الثقافة السياسية السائدة في مجتمع ما، تكون هذه الإيديولوجية أقرب إلى الانتشار و بالتالي إلى الفاعلية.

ج- الاتفاق مع مصالح الجماعات المكونة للمجتمع. أي أن على الإيديولوجية أن تكون ذات مضمون تجد فيه مختلف طبقات و فئات المجتمع الرئيسية ما يعكس أهدافها ومصالحها في إطار الجماعة الأكبر ألا و هي الأمة.

ولا بد هنا من طرح نموذجين من نماذج الأيديولوجيا المعاصرة وسائل الإعلام وتشكيلها وفقا لمصالح جنس من البشر وثقافة معينة الأمر الذي يضع وسائل الإعلام في لب صراع الأفكار وهو ما يصبغ طبيعة العلاقات الدولية بالصراع وينأى بوسائل

الإعلام عن دورها في إحلال ثقافة السلام.

ولا بد من الإشارة إلى أن التقدم الشاسع الـذي حققـه الغـرب في كافـة المجـالات: إنتـاج المعرفـة العلمية   والأيديولوجيا وتكنولوجيا الاتصال وتكوين علاقة   أصيلة بين الإنسان والتكنولوجيـا سـمح لـه بالسيطرة على مصادر المعرفة و التحكم والتوجيه لوسائل الإعـلام، فوكـالات الإنبـاء التـي تمثـل المـصدر الرئيسي المعني بتداول المعلومات ينتجها الغرب،   إذ تـشير الإحـصاءات إلى وجـود 106والـة أنبـاء عالميـة وقومية وإقليمية في العالم، تبلغ طاقة بثها الإجمالية اكثر من 50 مليون كلمة في اليوم، وتوزع عـلى وسـائل الإعلام في 152 بلدا وبمختلف اللغات، ويتمثل حجم الأنباء التي تبثها الوكالات الأربـع الرئيـسية مـن اصـل 106 وكالة بنحو 32،850،000 كلمة يوميا ، موزعة كمايلي: اسوشييتد برس 17،000،000كلمة يونايتد برس 11،0001،000 كلمة، والصحافة الفرنسية 3،350،000 كلمة،ووكالة رويتر 1،500،000 كلمة .

أضف إلى ذلك، أن المعلومات لم تعد عبارة عن تداول بـل هـي محـور للنـشاط المعـرفي والثقـافي والإنـــساني برمتـــه، فالعمليـــة المعلوماتيـــة تبـــدا بالبيانـــات الأوليـــة Database وصـــولا إلى المعلوماتInformationومن ثم صهر كل منهما في وعاء معرفي يوفر قوة لا متناهيـة لمـن يملـك الـتحكم في مضمون هذا الوعاء. وإذا أردنا معرفة سر العلاقة بين المعلومات والبيانات يمكن القـول بـان الأولى هـي نتاج الثانيـة، وان المعلومـات تعـرف بتطبيقاتهـا المتمثلـة بالمـستحدثات التقنيـة والمؤسـسات الاجتماعيـة، والعلمية، والصناعية، وغيرها.

ومما هو جدير بالملاحظة أن المعلومات لم تعد حكرا على مؤسسات معينة، أو أنشطة معينـة،وانما أصبحت محورا لفعاليات الإنسان الشخصية والاجتماعية، ومحورا للمؤسسات الإنتاجية والثقافية.

ولعل في أفكار فوكو ياما أوضح مثالا لدراستنا هذه وهو ما يمكن توضيحه إغناء للدراسـة وتبيانـا لها .

يقول د. أسامة القفاش: " بالرغم من أن "فوكوياما" يحدّد معنى نهاية التاريخ بـالمفهوم الماركسي: بمعنى وصول المؤسسات الاقتصادية والسياسية البشرية إلى ذروتها، إلا أننا نراه يستخدم مفهـوم "العولمـة" بمعنى سيطرة ثقافة معينة على الثقافات المتعددة، أي أنه يخرج من الإطـار الاقتـصادي/ الـسياسي ليفـرض سيطرة ثقافية كذلك. [11]فحين يتكلّم عن شبكة الاتصالات الدولية وثورة المعلومات نراه يركز على شـفافية الحدث وانتشاره وتكراره......... وان عادات وتقاليد ومعتقدات المجموعات البشرية التـي تتـسم بـسمات مستقرة، ستزول وتنمحي بمجرد الدخول في اقتصاد السوق وأسلوب الديمقراطية .... وإشـكالية "فوكويامـا" هنا هي أنه قدم تصورًا دعائيًا "للعالم الجميل الجديد" على أنه رؤية معرفية. فهو يلتزم الحتمية الماركسية التاريخية ولكن يغـير مـن نتائجهـا، ويجعـل الهيمنـة للرأسـمالية الرشـيدة والبرجوازيـة العاملـة بـدلاً مـن الشيوعية والبروليتاريا. وبينما نجد أن مفهوم الحتمية ذاته يتعرض للانهيار؛ سواء في مجال العلوم الطبيعية التي يراها "فوكوياما" النموذج الأعلى الذي ينبغي الاقتداء بـه، أو في مجـال الإنـسانيات. حيـث تـساقطت الأفكار الحتمية والمنطق أحادي الاتجاه الخطي، وحلّت محلها رؤى نظرية تساؤليه تأخذ بتعددية الأسباب وفكرة تعددية السيناريوهات المحتملة.

"فوكوياما" يؤمن بالعلم وبالرأسمالية في شكل اقتصاد الـسوق وبالليبراليـة في المجـال الـسياسي، ولا استعداد عنده لتغيير إيمانه الثبوتي بهذه الأركان الثلاثة في ديانته الجديـدة. العلـم هـو الـذي يهـدد نهايـة التاريخ من وجهة نظر "فوكوياما" لأنه لا نهاية للعلم.

ثانيا: مفهوم السلام

وأرى في هذا الإطار أن أتوقف قليلا عند مفهوم السلام لتتضح اكثر رؤية هذا الصراع.

بداية تتطلع البشرية دائما إلى السلام كتعبير عن وضع إنساني يحقق المثل العليا للبشر في كل الأزمان، وقد عرف التاريخ محاولات مستمرة على المستوى الفكري لتحقيق هذا الهدف، إذ أسهم عديد مـن المفكـرين و الفلاسـفة بحلـول لمشكلات الحرب و السلام.

وأسهم في المرحلة المعاصرة عدد من علماء السياسة والاجتماع في إيضاح مسألة السلام كمثل أعلى و أن السلام لا ينفصل عن قضيتي الحرية و العدالة. فالسلام لا يعني مجرد حالة غياب الحرب أو القتال بين الأمم التي قد تصيب الجماعة الدولية في فترة ما. فقد تكون هذه الحالة مصطنعة كالفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى، بمعني أنها لا تعبر عن علاقات لها صفة الدوام بين عناصر الجماعة الدولية أو أنها مفروضة من قوة أكبر.

و لقد أشار البعض إلى الفترة التي تمت الحرب العالمية الثانية بمحاولة فرض سلام أمريكي، أو محاولة إسرائيل فرض سلام عبراني على المنطقة العربية [14].

و هكذا تعرض مفهوم السلام إلى العديد من التأويلات و تشعب تفسيره باتجاهات مختلفة رسمتها المصالح الإيديولوجية المتباينة، و العلاقات الدولية المتصارعة، وروجت وسائل الإعلام الغربية و الصهيونية أن السلام يعني الخضوع و الاستسلام للأمر الواقع.

وفي جملة الحديث عن السلام هناك من يري أن له تفسيرين. أحدهما "السلام الشامل" الذي يستحيل تحقيقه من الناحية الفعلية، و الثاني وهو السلام القائم على التوازن والذي تحدده القوة. وهذه السلام يطلق عليه تعبير " السلام الحقيقي "Realpeace" حيث يحتفظ فيه الجميع بتناقضاتهم، وفي نفس الوقت يسعون إلى حل هذه التناقضات بكل الوسائل ما عدا القوة المسلحة. وهذا الشكل من السلام هو أكثر الأشكال ديمومة.

وبالإضافة إلى هذين التفسيرين هناك تعابير أدخلت على مفهوم السلام وهي تستعمل غالبًا في الأحاديث السياسية و الرسائل الإعلامية مثل " السلام الدائم "و السلام النهائي"و"السلام الكلي: و " السلام العادل الشامل" الخ...

على أن الأدبيات التي تهتم بقضايا الحرب و السلام تنطلق دائما في تفسير السلام من نقيضه الحرب وكذلك تفسير الحرب من نقيضها السلام. ففي مجال علم الاجتماع نجد لدى عالم الاجتماع البلجيكي "Werner" المتخصص في قضايا الحرب والسلام هذا

الشرح:الحرب والسلام وجهان لحالة اجتماعية وإنسانية واحدة .

وفي قاموس (لوروبير Le Robert) هناك تعريف للسلام بالإشارة إلى الحرب لكنه جاء مقتضبًا قليل الدلالة: " السلام يعني حالة شعب أو دولة ليست في وضعية حرب".

فالسلام في مدلول قاموس لوروبير يعني انتفاء الحرب. ولكن الحقيقة أن انتفاء الحرب لا يعني السلام بمعناه الحقيقي. فالحرب المسلحة في الوقت الراهن ليست قائمة بين العرب وإسرائيل. ولكن السلام أيضًا ليس موجودًا. و العداوة المستمرة لا تحمل سلامًا وهي حرب وإن لم يكن هناك قتال.

أما مفهوم السلام في الصراع العربي الإسرائيلي فيحمل بعدًا أعمق وله خصائصه المميزة. خصائص عقائدية إيديولوجية ناتجة عن هجوم الصهيونية على الإسلام، وخصائص مادية ناتجة عن احتلال الأراضي العربية ومحاولة الهيمنة على مقدرات الوطن العربي.

كذلك نجد في مجال العلاقات الدولية هذا التعريف للسلام بالإشارة إلى نقبضه "السلام اتجاه يرمي إلى مقاومة ظاهرة الحرب و النزاع المسلح في العلاقات البشرية والدولية وتحقيق المجتمع الإنساني الذي يسوده الوئام والإخاء و المحبة.

فمن الناحية الإيديولوجية تتهم الصهيونية الإسلام بأنه دين فساد وعنف وقتل. والإسلام يكشف هذه العداوة الصهيونية الموجهة ويدمغها بالقرآن و السنة. ويثبت أنه دين سلام حقيقي وللسلام مفهوم مقدس يدخل في إطار العبادة، و التقرب إلى الله ...

فهو اسم من أسماء الله الحسنى و تأويله أن الله ذو السلام الذي يملك السلام ويخلّص من المكروه.

لذلك أوصى الرسول المسلمين أن يتوجهوا إلى الله عقب كل صلاة بدعائهم "اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال و الإكرام.

و قد جاء مفهوم السلام في القرآن الكريم بالمعاني و الدلالات التالية:

جاء أولاً بمعنى التحية. فالسلام والتحية معناهما واحد و دلالـتهما واحـدة. قـالوا سـلامًا: أي قـالوا قولاً يتسلمون فيه، ليس فيه تعد ولا مأثم. ويقولون سلام عليكم: أي لا حرب هناك.

وقال سلامٌ: أي أمري سلام. لا أريد غير السلامة. والسلْمِ و السلام واحدا ويفهم من السلم والـسلام الدعوى إلى توفير الأمن والطمأنينة و السكينة.

أما بقية المعاني للسلام فقد صورتها الآيات القرآنية بأنه الأمـن مـن الخـوف، والفـزع، وأنـه النجـاة والسلامة، وأنه الأمان من كل مكروه والسلام من المكاره، وأنه السكينة والطمأنينة، وأنـه المـسالمة إلى حـين وأنه الصلح والمهادنة والمسالمة.

نفهم من كل هذا إن السلام ليس مسألة سياسية وليس مسألة تحقيق مصالح، إنما هو مثـل أعـلى ومنهاج لتنظيم حياة البشر بعيدًا عن العـــدوان والإثم والاغتصاب والفساد.

و لقد أشار القرآن إلى السلام من خلال نقيضه الحرب إذ وصفها بأنها موت البشر ووصـف الـسلام بأنه حياة البشر. قال تعالي: (مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا).

ثالثا: وظائف الإعلام:

لقد اقر ميثاق الأمم المتحدة الحقوق التالية:

أولا: احترام حق جميع الشعوب في المـشاركة في تبـادل المعلومـات عـلى المـستوى الـدولي عـلى أسـاس الإنصاف والعدل وتكامل المصالح.

ثانيا: حق كل دولة في استخدام مواردها الخاصة من المعلومات لحماية سـيادتها والـدفاع عـن قيمهـا السياسية والأخلاقية والثقافية واطلاع العالم على مصالحه وتطلعاتها.

ثالثا: احترام حق الجمهور والمجموعات الاثنية والاجتماعية والأفراد في الانتفاع بمصادر المعلومات والاشتراك على نحو فعال في عملية الاتصال.

رابعا: الحق في احترام قيم الشعوب وحياة الأفراد الخاصة.

وحددت وثيقة اليونسكو "عالم واحد وأصوات متعددة: الاتصال والمجتمع اليوم والغد " [25] وظائف الإعلام بالجوانب التالية:

أولا: الإعلام: جمع و تخزين ومعالجة ونشر المعلومات والأخبار والبيانات لفهم الظروف الشخصية والبيئية والقومية والدولية.

ثانيا: التنشئة الاجتماعية: وهي توفير رصيد مشترك من المعرفة يكفل مشاركة أعضاء المجتمع في الحياة العامة بوعي وتآزر.

ثالثا: خلق الدوافع: دعم الأهداف المباشرة والنهائية لكل مجتمع، وتشجيع الاختبارات الشخصية ودعم أنشطة الأفراد والجماعات لتحقيق الأهداف.

رابعا: الحوار والنقاش: بتوفير الحقائق اللازمة حول القضايا العامة وتوفير الأدلة لدعم الاهتمام والمشاركة الشعبية في الأمور المحلية والقومية والدولية.

خامسا: التربية: بنشر المعرفة لتعزيز النمو السكاني واكتسابه للمهارات والقدرات اللازمة لمراحل العمر المختلفة.

سادسا: النهوض الثقافي: وذلك بنشر الأعمال الثقافية والفنية لمحافظة على التراث وتوسيع آفاق الفرد وإشباع حاجاته الجمالية وإطلاق قدراته على الإبداع.

سابعا: الترفيه: وذلك من خلا التمثيليات والرقص والفن والأدب والموسيقى والمسرح والألعاب بهدف الإمتاع والترفيه الشخصي والجمالي.

ثامنا: التكامل: بهدف توفير الفرص للأفراد والمجموعات والأعم للوصول إلى

وسائل متنوعة تحقق حاجاتهم في التعارف والتفاهم والتعرف على ظروف معيشة الآخرين ووجهات نظرهم وتطلعاتهم.

تاسعا: إشباع حاجة الجماعات والمجتمعات ككل من المعلومات والبيانات من خلال المعلومات المتنوعة من سياسية وأحداث دولية ومحلية وأحوال جوية ومعلومات سكانية واقتصادية ومالية.

تستطيع المجتمعات والحكومات أن تخطط للمستقبل وتتعامل مع غيرها من المجتمعات بناء على هذه المعلومات.

وإذا جاز لنا بحث هذه الوظائف من منظور دراسة العلاقة الدولية المعاصرة فإننا سنجد أنها تحمل بين طياتها مجموعة من المرتكزات والمبادئ التي تعيننا على ذلك. فوظائف الإعلام والتربية والتنشئة الاجتماعية والتكامل الاقتصادي والسياسي وإشباع حاجات الجماعات والمجتمعات من المعلومات كلها عناصر مشكلة لبنية التفاعل داخل نسق العلاقات الدولية .

إن دراسة نسق العلاقات الدولية المعاصر وجملة التفاعلات المختلفة بين الدول لا يمكن إن يتم بمعزل عن دراسة النسق الإعلامي الذي اخذ يشكل حجر الزاوية فيه بعد التطور الذي حدث لوسائل الاتصال وعلى رأسها تلك الوسائل العابرة للقارات من سواء المكتوب منها أم وسائل الاتصال السمعي – بصرية.

رابعا: دور وسائل الاتصال الجماهيري في إحلال ثقافة السلام

يهتم الإعلام بنشر الصور و القوالب الذهنية ناقلاً عقيدة الذين هم في مراكز مؤسسية و ذات امتيازات كما يضفي الشرعية على هذه العقيدة. وعملية نقل الأفكار المهيمنة تجري بواسطة نظام محدد يتعلم من خلاله محترفو الإعلام استدخال واستدماج معايير وقيم المؤسسة الصحافية القائمة ضمن بنى تنظيمية معينة، يظهر فيها النسق القيمي الاستعلائي و العرقي للقائمين عليه .

إن توجيه وسائل الاتصال الجماهيري من قبل الإيديولوجية ليس للمعلومات فحسب بل للبنية الإعلامية بجملتها هو أحد أهم الأساليب المؤثرة على تكوين الصورة عن الآخر وهذا التأثير مهم عندما نعلم أنه تكتب كل يوم ملايين من الكلمات الإعلامية، لا يتسلم منها القارئ أكثر من نصف بالمائة. وأما ما تبقى من هذا البحر من المعلومات الإخبارية فيخضع لتغيير ضخم[26]. ذلك أن العاملين على توجيه المعلومات العامة هم الذين يقومون بهذا التغير. وهؤلاء الموجهون هم الحكومة و النخب الحاكمة في وسائل الإعلام وكذلك أولئك الذين نسميهم " قادة الرأي " الذين يختارون من بحر المعلومات الواردة ما يناسب اهتماماتهم ويخفون ما لا يريدون توزيعه ونشره. هؤلاء " قادة الرأي " يتأثرون أيضا بدورهم الاجتماعي وبمواقعهم ولمن يعملون بجانب القوانين و الإجراءات الداخلية، أي الرقابة الذاتية لدى هذه الصحف التي تقولب أراء الآخرين مع الخط المرسوم، مثل ذلك الرقابة العسكرية التي تهيمن على الصحافة في كثير من البلدان .

يرى بعض الباحثين إن عملية اختيار المعلومات المتناثرة من بحر المعلومات لتكوين الصورة عن أمة لدى أمة أخرى هي عملية هامة لسببين، أولا: لأن هذه المعلومات المتناثرة يختارها القائمون على وسائل الإعلام " حسب أهوائهم السياسية " أي الإيديولوجية الأمر الذي يزيد من التغيير على الصورة المقدمة والتي مسها التشويه من قبل. ثانيًا: تدعي وسائل الإعلام أنها تلعب دور التثقيف و التوعية بين جماهير المواطنين. لذلك يتحمل المحررون بصفتهم " معلمي الشعب " مسؤولية المستوى الروحي لتكوين بنية وسائل الإعلام الروحية ذات الفائدة لكل فرد، لأن دور التأثير التثقيفي لتلك الوسائل على الجمهور لا يمكن نكراته.

بالإضافة إلى هذا فإن لوسائل الإعلام أهمية قصوى في نقل المعلومات المؤثرة على تكوين المواقف المتعلقة بالصورة عن الأمم ولكي يتم الارتقاء إلى مستوى المسؤولية فإن الاتصال الفاعل بين الإعلاميين والمؤسسات الإعلامية من جهة والجمهور الإعلامي من جهة أخرى ذات الأهمية.في تحقيق أهداف تلك المؤسسات الاتصالية .

يتضح مما سبق أن نسق الإعلام الجماهيري يمثل نسقا جزئيا داخل نسق اعم هو المجتمع الذي يوجد فيه، والمضامين التي ينقلها الإعلام تؤثر بطريقة أو أخرى - سلبا أو إيجابا في الأنساق الأخرى . مما يترك أثرا فعالا في إحداث التغييرات الثقافية والمعرفية، خاصة إذا كانت المضامين المذكورة تحتوي على أراء وأفكار ومعلومات مع تلك التي تنتشر، أو تلك التي يتعامل بها المجتمع ذاته.

وبتعبير أدق تساهم وسائل الاتصال في تنمية أنماط تفكير وعلاقات ومن ثم بنى اجتماعية سياسية جديدة باستمرار، من خلال تنمية طموحات وقدرات الأفراد والجماعات، إضافة إلى تعليم مهارات جديدة، أي ان وسائل الاتصال تمثل أحد الديناميات التي تدفع باتجاه إحداث التغيير. بل هي الأكثر فاعلية من الأنساق الاجتماعية ذات العلاقة بعمليات التغيير. خاصة ان الأنساق الأخرى تعتمد بصيغة أو أخرى على وسائل الاتصال في تبادل الآراء والمعلومات والتقارير والبيانات التي تعكس مستوى الفعالية السياسية والاجتماعية.

وقد أنيطت بوسائل الاتصال وظائف ومهمات متباينة، ومختلفة في إطار البيئة التي يعمل بها على مستويات عدة. كتنميط العلاقات بين الأفراد والجماعات، أو بث الأفكار المستحدثة، أو دعم التنظيم الاجتماعي، وضبط آلياته، أو تهيئة مقدمات ممارسة الإنسان لحقوقه أو تأدية وظائف التنسيق بين الأنساق الاجتماعية (اقتصادية، سياسية، ثقافية.الخ). كما انه شكل محورا مركزيا على مدى النصف الثاني من القرن الماضي لمسارات الأنساق المذكورة وبصورة خاصة السياسية، الاقتصادية والثقافية. ومن هنا جاءت الدراسة لتؤكد على دوره كمدخل اكثر فاعلية في دراسة العلاقات الدولية .

التأكيد على إجماع دولي وعالمي يشمل كافة المؤسسات الخاصة والعامة على تبني

ميثاق شرف عالمي جديد للإعلام ولعمل وسائل الاتصال يرتكز على المبادئ والمثل الإنسانية المشتركة الداعمة لثقافة السلام والأمن لكل الأفراد والشعوب والدول والأعراق والقوميات ووضع آليات تنفيذ ومراقبة ومحاسبة كل من يخرج عن هذا الإجماع.وذلك لبناء نسق من العلاقات الإنسانية والدولية تعمل لمصلحة الإنسان بغض النظر عن جنسه و لونه ودينه أو ثقافته.

المراجع

- إبراهيم، محمد سعد. (2004). الإعلام التنموي والتعددية الحزبية، الجزء الأول، دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع، القاهرة.
- أبو السعيد، أحمد و لبد، عماد سعيد. (2009). دور الإعلام في دعم عملية التنمية في الأراضي الفلسطينية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث و الدراسات، العدد (16)، حزيران.
- أبو شنب، حسين.(1982). " دور التليفزيون في خلق ثقافة عربية متوازنة في أقطار الخليج العربي: دراسة تطبيقية على تليفزيون الكويت" ــ رسالة ماجستير غير منشورة. (كلية الإعلام جامعة القاهرة).
- أحمد، نيرمين إبراهيم.(2007). "دور إذاعة وادي النيل في تلبية الاحتياجات الاتصالية للسودانيين المقيمين في مصر "-رسالة ماجستير غير منشورة. (كلية الإعلام جامعة القاهرة).
- بوهدة، شهرزاد. (2008). دور الإذاعة المحلية في تنمية المجتمع المحلي، رسالة ماجستير غير منشورة.(الجزائر: قسم علوم الإعلام والاتصال كلية الآداب جامعة المدية).
- تقرير الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة عن أعمال المنظمة لعام 2002م.
- الجنحي، على بن فايز. (2003). الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة. (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية).
- الحسنات، فاروق.(2011). الإعلام والتنمية المعاصرة. (عمان: دار أسامة للتوزيع والنشر).
- حسين، سمير محمد.(1995). دراسات في مناهج البحث العلمي وبحوث الإعلام. ط2، عالم الكتب، القاهرة.
- رويس، عبلة.(2010). تجربة الإذاعات المجتمعية الأردنية في تنمية المجتمع المحلي، رسالة ماجستير غير منشورة. (عمان: كلية الإعلام جامعة الشرق الأوسط

للدراسات العليا).

- سيد محمد، محمد.(1988). الإعلام والتنمية. (القاهرة، دار الفكر العربي).
- صادق، عـادل.(2007). الـصحافة المـصرية وإدارة الأزمـات: مـدخل نظـري تطبيقـي. (القـاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع).
- الظاهري، أمينة. والنعيمي، عائشة.(2005). دور وسائل الإعـلام في تـشكيل الـوعي الـسياسي للمـرأة الإماراتية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 21، العدد 1، ص ص 313-357.
- عبد الرسول، احمد عمر.(2006)." دور الإذاعة الولائية في تنمية الـوعي الـسياسي بـالمجتمع المحـلي" رسالة ماجستير غير منشورة. (كلية الإعلام، جامعة أم درمان الإسلامية).
- عبد الحميد، محمد. (2004). البحث العلمي في الدراسات الإعلامية. ط2، عالم المعرفة، القاهرة.
- عبد الـرحيم، محمـد.(1994). الأمـم المتحـدة وحفـظ الـسلم والأمـن الـدوليين. (المكتبـة العـصرية للطباعة والنشر، بيروت).
- عبد القادر، يسرية .(2005)." دور وسائل الاتصال الجماهيري في التنميـة البـشرية" رسـالة ماجـستير غير منشورة. (كلية الإعلام، جامعة أم درمان الإسلامية).
- عليان، ربحي مصطفى و غنيم، عـثمان محمـد.(2008). أسـاليب البحـث العلمـي، ط2، (دار صـفاء للنشر والتوزيع).
- عمر، أحمد مصطفى.(2002). البحث الإعلامي: مفهومه ... إجراءاته ... ومناهجه. ط2، دار الفلاح للنشر والتوزيع / الكويت.
- عمران، أميـة. (2001). دور وسـائل الإعـلام في مـشاركة المـرأة في العمـل الـسياسي، المجلـة المـصرية لبحوث الإعلام، العدد 11، ص ص 211-275.
- فرح، سمير.(2007). كلمة افتتاحية لممثل فريدريش ايبرت – لبنان، القيت في مـؤتمر" دور وسـائل الإعـلام في بنـاء ثقافـة الـسلام. تنظـيم جمعيـة" مهـارات" بالتعـاون مـع

مؤسسة "فريدريش ايبرت – لبنان".

- ماكفيل، توماس.(2005). الإعلام العربي، ترجمة حسني محمد وعبد الله الكندي. دار الكتاب الجامعي.
- المسلمي، إبراهيم عبد الله.(1989). دراسات في الصحافة الإقليمية. المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة.
- مؤسسة مهارات ومؤسسة فردريش ايبرت. (2007). وقائع المؤتمر المنعقد في في فندق "لوميريدان – كومودور" في بيروت 29 -30 اذار حول "دور وسائل الإعلام في بناء ثقافة السلام".
- ميثاق الأمم المتحدة / الفصل الأول – المادة 1، 1945.
- النعيمات، محمد.(2010). " دور الصحافة الأردنية في التنمية السياسية " رسالة ماجستير غير منشورة. (عمان: قسم الإعلام، كلية الآداب، جامعة الشرق الاوسط).
- موقع الإخبار والإعلام التابع لمنظمة الأمم المتحدة. (Viewed: 26/2/2012) http://www.unmultimedia.org/arabic/radio/about.
- الموقع الالكتروني للجنة بناء السلام التابعة للأمم المتحدة.(viewed: 23/2/2012) . http://www.un.org/ar/peacebuilding.
- موقع المكتب الوطني للإحصاء في دولة جنوب السودان.(Viewed: 3/3/2012)

- http://ssnbs.org/home/consumer-price-index-for-south-sudan.
- Fogg. Ally and Horbel، Phil and Brooks، Kathy (2005) "Community
- radio toolkit".
- Henrikas Yushkiavitshus.(1998). social Imperatives، In http: UNESCO. 18. www.ITU.TNT/PL web-cai/fast.v.p. viewed 9/4/2012
- Milven، Defleur and Sandra، ball rokeach.(1982). Theories of Mass Communication 4th ed.، (new York London: Longman).
- Moemeka Andrew Azultage. (1997). Rural Radio Broadcasting and community health practices in Nigeria: A case study of radio O.Y.O on move. (The Mobile Rural Radio Service of the Broadcasting Corporation of (o-y-o)، state Nigeria state University of new-yourk at Albany
- Patil، Dhanraj.(2010). The Role of Community Radio in the

Development of the Rural Poor، International Journal of Rural Studies، vol. 17. No.1، p.p1-9.

- Sekaran، Uma.(2003). Research methods for business: A Skill-building approach .(4th ed.). New York: John Wiley & Sons Inc.
- Sullivan، Marguerite، H، Center for International Media Assistance.(2007). Community Radio: Its Impact and

الفهرس

مجالات
الخدمات الإعلامية





دار المعتز للنشر والتوزيع

ايميل : daralmuotaz.pup@gmail.com

عنوان : شارع الجامعة الأردنية - جسر كلية الزراعة
مجمع سمارة رقم (233) - الطابق الأرضي

هاتف : 3035 537 6 962 + 0035 990 79 962 +

موبايل : 6664 537 77 962 + 1427 608 79 962 +